محمد بن عبدالله الشريف

الخزانة

في أدب الفكاهة

محمد بن عبدالله الشريف

الخزانة

في

أدب الفكاهة

الطبعة الأولى

ⓗ محمد عبدالله الشريف ، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشريف ، محمد عبدالله

الخزانة في أدب الفكاهة . -الرياض .

٣٧١ص ، ١٧×٢٤سم

ردمك : ٥-٥٨٣-٢٠-٩٩٦٠

١ - الفكاهات العربية أ-العنوان

ديوي ٨١٧ ٢٠ / ٢١٤٦

ردمك : ٥-٥٨٣-٢٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع : ٢٠ / ٢١٤٦

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

تمت عملية الصف والإخراج والتصحيح بمكتبة العبيكان - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الموضوع | الصفحة

القسم السابع

القسم الثامن

القسم التاسع

القسم العاشر

القسم الحادي عشر

المقدمة

جاء في الأحاديث النبوية والآثار المنقولة عن رسول الله ﷺ وصحابته -رضي الله عنهم- والتابعين لهم، أنهم كانوا يمزحون، ومما روي عنه ﷺ أنه قال: «إنني لأمزح ولا أقول إلا حقاً». وقوله: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلوب إذا كلت عميت». كما روي عنه ﷺ أنه قال لامرأة من الأنصار: «الحقي زوجك فإن في عينيه بياضاً»، فبدا عليها الضيق والامتعاض، فقال لها: «خففي عليك، إن في عيني بياضاً». وأتت عجوز من الأنصار إليه ﷺ فسألته أن يدعو لها بالجنة، فقال: «إن الجنة لا تدخلها العجز»، فصاحت، فتبسم ﷺ وقرأ لها قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾**﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧] أو كما قال ﷺ.

وجاء في الخبر أنه سابق عائشة فسبقته، ثم سابقها فسبقها، ولم ينكر ﷺ على بعض أصحابه المزاح، ويروى عنه أنه دخل على عثمان وهو أرمد، فوجده يأكل تمراً، فقال له: «أتأكل تمراً وأنت أرمد»؟ فقال: إنما آكل من الجنب الآخر، فضحك الرسول حتى بدت نواجذه.

وعندما أنشد كعب بن زهير قصيدته اللامية الشهيرة في مدحه ﷺ، وهو في مسجده، كان الرسول يستمع إليه ويستمتع بإنشاده، ويومئ إلى الناس بالاستماع، وذلك رغم أن كعب بن زهير استهلها بالتغزل بالمرأة:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

ومن الصفات التي تروى عنه ﷺ أنه كان يجيب دعوة الحر والعبد، والأمة

والمسكين، ويقول: «لو دعيت إلى كراع لأجبت»، وكان يخصف النعل، ويحلب الشاة، ويركب الحمار، ويرقع الثوب، ويطحن مع الخادم، ويأكل معه، ويحمل بضاعته من السوق، ويخالط أصحابه، ويمازحهم، ويلاعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره.

وكان نعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث، وهو من أهل بدر، مولع بالمزاح وكثرة الضحك، ولم ينكر ﷺ ذلك، بل إنه كان يستمتع ببعض مزاحه، ولعل الحادثة التالية، التي رواها ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار) تعطي دليلاً على أنه ﷺ كان لا ينكر المزاح:

خرج نعيمان مرة مع أبي بكر الصديق إلى بصرى، وكان من الخارجين إلى الحرب بدوي اسمه سويبط، وكان موكلاً بالزاد، فجاءه نعيمان وقال له: أطعمني، قال: لا، حتى يأتي أبو بكر، فقال نعيمان: والله لأغيظك، وجاء إلى أناس معهم نوق فقال لهم: أتشترون مني غلاماً عربياً قوياً، إلا أنه كثير الادعاء وربما يقول لكم إنه حر، فإن كنتم لا تشترون فدعوه ولا تفسدوه علي، قالوا: نشتريه منك بعشر قلائص، فباعه لهم. وأخذ القلائص وساقها حتى وصل بها إلى المعسكر فعقلها، ثم قال للمشترين: دونكم الغلام، ها هو فخذوه، فقالوا لسويبط: قد اشتريناك، فثار وقال: هذا كاذب، أنا رجل حر. قالوا: قد أخبرنا بذلك، وحذرنا من دعاويك، ووضعوا في عنقه حبلاً ومشوا به. فجاء أبو بكر فاخبر بذلك، فذهب في بعض صحابته، وردوا القلائص إلى أصحابها واستردوا سويبطاً، ثم أخبروا النبي ﷺ، فضحك من هذه الفعلة حولاً كاملاً.

وهذه الصفات تدل على التواضع وسمو الروح، والملاطفة، والرغبة في إزالة الحواجز بينه وبين الخاصة والعامة.

أما أصحابه ﷺ والتابعين فقد كانوا لا ينكرون المزاح، وكثير منهم كان يمزح، وقد سئل النخعي: هل كان أصحاب رسول الله يضحكون؟ فقال: نعم، والإيمان في قلوبهم مثل الجبال الرواسي، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو المعروف بالوقار، والجد- يسمع ضوضاء في دار فيسأل: ما هذه الضوضاء؟ فقيل له: عرس، فقال: فهلا حركوا غرابيلهم؟ يعني الدفوف.

أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان يمازح مولاة له بقوله: «خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام».. وعندما غضبت وبكت ضحك وقال لها: لا عليك، فإن الله تعالى هو خالق الجميع، وهو خالق الخير والشر. ويروى عن أبي هريرة -الصحابي الجليل- أنه كان محباً للمزاح والدعابة وكان يفاجئ الأطفال وهم يلعبون فيلعب معهم.

ويروى عن سعيد بن جبير أنه كان يعظ أصحابه حتى يبكون، ولا يغادر مجلسهم حتى يمزح معهم ويضحكون.

وهكذا بقية التابعين، والمحدثين، والفقهاء والقضاة، كان بعضهم يميل إلى خلط الدعابة والضحك بالجد، ولعل من أطرف الدعابات وأعفها في الوقت نفسه ما نقل عن هذه الفئة من العلماء.

ومن الضروري هنا التنبيه إلى أن المقصود هو المزاح والدعابة العفيفة التي تبقي على أجواء الاحترام بين المتمازحين، ولا تذهب بالوقار، ولا تورث شيئاً من

البغضاء والحقد والكراهية، ولعل أبلغ تشبيه للمزاح، وتعريف لحدوده، هو ما روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما قال: «إن المزاح في الكلام كالملح في الطعام». فكما أن الملح ضروري للطعام ويصلحه ويجعل طعمه طيباً وشهياً ومستساغاً، فإن زيادته عن الحد الضروري تكره النفس في الطعام، وتجعله غير مستساغ.

وقد وردت أحاديث وأقوال مأثورة في التحذير من التمادي في المزاح منها ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إياك وكثرة الضحك، فإنها تميت القلب وتورث النسيان».

كما حذر بعض الصحابة والتابعين والصالحين من التمادي في المزاح والضحك الخارج عن الحد المألوف؛ لأنه يجلب الضغائن، ويورث الحقد، ويميت القلب.

وقد اهتم كثير من العلماء والباحثين بتتبع وجمع هذا النوع من التراث، وتأليف العديد من الكتب والمؤلفات فيه، ويأتي في مقدمتهم الجاحظ الذي بز غيره أو كاد في كثرة المؤلفات التي تعنى بهذا النوع من الأدب، منها كتاب البيان والتبين، وكتاب البخلاء، وكتاب الحيوان، وكتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، وكتاب المحاسن والأضداد.

ومن الكتب البارزة في هذا النوع من الأدب كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني، وكتاب المستطرف للأبشيهي، وكتاب طوق الحمامة لابن حزم، وكتابي أخبار النساء، وروضة المحبين، لابن قيم الجوزية، وكتابي أخبار الأذكياء، وأخبار الحمقى والمغفلين، لابن الجوزي، وكتابي لطائف اللطف،

ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي، وكتاب الظرف والظرفاء، لأبي الطيب الوشاء، وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة.

وغير ذلك مما تزخر به المكتبة العربية مما استعرضناه واقتطفنا منه ما راق، وحسبنا أنه يمثل ما قصدنا تدوينه في هذا الكتاب.

محمد بن عبدالله الشريف

تقديم

وجدت لدي ميلاً -منذ الصغر- إلى مطالعة كتب الأدب في التراث العربي وتتبع نفائسها وذخائرها، إن شعراً، أو نثراً، وقد استمالني بالأخص واستهواني تذوق أدب الطرائف واللطائف، وأدب المزاح، والضحك، والفكاهة، والسخرية، فأخذت أقتني ما تقع عليه عيني ويدي منه من كتب، أو دوريات، أو ما ينشر خلال المجلات والصحف والمطبوعات الأخرى، وأحتفظ به، ووجدتني أرجع إليه بين فترة وأخرى للترويح، والمتعة والتذوق، وقد استنبطت من خلال ذلك كله أن الأدب العربي يزخر بألوان شتى مما يصنف ضمن الأدب الضاحك، أو ما نعنيه هنا بأدب الطرفة والفكاهة، وأن بعض العصور قد تركت آثار ما تميزت به على هذا النوع من الأدب، مثل: العصر النبوي، وعصر الخلافة، اللذين تميزا بالأدب الرفيع غير المبتذل، ومثل: العصر العباسي، وما يسمى بعصر الانحطاط، اللذين تركا طابعهما على نوع الطرفة والمزاح، وامتزج هذا النوع من الأدب بما كانت عليه المجالس والمسامرات، وما كان يتخللها من ابتذال وإمعان في اللهو، والانسياق وراء المتعة والملذات.

وقد وجدت أن معظم الكتب التي عنيت بجمع وتصنيف هذا النوع من الأدب قد جمعت بين الغث والسمين مما أفرزته تلك العصور، وحوت كل ما وقعت عليه يد المؤلف دون الاعتناء بالتدقيق في صحة ما نقل، أو جودته، أو بعده عن الإسفاف والابتذال، كما اشتمل بعضها على ما لا يليق اعتباره أدباً في حد ذاته، وأصبح القارئ وهو يستعرض بعض تلك الكتب يصاب أحياناً بالضيق والتبرم، لاحتواء المؤلَّف على ما لا يحسن اعتباره أدباً، ناهيك عن

تصنيفه ضمن الأدب الضاحك، أو أدب الطرفة والفكاهة. كما لاحظت أنه أدخل على هذا النوع من الأدب بعض الإضافات، والحواشي، والزيادات التي لم تكن موجودة في الأصل عند حصول الطرفة أو الحادثة لأول مرة، فصارت الحادثة تروى بنصوص مختلفة، وروايات متباينة، بين مؤلف وآخر، وأحياناً تجدها في صيغ وقوالب تشم منها اجتهاد المؤلف أو الناقل في إضافة ما يعتقد أنه يجلعها في قالب تشويقي أكثر.

ورواية الطرفة المشهورة -الآتية- في ثلاثة قوالب مختلفة في ثلاثة مصادر تدل على ما ذكرت.

الرواية الأولى:

«قال الأصمعي: رأيت أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة وهو يقول: اللهم أمتني ميتة أبي خارجة.. فقلت له: -يرحمك الله- وكيف مات أبو خارجه؟! قال: أكل حتى امتلأ، وشرب، ونام في الشمس، فمات شبعان ريان دفآن».

الرواية الثانية:

«قال أعرابي: اللهم أني أسألك ميتة كميتة عرفجة، فقيل: كيف مات؟! قال: أكل بذجاً، و شرب شعلاً، والتف في كسائه ومات، فلقي الله شبعان ريان دفآن».

الرواية الثالثة:

«روى أبو عمر الزاهد قال: إن بعض الأعراب قال: اللهم أمتني ميتة أبي! قالوا: وكيف مات أبوك؟!.. قال أكل بذجاً (خروف صغير) وشرب شعلاً

(الزق) ونام في الشمس، فلقي الله وهو شبعان، ريان، دفآن».

وقد عنَّ لي بعد أن تأملت في ذلك كله، أن أقوم بانتقاء وجمع ما أرى أنه يتفق ومفهوم الطرفة والأدب الضاحك، ويرقى إلى مستويات ذوق القارئ، ويضيف إليه شيئاً من المتعة والسرور، وينسجم مع سموِّ الأدب العربي، مسقطاً كل ما تبين لي أو لاحظت خلوه من معاني الأدب الضاحك الرفيع، أو ما لا يتسق مع الذوق العام، أو ما لا يضيف فائدة إلى ثقافة القارئ، أو ما يعتريه الشك من حيث نسبته، أو روايته، أو نصه.

وحسبي في ذلك أنني اجتهدت في أن أضع أمام القارئ العربي المتذوق لهذا الفن البديع من فنون الأدب العربي خلاصة ما أحسب أنني لم أعثر عليه -مجتمعاً في كتاب واحد- في المكتبة العربية، من حيث المستوى والجودة، أو حتى التصنيف والإخراج، وغاية ما أرجوه أن يفي هذا المؤلف بحاجة المتتبع والمتذوق لهذا الفن، وأن يضيف إلى المكتبة العربية شيئاً يجد فيه القارئ والباحث بعض الفائدة. فإن كنت قد أصبت فذلك ما استهدفت، وإن لم يكن، فإنني أعد القارئ ببذل المزيد من العناية والاهتمام فيما يأتي من طبعات، لكي يأتي العمل جيداً ومتكاملاً، مبدياً في الوقت ذاته حاجتي إلى رأي القارئ وملحوظاته.

والله من وراء القصد...

محمد بن عبدالله الشريف

ص ب ٩٣٣٣١

الرياض ١١٦٧٣

القسم الأول

طرف ونوادر

فيها:

عبـــر!!

وعظات!!

الحب في نظر ابن حزم الأندلسي

يقول ابن حزم في باب طيّ سرّ المحبّين: من بعض صفات الحب: الكتمان باللسان، وجحود المحبّ إن سُئل، والتصنّع بإظهار الصبر..

فحسب المرء المسلم أن يعفّ عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره، ويحاسب عليها يوم القيامة. وأما استحسانُ الحسن وتمكّنُ الحبّ فطبع لا يُؤمر به ولا يُنهى عنه، إذ القلوب بيد مقلّبها... وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة، وفي ذلك أقول:

يَلومُ رجالٌ فيكِ لم يَعْرِفُوا الهَوَى
وَسِيّان عِنْدِي فِيك لاحٍ وَسَاكتُ
يَقُولُونَ: جَانَبْتَ التّصاوُنَ جُمْلَةً
وأنتَ عليم بالشريعة قانِتُ
فقلت لهم: هذا الرِّياءُ بعينه
صُراحاً وزيٌّ للمُرائينَ ماقِتُ
متى جاءَ تَحْرِيمُ الهَوَى عَنْ محمّدٍ
وَهَلْ مَنْعُهُ في مُحْكَمِ الذِّكرِ ثابتُ
إذا لم أواقِعْ مُحَرَّماً أتّقي به
مَجيئي يومَ البعثِ والوَجْهُ باهِتُ

فَلَسْتُ أبالي في الهَــوَى قــولَ لائمٍ

سَواءٌ لَعَمري جاهرٌ أو مُخــــافِـــتُ

وهل يُلْزِمُ الإنســانَ إلاَّ اخْــتِـيَـــارُهُ

وَهَلْ بِخَبَايا اللَّفْظِ يُؤخـذُ صامِـــتُ

*** *** ***

كيف لو نظر إلينا الخالق

حُكي أن حاتماً الأصم قال لأولاده: إني أريد الحج ، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا -وهم في فاقة من العيش- وكان له بنت لها من العمر سبع سنين، فقالت: ما يبكيكم دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فباتوا جياعاً فجعلوا يوبخون تلك الصبية ، فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم ، فجاز أمير البلد عليهم ، فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء فناولوه كوزاً جديداً وماءً بارداً فشرب.. وقال دار من هذه فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها منطقة من ذهب، وقال: من أحبني وافقني فرمى العسكر كله، فجلعت الصغيرة تبكي ، فقالت أمها: يا بنية ما يبكيك وقد وسع علينا؟ فقالت: يا أماه أبكي لأن مخلوقاً نظر إلينا نظرة فاستغنينا، فكيف لو نظر إلينا الخالق.

*** *** ***

أنا ذلك السائل

حُكي أنّ رجلاً جلس يوماً يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجةٌ مشويّة ، فوقف سائل ببابه ، فخرج وانتهره ، فذهب . فاتفق بعد ذلك أنَّ الرجل افتقر وزالت نعمته وطلّق زوجته، وتزوّجت بعده برجلٍ آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام وبين أيديهما دجاجةٌ مشويّةٌ، وإذا بسائل يطرقُ الباب ، فقال الرجل لزوجته : ادفعي إليه هذه الدجاجة فخرجت فإذا هو زوجها الأول ، فدفعت إليه الدجاجة ورجعت وهي باكية، فسألها زوجها عن بكائها، فأخبرته أنّ السائل كان زوجها، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها : أنا واللهِ ذلك السائل.

*** *** ***

من ساعة إلى ساعة

سخط كسرى على بزر جمهر فحبسه في بيت مظلم ، وأمر أن يقيد بالحديد ، فبقي أياماً على تلك الحالة، فأرسل إليه من يسأله عن حاله فإذا هو مشروح الصدر مطمئن النفس فقالوا له : أنت في هذه الحالة من الضيق ونراك ناعم البال. فقال : اصطنعت ستة أخلاط وعجنتها واستعملتها ، فهي التي أبقتني على ما ترون، قالوا: صف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلوى، فقال : نعم، أما الخلط الأول فالثقة بالله عز وجل، وأما الثاني فكل مقدر كائن، وأما الثالث فالصبر خير ما يستعمله الممتحن، وأما الرابع فإذا لم أصبر فماذا أصنع؟ ولا أعين على نفسي بالجزع، وأما الخامس فقد يكون أشد

مما أنا فيه، وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج، فبلغ ما قاله كسرى فأطلقه وأعزه.

*** *** ***

تأديب أحمد بن طولون لولده

قال عبدالله بن القاسم كاتب العباس بن أحمد بن طولون:

بعث إليّ أحمد بن طولون بعد أن مضى من الليل نصفُه، فوافيتُه وأنا منه خائف مذعور.

ودخل الحاجب بين يديّ وأنا في أثره، حتى أدخلني إلى بيتٍ مظلم، فقال لي: سلِّم على الأمير!

فسلَّمت. فقال لي ابن طولون من داخل البيت وهو في الظلام:

لأي شيء يصلح هذا البيت؟

قلت: للفكر.

قال: ولِمَ؟

قلت: لأنه ليس فيه شيء يشغل الطرف بالنظر فيه.

قال: أحسنت! امض إلى ابني العباس، فقل له: يقول لك الأمير اغدُ عليّ، وامنعه من أن يأكل شيئاً من الطعام إلى أن يجيئني فيأكل معي.

فقلت: السمع والطاعة.

وكان العباس قليل الصبر على الجوع، فرام أن يأكل شيئاً يسيراً قبل ذهابه إلى أبيه، فمنعته. فركب إليه، وجلس بين يديه، وأطال أحمد بن طولون عمداً، حتى علم أن العباس قد اشتدّ جوعه، وأُحضرت مائدة ليس عليها إلا البوارد من البقول المطبوخة، فانهمك العباس في أكلها لشدَّة جوعه، حتى شبع من ذلك الطعام، وأبوه متوقف عن الانبساط في الأكل، فلما علم أنه قد امتلأ من ذلك الطعام، أمرهم بنقل المائدة، وأُحضر كل لون طيِّب من الدجاج والبط والجدي والخروف، فانبسط أبوه في جميع ذلك فأكل، وأقبل يضع بين يدي ابنه منه، فلا يمكنه الأكل لشبعه.

قال له أبوه: إنني أردت تأديبك في يومك هذا بما امتحنتك به. لا تُلق بهمَّتك على صغار الأمور بأن تسهِّل على نفسك تناول يسيرها فيمنعك ذلك من كبارها، ولا تشتغل بما يقلّ قدرُه فلا يكون فيك فضلٌ لما يعظم قدرُه.

*** *** ***

غلبت الطبيعة الأدب

كان ملك من ملوك فارس له وزير مجرِّب حازم، فكان يتعرّف اليُمْن في مشورته، فهلك الملك، وأقام ابنه بعده، فلم يرفع له رأساً، فَذُكِر له مكانته من أبيه، فقال: كان أبي يغلط فيه، وسأريكم ذلك، فأحضره وقال له: أيّهما أغلب الأدب أم الطبيعة؟ فقال: الطبيعة؛ لأنها أصل والأدب فرع، وكل فرع

يرجع إلى أصله. فدعا الملك بسُفْرةٍ فوضعت، وأقبلت سنانير مُعلَّمة بأيديها الشمع، فوقفت حول السفرة، فقال له: اعتبر خطأك وضعف مذهبك، متى كان أبو هذه السنانير شماعاً ؟ فقال له: أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة. قال: ذلك لك. وخرج الوزير وأمر غلامه أن يسوق له فأرة، فساقها له حيَّة ، فربطها بخيط. فلمَّا راح إلى الملك، وضعها في كمِّه، ودخل. فأحضرت السفرة والسنانير بالشمع، فألقى لها الوزير الفأرة، فاستقبلت إليها، فتطاير الشمع حتَّى كاد البيت يضطرم عليها ناراً. فقال للملك: كيف رأيتَ؟ غلبت الطبيعةُ الأدبَ! قال: صدقت. ورجع إلى ما كان عليه أبوه.

*** *** ***

عظني يا طاوُس

قَدمَ هشام بن عبدالملك حاجّاً إلى بيت الله الحرام، فلمَّا دخل الحرم قال: ائتوني برجلٍ من الصحابة. فقيل له: يا أمير المؤمنين قد تفانوا. قال فَمِنَ التابعين، فأتيَ بطاوُس اليماني. فلمَّا دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلِّم بأمير المؤمنين ولم يكِّنه، وجلس إلى جانبه بغير إذنه، وقال: كيف أنت يا هشامُ؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى همَّ بقتله، فقيل له: يا أمير المؤمنين أنت في حَرَم الله وحَرَم رسوله فلا يكن منك ذلك، ثم التفتَ إلى طاوُس وقال له: ما حَمَلَكَ على ما صنَعتَ؟ قال: وما صنعتُ؟ قال: خلعت نعليكَ بحاشية بساطي، ولم تسلِّم عليّ، ولم تكِّنني، وجلستَ بإزائي بغير إذني، وقلت: يا هشامُ كيف أنتَ؟

فقال له طاوُس: أما خلْعُ نعلي بحاشية بساطك فإنّي أخلعهُما بين يدي ربّ العزّة في كل يوم خمسَ مرات ولا يُعاتبني ولا يغضبُ عليَّ، وأمَّا قولُك: لم تسلّم عليّ بإمرة أمير المؤمنين فليس كلّ المؤمنين راضين بإمرتك فخفتُ أن أكون كاذباً، وأمّا قولُك: لم تُكنني فإن الله عزّ وجلّ سمّى أنبياءه فقال: يا داود! يا عيسى! وكَنَّى أعداءه فقال: تبّت يدا أبي لَهب؛ وأمَّا قولك: جلستَ بإزائي فإنّي سمعتُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل وحَوْله قوم قيام. فقال هشام: عِظْني يا طاوُس. فقال: إنّي سمعتُ عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: إنّ في جهنّم حيات وعقاربَ كالبغال تلدغُ كلّ أمير لا يعدلُ في رعيّته. ثم قام وخرج.

*** *** ***

حال الناس

قيل لجميل بن مرّة: «مذ كم هجرت الناس؟».

قال: «مذ خمسين سنة».

فقيل له: «ولِمَ ذاك؟».

قال: «صحبتهم أربعين سنة، فلم أرَ فيهم غافراً لزلّة، ولا راحماً لعَبْرة، ولا مقيلاً لعثرة، ولا ساتراً لعورة، ولا حافظاً لخلّة، ولا صادقاً في مودّة، ولا راعياً لزمام حرمة، ولا صادقاً في خبره، ولا عادلاً في حكمه، فرأيت الشغل بهم حمقاً، والانقطاع عنهم رشداً».

الدواء الذي لا داء فيه

جمع الرشيد أربعة أطباء وقال: ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه. فقال الأول: الذي لا داء فيه عندي هو الأهليج الأسود. وقال الثاني: هو حب الرشاد الأبيض. وقال الثالث: هو عندي الماء الحار. وقال الرابع -وكان أعلمهم-: الأهليج يعفن المعدة وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة وهو داء، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء، قالوا فما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك منه وأنت تشتهيه، فقالوا: صدقت.

***   ***   ***

وصية امرأة لابنتها ليلة زفافها

خطب عمرو بن حجر إلى عَوْف بن مُحَلِّم الشيباني ابنته أمّ إياس، فأنكحه إيّاها. فلمّا كان بناؤها به خلت بها أمّها فقالت: أي بُنيّة: إنّكِ فارقتِ بيتكِ الذي منه خرجتِ، وعُشّكِ الذي فيه درجتِ، إلى رجلٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تالفيه، فكوني له أَمَةً يكنْ لكِ عبداً، واحفظي له خِصالاً عَشْراً يكن لكِ ذُخْراً. أمّا الأولى والثانية: فالخشوعُ له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة. وأمّا الثالثة والرابعة: فالتفقُّد لموضع عينِهِ وأنفِهِ، فلا تقع عينه منكِ على قبيحٍ، ولا يشمّ منكِ إلاّ أطيب ريحٍ. وأمّا الخامسة والسادسة: فالتفقُّد لوقتِ منامه وطعامِهِ، فإنّ تواتر الجوع مَلْهَبَة، وتنغيصَ النوم مَغْضَبة. وأمّا السابعة والثامنة: فالاحتراسُ

بماله، والإرْعاءُ على حَشَمِهِ وعيالِه، وملاكُ الأمرِ في المال حُسن التقدير، وفي العيال حُسن التدبير. وأمَّا التاسعة والعاشرة: فلا تَعْصنَّ له أمراً، ولا تُفْشِنَّ له سِرّاً، فإنّك إن خالفتِ أمره أوغرتِ صدره، وإن أفشيت سرّه لم تأمني غدره.

ثم إيّاك والفرح بين يديه إذا كان مهتمّاً، والكآبة بين يديه إذا كان فَرِحاً.

فولدت له الحارث بن عمرو (جدّ امرئ القيس الشاعر).

*** *** ***

في مجلس الوزير ابن الجرّاح

اجتمع يوماً ابن داود الظاهري وأبو العبّاس بن سُرَيج في مجلس الوزير ابن الجرَاح، فتناظرا في الإيلاء. فقال ابن سُرَيج: أنتَ بقولك: «مَن كثُرت لحظاتُهُ دامت حسراتُهُ» أبصر منك بالكلام في الإيلاء. فقال أبو بكر (محمد بن داود الظاهري) لئن قلت ذلك فإنّي أقول:

أُنَزِّهُ في رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتي
وَأَمنَعُ نَفْسِي أن تَنَالَ مُحَرَّمَا
وَأَحْمِلُ مِن ثِقْلِ الهَوَى مَا لَوَ أنّهُ
يُصَبُّ على الصَّخْرِ الأصمِّ تَهَدَّمَا
وَيَنْطِقُ طَرفي عن مُتَرْجَم خاطِري
فَلَوْلاَ اخْتِلاسِي رَدَّهُ لتكلَّمَا

رأيتُ الهَـوَى دَعْـوَى مِن النَّاسِ كلِّهِمْ
فمـا إنْ أرَى حيّـاً صحيحـاً مُسـلَّمـا

فقال ابن سريج: وبمَ تفتخرُ عليَّ ولو شئتُ أنا لقلتُ:

ومُسـاهِرٍ بـالغَنْـجِ مِن لَـحَظاتِـه
قَـدْ بِـتُّ أمْنَعُـهُ لذيـذَ سُبـاتـه
ضَنّاً بحُسْـنِ حَـديثِـهِ وَعِـتَـابِهِ
وأكـرّرُ اللَّحَـظَـاتِ في وَجَنَـاتِـه

فقال أبو بكر: يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهِدَيْ عَدْلٍ أنّه ولّى بخاتم ربّه. فقال ابن سُرَيْج: يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك أنزّه في روض..

فضحك الوزير وقال: لقد جمعتما ظرْفاً ولُطفاً وفهماً وعلماً.

*** *** ***

أنت لا تعدل

قيل: إنَّ المهدي قال للخَيْزران: أريد أن أتزوّج، وكانت بكتاب، فقالت له: لا يحلّ لك أن تتزوّج عليَّ. قال: بَلى. قالت له: بيني وبينك مَن شئتَ. قال: أترضَيْن سُفيان الثوري؟ قالت: نعم.. فوجّه إلى سُفيان فقال: إنّ أمَّ الرشيد تزعم أنّه لا يحلّ لي التزوّج عليها، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء: ٣] ثمَّ سكتَ، فقال له سُفيان: أتمَّ الآية:

يريد قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] وأنتَ لا تعدل. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها.

*** *** ***

المغيرة يخطب بنت تسعين

من أخبار المغيرة أنّه- وهو والي الكوفة لمعاوية- سار إلى دير هند بنت النعمان ابن المنذر، وهي فيه عَمْياء مترهّبة -على دين النصرانية- وكانت بنت تسعين سنة، فاستأذنَ عليها، فقيل لها: أمير هذه المَدَرَة بالباب، فقالت: قولوا له أمِن وَلَد جَبَلَة بن الأيْهَم أنتَ؟ قال: لا. قالت: أفمِنْ وَلَد المنذر بن ماء السماء؟ قال: لا. قالت: فمن أنتَ؟ قال: المغيرة بن شعبة الثقفي. قالت: فما حاجتك؟ قال: جئتكِ خاطباً. قالت: لو كنتَ جئتني لجمالٍ أو لمالٍ لأطْلَبْتُكَ. ولكنّك أردتَ أن تتشرف بي في محافل العرب فتقول: نكحتُ ابنة النعمان بن المنذر، وإلاّ فأيُّ خيرٍ في اجتماع أعورَ وعمياء! فبعث إليها، كيف كان أمركم؟ فقالت: سأختصر لكَ الجواب، أمسينا مساءً وليس في الأرض عربيٌّ إلاّ وهو يرغب إلينا ويَرْهَبُنا، ثمّ أصبحنا وليس في الأرض عربي إلاّ ونحن نرغب فيه ونَرْهَبُهُ، ثمّ انصرف المغيرة.

*** *** ***

لأكونَنَّ بزّازاً

كان أبو الشمقمق الشاعر الظريف المشهور قد لزم بيته لأطمار رثة كان

يستحي أن يخرج بها إلى الناس، فقال له بعض إخوانه يسليه عما رأى من سوء حاله: أبشر يا أبا الشمقمق فقد روي أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة. فقال له: إن كان ذلك حقاً فوالله لأكونن بزازاً يوم القيامة.

*** *** ***

الغم يذيب الشحم

كان بعض الملوك قديماً، كثير الشَّحم لا يَنْتَفِعُ بنفسه، فجمع الحكماءَ وقال: احتالوا لي بحيلةٍ كَي يُخفَّفَ عنيّ لحمي هذا قليلاً. فما قَدَروا له على شيء.

فجاء رجلٌ عاقلٌ لبيبٌ مُتَطَبِّبٌ فقال له الملك: عالجني ولك ما شئتَ من المال.

قال: أصلحَ اللّهُ الملكَ! أنا طبيب منجِّم، دَعْني حتّى أنظرَ الليلة في طَالِعك لأرى أيَّ دواءٍ يوافقه فلمّا أصبح قال: أيُّها الملكُ، الأمانَ! فلمّا أمّنه قال: رأيتُ طالعَك يدلّ على أنه لم يبقَ من عمرك غيرُ شهرٍ واحدٍ، فإن اخترتَ عالجتك، وإن شئتَ معرفة صِدْقِ ذلك فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقةٌ فخَلِّ عنّي وإلاّ فاقتصّ منّي.

فحبسه الملكُ وأمر برفع الملاهي واحْتَجَبَ عن الناس، وخَلا وحدَه مُغتمّاً، وكلّما مضى يوم من الشهر زاده غمّاً حتى هزل جسمُه وخفّ لحمُه وذاب شحمُه.

فلمّا لم يبقَ من الشهر إلاّ يومٌ واحدٌ بعثَ الملكُ إلى المنجّم فأخرجه من سجنه، وقال له: ما ترى؟ قال: أعزّ اللّهُ الملكَ أنا أهون على اللّه من أن أعلمَ الغيب، والله إنّي لم أعلم عمري، فكيف أعلم عمرك؟! ولكن لم يكن عندي

دواءٌ لك إلاّ الغمّ، فلم أقدرْ أن أجلب إليك الغَمَّ إلاّ بهذه الحيلة. فإنّ الغمّ يُذيب الشحم؛ فأجازه الملكُ على ذلك، وأحسنَ إليه غايةَ الإحسان، وذاق الملك حلاوة الفرح بعد مرارة الغَمّ.

*** *** ***

ويل لطلاب الدنيا

كان في غابرِ الزمانِ ثلاثة سائرين، فوجدوا كنزاً، فقالوا: قد جُعنا فليمض واحدٌ منا وليبتع لنا طعاماً. فمضى أحدهم ليأتيهم بطعام، فقال: الصوابُ أن أجعلَ لهما في الطعام سماً قاتلاً، ليأكلاهُ فيموتا، وأنفردَ أنا بالكنز دونهما؛ ففعلَ ذلكَ وسمَّ الطعامَ. واتفقَ الرجلانِ الآخرانِ أنهما إذا وصلَ إليهما بالطعام قتلاهُ وانفردا بالكنز دُونهُ، فلما وصلَ إليهما بالطعام المسمومِ، قتلاهُ وأكلا من الطعام فماتا. فاجتازَ بعض الحكماءِ بذلك المكان، فقالَ لأصحابه: هذه الدنيا، فانظروا كيفَ قتلتْ هؤلاءِ الثلاثةَ، وبقيتْ بعدهمْ. ويلٌ لطلابِ الدنيا من الدَّيَّانِ.

*** *** ***

جوامع الطبّ

قال الحجاج بن يوسف الثقفي لطبيبه: أخبرنا بجوامع الطبّ؛ فقال: لا تنكح إلاَّ فتاةً، ولا تأكل من اللحم إلا فتيًّا، وإذا تغديتَ فنمْ، وإذا تعشيت فامش ولو على الشوك، ولا تُدخل بطنكَ طعاماً حتى تَستَمرئ ما فيه، ولا تأو إلى فراشك حتى تدخل الخَلاء، وكل الفاكهة في إقبالها وذرها في إدبارها.

وصيّة أب لابنته عند زواجها

لما زوّج أسماءُ بن خارجة ابنته دخل عليها ليلة بنائها فقال: يا بنيّة ، كُوني لزوجكِ أمَةً يكن لك عبداً، ولا تقربي منه جداً فيملّكِ أو تَملّيه، ولا تَبَاعَدِي عنه فتُثقلي عليه، وكُوني له كما قلتُ لأمّكِ:

خُذي العفوَ منّي تَستديمي مَودّتي
ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ
ولا تَنْقُريني نِقْرَةَ الدفِّ مرّةً
فإنّكِ لا تَدرينَ كيف المُغَيَّبُ
فإنّي رأيتُ الحُبَّ في القلب والأذى
إذا اجْتَمَعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

*** *** ***

بلاغة أعرابي

قيل: لقي الحجّاج أعرابياً فقال له: ما بيدك؟ فقال: عصايَ أركزها لصلاتي، وأعدّها لعداتي، وأسوق بها دابتي، وأقوّي بها سفري، وأعتمد عليها في مشيتي ليتّسع خطوي، وأثبُ بها على النهر، وتؤمنني العثر، وألقي عليها كسائي فيقيني الحرّ، ويجنّبني القرّ، وتدني إليّ ما بَعُدَ عنّي، وهي محمل سُفرتي، وعلاقة أدواتي، أقرع بها الأبواب، وألقى بها عقور الكلاب،

وتنوب عن الرّمح في الطعان، وعن السّيف في منازلة الأقران، ورثتها عن أبي، وسأورثها ابني من بعدي، وأهشُّ بها على غنمي، ولي فيها مآرب أخرى. فبهت الحجّاج، وانصرف.

*** *** ***

وفاء أعرابي

قيل: أُتي الحجّاج بقومٍ كانوا قد خرجوا عليه، فأمر بقتلهم وبقي واحدٌ منهم، فأقيمت الصلاة، فقال الحجّاج لقتيبة بن مسلم: ليكن عندك وتغدو به علينا، قال قتيبة: فخرجت والرّجل معي، فلمّا كنّا في الطريق قال لي: هل لك في خير؟ قلت: وما هو؟ قال: إنّ عندي ودائع للنّاس، وإنّ صاحبك لقاتلي، فهل لك أن تخلي سبيلي؛ لأودّع أهلي وأعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه، وأوصي بما عليَّ ولي، والله كفيلٌ لي أن أرجع إليك بُكرةً، قال: فتعجّبت من قوله وتضاحكت. قال: فأعاد عليّ القول وقال: يا هذا، والله كفيلٌ أن أعود إليك، وما زال يُلحُّ إلى أن قلت: اذهب. فلمّا توارى عنّي كأنني انتبهت، فقلت: ما صنعت بنفسي، ثمّ أتيت أهلي فباتوا بأطول ليلة، فلمّا أصبحنا إذا برجلٍ يقرع الباب، فخرجت وإذا به، فقلتُ: رجعتَ؟ فقال: جعلت الله كفيلاً ولا أرجع! فانطلقت، فلمّا بصر بي الحجّاج قال: أين الأسير؟ قلت: بالباب أصلح الله الأمير، فأحضرته وقصصت عليه القصّة فجعل يردّد نظره إليه، ثمّ قال: وهبته لك. فانصرفت به، فلمّا خرجت من الدّار قلت له:

اذهب أين شئت، فرفع بصره إلى السّماء وقال: اللهمَّ لك الحمد، ولا قال لي: أحسنت ولا أسأت. فقلت في نفسي: مجنونٌ وربِّ الكعبة. فلمّا كان في اليوم التالي جاءني، فقال: يا هذا جزاك الله عنّي أفضلَ الجزاء، والله ما ذهب عنّي أمس ما صنعتَ، ولكن كرهت أن أُشرك في حمد الله أحداً..

*** *** ***

درس في القسمة

زعموا أنَّ أسداً وثعلباً وذئباً اصطحبوا، فخرجوا يتصيّدون، فصادوا حماراً وأرنباً وظبياً. فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا صيدنا. فقال: الأمر أبيَن من ذلك:

الحمار لكَ والأرنب لأبي معاوية (يعني الثعلب) والظبي لي. فخبطه الأسد فأطاح رأسه، ثمَّ أقبل على الثعلب وقال: قاتله اللّه ما أجهله بالقسمة! هاتِ أنت يا أبا معاوية. فقال الثعلب: يا أبا الحارث، الأمر أوضح من ذلك:

الحمار لغدائك، والظبي لعشائك، والأرنب فيما بين ذلك. فقال له الأسد: قاتلك اللّه ما أقضاك! مَن علَّمك هذه الأقضية؟ قال: رأسُ الذئبِ الطائحُ عن جثّته.

*** *** ***

التآلف ضد العدو

لمّا مَاتَ بعضُ الخلفاء تجيَّشت الرومُ، واحتشدتْ، واجتمعت مُلُوكها وقالوا: الآن يستقلُّ المُسلمُونَ بعضهم ببعضٍ، فَتُمكنُنَا الغرَّةُ فيهمْ، والوثبةُ

عليهم. وضربوا في ذلك مُشاورات، وتراجعوا فيه بالمناظرات، وأجمعوا على أنها فرصةُ الدَّهر، وثُغرةُ النَّحر. وكانَ رجلٌ منهم من ذوي الرأي والمعرفة غائباً عنهم، فقالوا: من الحزم عرضُ الرأي عليه. فلمَّا أخبروهُ بما أجمعوا عليه قال: لا أرى ذلكَ صواباً. فسألوهُ عن علّة ذلك فقال: غداً أخبركم إن شاء الله. فلما أصبحوا غدوا عليه للوعد وقالوا: لقد وعدتنا. قال: نعم. فأمرَ بإحضار كلبين عظيمين قد أعدَّهُما، ثُمَّ حَرَّشَ بينهُما، وألَّبَ كلَّ واحد منهما على الآخر، فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما، فلما بلغ الغاية، فتح باب بيت عنده، وأرسلَ منهُ على الكلبين ذئباً عنده قد أعدَّهُ. فلما أبصراهُ، تركا ما كانا عليه وتألّفت قُلُوبهما، ووثبا جميعاً على الذئب فنالا منه ما أرادا. ثمَّ أقبلَ الرَّجُلُ على أهل الجمع فقال لهم: مثلكم مع المسلمين مثلُ هذا الذئب مع الكلاب، لا يزال الهرجُ والقتالُ بينهم، حتى إذا ما برز لهم عدو، تركوا نزاعاتهم وتآلفوا على العدو، فاستحسنوا قوله، وأخذوا به.

*** *** ***

كل جديد إلى بلى

قال أبو المهلهل الخزاعي: ارتحلت إلى الدهناء، فسألتُ عن ميّ صاحبة ذي الرمة.

فدفعت إلى خيمة فيها عجوز، فسلمت عليها وقلت: أين منزل ميّ؟

فقالت: ها أنا ميّ.

فقلت: عجباً من ذي الرمة، وكثرة قوله فيكِ!

قالت: لا تعجب، فإني سأقوم بعذره؛ ثم قالت: فلانة؟ فخرجت من الخيمة جارية ناهد، عليها برقع؛ فقالت لها: أسفري، فلما أسفرت تحيرت لما رأيتها من حسنها وجمالها. فقالت: علقني ذو الرمة وأنا في سنّ هذه، وكل جديد إلى بلى.

قلت: عذرته والله! واستنشدتها من شعره، فأنشدتني.

***   ***   ***

النساء أربع والرجال أربعة

كان المغيرة بن شعبة يقول: «النساء أربع والرجال أربعة: رجلٌ مذكّر وامرأة مؤنّثة، فهو قوّام عليها. ورجلٌ مؤنّثٌ وامرأة مذكّرة، فهي قوّامة عليه. ورجلٌ مذكّرٌ وامرأة مذكرّة، فهما كالوَعْلَين ينتطحان. ورجلٌ مؤنّثٌ وامرأةٌ مؤنّثة، فهما لا يأتيان بخيرٍ ولا يُفلحان».

القسم الثاني

طرف ونوادر

الخلفاء..

والأمراء..

الولاة..

كنية العرب

نظر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى جارية له سوداء تبكي فقال: ما شأنُكِ؟ قالت: ضربني ابنكَ أبو عيسى. قال: أو قد تكنَّى بأبي عيسى! عليَّ به. فأحضروه، فقال: ويحكَ أكانَ لعيسى أبٌ فتكنّى به! أتَدري ما كُنَى العرب! أبو سلمة، أبو طلحة، ثمّ أدّبهُ.

*** *** ***

بين معاوية وأهل الشام

قال معاوية يوماً لأهل الشام، وعنده عقيل بن أبي طالب: هل سمعتم قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ١ - ٢]. قالوا: نعم. قال: فإنَّ أبا لَهَب عم هذا الرجل، وأشار إلى عَقيل. فقال عَقيل: يا أهل الشام، هل سمعتم قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ٤ - ٥]. قالوا: نعم. قال: فإنَّها عمَّة هذا الرجل، وأشار إلى معاوية.

*** *** ***

قبّحه الله!

استعمل معاوية عاملاً من قبيلة كلب، فخطبَ يوماً، فذكر المجوس فقال: لعنهم الله! ينكحون أمهاتهم، والله لو أعطيتُ عشرة آلاف درهم ما نكحتُ

أمّي. فبلغ ذلك معاوية، فقال: قبّحه الله! أترونه لو زادوه فعلَ! وعزله.

***   ***   ***

هلا قلتَ!

قيل: إنّ أبا بكر -رضي الله عنه- رأى رجلاً بيده ثوب، فقال له: هو للبيع؟ فقال الرجل: لا أصلحكَ اللهُ! فقال الصدّيق: هلاّ قُلْتَ: لا، وأصلحكَ الله؛ لئلاّ يشتبه الدعاءُ لي بالدعاء عليّ!

***   ***   ***

هذا زياد بن أبي سفيان!

كانت سُميّة أم زياد بن أبيه بغيّاً، وكان أبو سفيان بن حرب يقول: أنا والله وضعته في رحم أمّه سميّة وما له أبٌ غيري. فلما ولي معاوية الخلافة صعد المنبر وأمر زياداً فصعد معه، ثم قال: أيها الناس، إني قد عرفتُ شبهنا أهل البيت في زياد، فمن كانت عنده شهادة فليقمها.

فقام الناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان. وجمع له معاوية الكوفة والبصرة.

وكان رجل من بني مخزوم أعمى يُكنى أبا العريان؛ فمرَّ به زياد في موكبه، فقال الأعمى: من هذا؟ قالوا: زياد بن أبي سفيان. قال: ما ولد أبو سفيان إلا فلاناً وفلاناً، فمن هذا، فوالله لرُبَّ أمرٍ قد نقضه الله، وبيت قد هدمه الله، وعبد قد ردَّه الله إلى مواليه.

فبلغ معاوية قوله، فأرسل إلى زياد:

ثكلتك أمّك، اقطع لسانَ أعمى بني مخزوم!

فبعث إليه زياد بألف دينار، وقال لرسوله:

أقرئه السلام، وقل له: يقول لك ابن أخيك أنفق هذه حتى يأتيك مثلُها.

ومرّ به زياد من الغد، فسلّم، فقال قائل: مَن هذا؟ فقال الأعمى المخزومي:

هذا زياد بن أبي سفيان! وجعل يبكي ويقول:

والله إني لأعرف منه حزم أبي سفيان ونُبله!

***   ***   ***

خبرُ الحجّام مع الحجّاج

احتجم الحجّاج ذات يوم، فلما ركب الحجام المحاجم على رقبته قال له: أُحبّ أيها الأمير أن تخبرني بخبرك مع ابن الأشعث، وكيف عصا عليك فقال له: لهذا الحديث وقت آخر، وإذا فرغت من شأنك حدّثتك.

فأعاد الحجام مسألته وكرّرها، والحجّاج يدفعه ويعده ويحلف له على الوفاء له.

فلما فرغ ونزع المحاجم عنه وغسل الدم، أحضر الحجّام وقال له: إنّا وعدناك بأن نحدّثك حديث ابن الأشعث معنا، وحلفنا لك، ونحن محدّثوك.

ثم نادى: يا غلام، السِّياط!

فأُتي بها. فأمر الحجاج بالحجام فجُرِّد، وعلته السياط، وأقبل الحجاج يقصّ عليه قصة ابن الأشعث بأطول حديث. فلما فرغ استوفى الحجام خمسمائة سوط، فكاد يتلف.

ثم رفع الضرب وقال له:

قد وفَّينا لك بالوعد، وأيّ وقت أحببت أن تسأل خبرنا مع غير ابن الأشعث على هذا الشرط أجبناك!!

*** *** ***

أنت لها

استعمل معاويةُ عبدالرحمن بن خالد بن الوليد على الجيش وقد جاشت[١] الروم، وكتب له عهداً، ثم قال له:

ما تصنع بعهدي هذا؟

قال: أتَّخذه إماماً فلا أتجاوزه.

قال معاوية:

(١) جاشت الروم: جمعت جيوشها.

ردَّ عليَّ عهدي.

وعزله، ثم بعث إلى سفيان بن عوف الغامدي، فقال له قد ولّيتك الجيش وهذا عهدي، فما أنت صانع به؟

قال: أتخذه إماماً ما وافق الحزم، فإذا خالفه خالفته وأعملتُ رأيي.

قال معاوية: أنت لها!

*** *** ***

أطلقوهم لفصاحتهم

حكي أن الحجاج طاف ليلة فظفر بثلاثة رجال ثملين فقال:

من أنتم؟

فأجاب أحدهم:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قِدرَه
وإن نزلت يوماً فسوف تعود
ترى الناس أفواجاً إلى ضوء ناره
فمنهم قيامٌ حولها وقعود

وأجاب الثاني:

أنا ابن من دانت الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيـــــه بالـرغـم وهـي صـــاغـــرة

يأخــــذ مــن مالهــــا ومــن دمهــــا

وأجاب الثالث:

أنا ابـن الذي خـاض الصـفـوف بعـزمـه

وقومهــــا بالســيف حتى اســتقامـت

رجـــلاه لا تنفـك ركـــبـــاه عنهــمــا

إذا الخيـــل في يــوم الكريهــة ولّـــت

فاستقصى الحجاج عن آبائهم فإذا أبو الأول طباخ، وأبو الثاني حجام، وأبو الثالث حائك.. فقال: لله درهم، أطلقوهم لفصاحتهم.

*** *** ***

أتعرفني

قال أبو إسحاق الجهمي: لما صرف الحجاج قال لغلام له: تعال نتنكر وننظر ما لنا عند الناس، فتنكرا وخرجا، فمرا على المطلب غلام أبي لهب، فقالا: يا هذا! أي شيء على الحجاج؟ قال: على الحجاج لعنة الله. قالا: فمتى يخرج؟ قال: أخرج الله روحه من بين جنبيه ما يدريني. قال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج بن يوسف. قال المطلب: أتعرفني أنت؟؟ قال: لا. قال: أنا المطلب غلام أبي لهب، معروف، أصرع في كل شهر ثلاثة أيام أولها اليوم، فتركه ومضى.

أنا الحجاج

حكى أبو الحسن بن هلال الصابي أن الحجاج انفرد يوماً من عسكره فمر ببستاني يسقي ضيعته، فقال: كيف حالكم مع الحجاج؟ فقال: لعنه الله المبيد البر، الحقود، عجل الله الانتقام منه، فقال له: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا الحجاج، فرأى أن دمه قد طاح، فرفع عصا كانت معه، فقال: أتعرفني؟ قال: لا. قال: أنا أبو ثور المجنون، وهذا يوم صرعي وأزبد وأرغى وهاج، وأراد أن يضرب رأسه بالعصى، فضحك منه وانصرف.

*** *** ***

السر الذي بيني وبينك

انفرد الحجاج يوماً عن عسكره فلقي أعرابياً، فقال: يا وجه العرب، كيف الحجاج؟ قال: ظالم غاشم. قال: فهلا شكوته إلى عبدالملك؟ فقال: لعنه الله أظلم منه وأغشم؛ فأحاط به العسكر، فقال: أركبوا البدوي، فأركبوه، فسأل عنه، فقالوا: هو الحجاج، فركض من الفرس خلفه، وقال: يا حجاج! قال: ما لك؟ قال: السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد، فضحك وخلاه.

*** *** ***

أعمى القلب

كتب الخليفة المنصور إلى عامله أن يُقسم مالاً قد خصصه للقواعد من

النساء، والعميان والأيتام... فجاء أحدهم إلى العامل، فقال له: «اكتبني في القواعد».

فقال العامل: «ويحك! إنّ القواعد هنّ النساء اللواتي لا أزواج لهنّ».

فقال: «اكتبني إذن في العميان!».

فقال: «اكتبوه لأن الله تعالى يقول: ﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

*** *** ***

كلام الليل يمحوه النهار

كان الأمين يطوف في قصر له، إذ مرّ بجارية له سكرى، وعليها كساء خزّ، تسحب أذيالها، فوعدته أن تزوره في اليوم التالي. فلمّا كان الغد مضى إليها، وقال لها: الوعد. فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمتَ أنّ كلام الليل يمحوه النهار، فضحك وخرج إلى مجلسه، وسأل عمّن بالباب من شعراء الكوفة، فقيل له: مصعب، والرقاشي، وأبو نواس. فأمر بهم، فدخلوا. فلمّا جلسوا بين يديه، قال: ليقل كل واحد منكم شعراً يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار. فأنشأ الرقّاشي يقول:

متى تصحو وقلبكَ مُستطارُ

وقد مُنِعَ القرارُ فلا قَرَارُ

وقــد تركــتكَ صــبًّــا مُــســتــهــامــاً

فتـــــاةٌ لا تــــــزورُ ولا تُــــــزارُ

إذا اســتنجــزتَ منهــا الوعــدَ قــالت :

كـــلامُ الـلَّيـــل يمحُـــوهُ النَّهـــارُ

وقال مصعب :

أتعـــذلين وقـلبي مُـــســـتطارُ

كئـيـبٌ لا يقـرُّ لـــه قـــــرارُ

يحبُّ مَليـــحـــةً صـــادت فُـــؤادي

بـألحـــاظٍ يُخالطـهــا احـــورارُ

ولـمّـــا أن مـــددتُ يدي إليـــهـــا

لألمســـها بـــدا منهـــا نِـفـــارُ

فـــقلتُ لهـــا عـــديني منكِ وعـــداً

فَقالـت : في غـــدٍ منـــكَ المـــزار

فلمَّـا جـئتُ مـقـتـضـيـاً أجـابت :

كـــلامُ اللَّيـــل يَمْحُـــوهُ النهـــارُ

وقال أبو نواس:

وَخُـــودٍ أقــبلتْ في القــصــر سَكرى
ولــكن زَيَّـــن السُّـــكرَ الـــوَقَـــارُ
وَهَـزَّ المـشـيُ أردافــــــاً ثـقـــــالاً
وغصنـــــاً فيــــهِ رُمَّـــانٌ صِغــــــارُ
وقـــد سَـــقطَ الردا عن منكبــيـــهــا
مـن التَّجميـــش وانحــــــلَّ الإزارُ
فـقلتُ: الوعـدَ سـيِّـد تي، فـقــالتْ:
كـــلامُ اللَّيـــلِ يَمْحُـوهُ النهـــــارُ

*** *** ***

كسرى وأحد خواصّه

أحب كسرى امرأة رجلٍ من خواصّه، فكان يختلفُ إليها سرّاً وتختلفُ إليه، فعلمَ الرجلُ بذلك فهجرَها وتركَ فراشها. فأخبرت الملك بذلك، فقال له يوماً: بلغني أنّ لك عيناً عذبةً وأنّك لا تشربُ منها، فقال الرجل: بلغني أيّها الملك أنّ الأسد يَردُها فخفتهُ، فتركتها له!

*** *** ***

ما أعلمك إلا حببتهن إليّ

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنتُه عائشة ، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: هذه تُفاحةُ القلب، فقال: انبذها عنك، قال: ولمَ؟ قال: لأنهُنَّ يلدْن الأعداء، ويُقرِّبن البُعداء، ويورثنَ الضغائن، فقال: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرَّض المرضى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلُهن، وإنك لواجد خالاً قد نفعه بنو أخته ، فقال له عمرو: ما أعلمُكَ إلا حببتهُنَّ إليَّ..

★★★ ★★★ ★★★

رأي في النساء

دخلَ أبو النجم على هشام بن عبدالملك وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له هشام: ما رأيك في النساء؟ قال: إني لأنظرُ إليهن شزراً وينظرن إليَّ خزراً. فوهب له جاريةً وقال له: اغدُ عليَّ فأعلمني ما كان منك. فلما أصبح غدا عليه ، قال له: ما صنعتَ؟ فقال: ما صنعتُ شيئاً، ولا قدرتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً، ثم أنشدهُ:

نظرت فأعجبها الذي في درعها
من حُسنه ونظرتُ في سرباليا
فرأت لها كفلاً يميلُ بخصرها
وعثاً روادفُه وأجثمَ جاثياً

ورأيتُ مُنتشر العجان مُقلصاً
رخواً مفاصله وجلداً باليا
أُدني له الرَّكبَ الحليق كأنما
أُدني إليه عقارباً وأفاعيا
إنَّ الندامة والسَّدامةَ فاعلمن
لو قد صبرتُكَ للمواسي خاليا
ما بالُ رأسكَ من ورائي طالعاً
أظننتَ أن حرا الفتاة ورائيا
فاذهب فإنكَ ميتٌ لا يُرتجى
أبدَ الأبيد ولو عمرت لياليا
أنت الغرورُ إذا خُبِّرت وربَّما
كان الغرورُ لمن رجاهُ شافيا

فضحك هشام وأمر له بجائزة.

***   ***   ***

ولا أجلَّ آخراً

دخل العالم النسَّابة النخار العذري على معاوية في عباءة له فاحتقره، فرأى ذلك النخار في وجهه، فقال له: يا أمير المؤمنين، ليست العباءة تُكلمك، إنما يكلمك من فيها، ثم تكلم، فملأ سمعه ثم نهض ولم يسألهُ، فقال معاوية: ما رأيتُ رجلاً أحقر أولاً، ولا أجلَّ آخراً منه..

*** *** ***

لولا هاجر لكنت كلباً

قال الجاحظ: قال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان: لو كان رجلٌ من ذهب لكنته، قال: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمةٌ ما بيني وبين آدم إلا هاجرُ، أمُّ إسماعيل بن إبراهيم الخليل- فقال له عبدالملك: لولا هاجرُ لكُنت كلباً من الكلاب..

*** *** ***

المقادير تصيِّر العيّ خطيباً

حُكي انه وصف عند الحجّاج رجلٌ بالجهل، وكانت إليه حاجة، فقال في نفسه: لأختبرنّه. ثم قال حين دخل عليه: أعصاميٌّ أنت أم عظاميّ؟ فقال الرجل: أنا عصاميّ وعظامي. فقال الحجّاج: هذا أفضل الناس، وقضى حاجته وزاده. ومكث عنده مدّة، ثمّ فاتشه فوجده أجهل الناس، فقال له: تصدقني

وإلا قتلتك. قال له: قل ما بدا لك وأصدقك. قال: كيف أجبتني بما أجبت، لما سألتك عما سألت؟ قال له: والله لم أعلم أعصامي خيرٌ أم عظامي؟ وخشيتُ أن أقول أحدهما فأخطئ، فقلت: أقول كليهما، فإن ضرّني أحدهما نفعني الآخر. فقال الحجّاج عند ذلك: المقاديرُ تصيّرُ العيَّ خطيباً، فذهبت مثلاً.

*** *** ***

الأعرابي الشاعر والخليفة

استدعى بعضُ الخلفاء شُعراءَ مصرَ، فصادفهم شاعرٌ فقير بيده جرَّةٌ فارغةٌ ذاهباً بها إلى البحر ليملأها ماءً فتبعهم إلى أن وصلوا إلى دار الخلافة، فبالغ الخليفة في إكرامهم والإنعام عليهم، ورأى ذلك الرَّجل والجرَّةُ على كتفه، ونظرَ إلى ثيابه الرَّثَّة وقال: من أنت وما حاجتُكَ؟ فأنشدَ:

ولما رأيتُ القوم شدُّوا رحالهم ... إلى بحركَ الطّامي أتيتُ بجرَّتي

فقال الخليفةُ: املؤوا له الجرة ذهباً وفضَّة، فحسدهُ بعضُ الحاضرين وقالوا: هذا فقيرٌ مجنونٌ لا يعرفُ قيمة هذا المال، وربَّما أتلفهُ وضيَّعهُ. فقال الخليفةُ: هو مالُهُ يفعلُ به ما شاء. فمُلئت له ذهباً، وخرجَ إلى البابِ، ففرَّقَ الجميع. وبلغَ الخليفة ذلك، فاستدعاهُ وعاتبهُ على ذلك. فقال:

يجودُ علينا الخيِّرونَ بمالهم ... ونَحنُ بمال الخيرينَ نجودُ

فأعجبهُ ذلك، وأمرَ أن تملأ له عشر مرَّات، وقال: الحسنةُ بعشر أمثالها.

إذا تكلم جلا عن نفسه

قال عبدالملك بن عمر: قدم علينا الأحنف بن قيس الكوفة مع مصعب بن الزبير، فما رأيتُ خصلة تُذمّ إلاّ وقد رأيتُها في الأحنف: كان صنعلَ الرأس مُتراكب الأسنان، أشدق مائل الذقن، ماتئ الوجه، غائر العينين خفيف العارض، أحنف الرِّجل، ولكنَّه إذا تكلم جلا عن نفسه.

*** *** ***

قم وإلا وقعتما في فتنة

قال بعضهم: لقيت امرأةً من قومي بمكة فجلستُ أحدثها، وعبدالله بن عباس رضي الله عنه يُصلي، فسمعني أقول لها: يا فلانة استوحشَ لفراقك القلب، وجاورني من لا أهوى، فكنتُ كما قال الأول:

أيبعُدُ من أهوَى وتُسعفُنا النَّوى بمنْ لا يُبالي أن يُفارقهُ أهلي

فاقبل عليَّ ابن عباس، وقال: مَن هذه منكَ؟ قلتُ: من العشيرة وبناتِ العمّ، فقال: قُمْ وإلا وقعتُما في فتنة، إنَّ النساء حبَائلُ الشيطان، فإياكَ أن تخلو بامرأة إلاّ أن تكون محرماً.

*** *** ***

زوجي يصوم ويقوم

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي

يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكرهُ أن أشكُوه إليك، وهو يقوم بطاعة الله عز وجل!! فقال لها: جزاكِ الله خيراً مُثنيةٍ على زوجها، وكأن عمر لم يفهم عنها، وكان في المجلس كعبُ بن سؤرٍ الأزدي، فأخبر عمر أنها تشكو أنَّهُ ليس لها من زوجها نصيب، فأمره عمر أن يسمع منها ويقضي بينهما، فقضى للمرأة بيومٍ من أربعة أيام وليلةٍ من أربع ليال، فسأله عمر عن ذاك فقال: إن الله عز وجلَّ أحلّ له أربع نسوة لا زيادة فلها ليلة من أربع ليال.

*** *** ***

عدلت فأمنت فنمت

أرسلَ قيصرُ رسولاً إلى عُمرَ بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لينظُرَ أحوالهُ، ويُشاهدَ أفعالهُ، فلمَّا دخل المدينة سألَ أهلها وقالَ: أينَ ملكُكُم. فقالوا: مَا لنا ملكٌ بل لنا أميرٌ قد خرجَ إلى ظاهرِ المدينة. فخرجَ الرَّسولُ في طلبه، فرآهُ نائماً في الشَّمس على الأرض فوقَ الرَّمل الحارِّ، وقد وضعَ درَّته كالوسادة، والعرقُ يسقُطُ من جبينه إلى أن بلَّ الأرضَ. فلمَّا رآهُ على هذه الحالة وقعَ الخشوعُ في قلبهِ، وقالَ: رجلٌ يكونُ جميعُ الملوكِ لا يقرُّ لهم قرارٌ في هيبتهِ، وتكونُ هذه حالهُ. ولكنَّكَ يا عُمرُ عَدَلتَ فأمنتَ فنمتَ، وملكُنا يجورُ، فلا جرم أنَّهُ لا يزالُ ساهراً خائفاً.

*** *** ***

عفواً زياد

أمرَ زيادٌ بضربِ عُنُق رجُلٍ، فقالَ: أيُّها الأميرُ إنَّ لي بكَ حُرمَةٌ. قالَ: وما

هيَ؟ قال: إنَّ أبي جَارُكَ بالبصرةِ. قالَ: ومن أبُوكَ؟ قالَ: يا مولاي إنِّي نَسيتُ اسمَ نفسي، فكيفَ لا أنسَى اسمَ أبي؟ فرَدَّ زيادٌ كُمَّهُ على فمِهِ، وضَحِكَ وعَفَا عَنْهُ.

*** *** ***

إن زدت زدناك

قيل: انفرد الرّشيد ومعه عيسى بن جعفر والفضل بن يحيى، فإذا هو بشيخٍ من الأعراب على حمار وهو رطب العينين، فقال له الفضل: هل أدلُّك على دواء لعينيك؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك، قال: خُذْ عيدان الهواء، وغبار الماء، فصيّره في قشر بيض الذرّ، واكتحل به ينفعك.. فانحنى الشيخ وضرط ضرطةً قويةً وقال: خذ هذه في لحيتك أجرة وصفتك. وإن زدت زدناك، فضحك الرّشيد حتى استلقى على ظهر دابته..

*** *** ***

تزوج أربع نسوة

يروى عن الحجاج أنه قال يوماً وعنده بعض أصحابه:

أما إنه لا يجتمع لرجلٍ لذةٌ حتى تجتمع أربع حرائرَ في منزله يتزوجُهنَّ، فسمعَ ذلك شاعرٌ من أصحابه يقال له الضحّاك، فعمد إلى كُلٍّ ما يملك فباعَهُ، وتزوَّج أربعَ نسوةٍ، فلم توافقهُ واحدة منهن، فأقبل إلى الحجَّاج فقال:

سمعتُك -أصلحك الله- تقول: لا تجتمعُ لرجلٍ لذة حتى يتزوج أربع حرائرَ، فعمدت إلى قليلي وكثيري فبعتهُ وتزوجت أربعاً، فلم توافقني واحدة منهنَّ: أما واحدة منهنَّ فلا تعرفُ الله ولا تُصلِّي ولا تصوم، والثانية حمقاءُ لا تتمالك، والثالثة مُذكَّرة مُتبرِّجة، والرابعة ورهاءُ خرقاء -لا تعرفُ ضرَّها من نفعها- وقد قلتُ فيهن شعراً، قال: هاتِ ما قلت لله أبوك! فقال:

تزوَّجتُ أبغي قُرَّة العَين أربعاً ... فَيا ليتني والله لم أتزوَّج

ويا ليتني أعمَى أصَمُّ ولم أكُنْ ... تزوّجتُ بل يا ليتني كنت مُخدج

فواحدةٌ لا تعرفُ الله ربها ... ولم تدر ما التقوى ولا ما التَّحرُّجُ

وثانيةٌ حمقاءُ تزني مخانةً ... تُواثبُ من مرّتْ به لا تُعَرِّجُ

وثالثة ما إن تُوارى بثوبِها ... مُذكّرة مشهورة بالتبرج

ورابعة ورهاء في كُلّ أمرها ... مُفرَّكةٌ هوجاءُ من نَسل أهوج

فَهُنَّ طلاق كلُّهُنَّ بوائن ... ثلاثاً بتاتاً وإلاّ أُجْلجُ

فضحك الحجاج وقال: ويلك! كم مهرتهُنَّ؟ قال: أربعة آلاف أيُّها الأمير، فأمرَ له باثني عشر ألف درهم. وهذه أبيات الأعرابي على ما فيها من إقواء قبيح بالرفع والنصب والجر ولكنها تُستطرف من هذا الأعرابي.

*** *** ***

يغرها بالتسري عليها

قال عبدالله بن مصعب: شكا إليَّ هارون الرشيد وهو وليٌّ عهدٍ أنَّ أم جعفر لا تحمل، فقلت له: أَغِرْها، وحدَّثتُهُ حديث إبراهم النبي -عليه السلام- مع سارة، وأنها كانت لا تحمل، فاتخذ هاجر، فحملت بإسماعيل، فغارت سارة فحملت بإسحاق، قال: فاتخذ هارون الرشيد مَراجلَ، فحملت بالمامون، وحملت زبيدة بالأمين، وكان الرشيد يُبَجِّل أمَّ جعفر ويعظمها، وكان يقول: ربما أردت غشيانها فأهابها فيأخُذُ فيَّ الزَّمعُ حتى يمنعني منها، ولولا رغبته في الولد لم يُغرها بالتسري عليها، قال: وكانت تقول لي: إياك أن تجعلني في منزلة إمائك اللاتي تريد التلذذ والتمتع بهن.

*** *** ***

صبي فصيح

حُكي أن المأمون انفرد من عسكره فمر بحيّ من أحياء العرب، فنظر إلى صبيّ قائم يملأ قربة وهو يصيح: يا أبتِ أدرك فاها، فقد غلبني فُوها ولا طاقة لي بفيها. فعجب المأمون من فصاحته على صغره فقال للصبيّ: من أنتَ باركَ اللّه فيك؟ فتسمَّى له. ثمَّ قال: فمن أنت؟ فقال المأمون: من بني آدم. فقال: صدقت فمن أيّ بني آدم؟ قال: من خيارهم، قال: فأنت من العرب إذاً، فمن أيّها؟ قال: من خيارهم. قال: فمن مُضر إذاً، فمن أيّها؟ قال: من خيارهم. قال: فمن قريش ورب الكعبة، فمن أيهم؟ قال من خيارهم. قال: فمن بني

هاشم والله، فمن أيهم؟ قال: أنا من تحسده بنو هاشم كُلهم. قال: فتباعد عنّي وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال المأمون: فأعجبني والله ذكاؤه فقلت له: أيهما أحبّ إليك مائة دينار معجّلة، أو عشرة آلاف درهم مؤجّلة؟ قال: لست أبيع عاجلاً بآجل. فبينا نحن كذلك إذ خرج شيخ ضعيف، من البيت فحاولت أخذ الصبيّ. فقال: أنا شيخ فانٍ وله والدة مثلي في الكبر والضعف وما لنا جميعاً سواه فلا تحرمنا منه. فأمرتُ له بمائة دينار وانصرفتُ.

*** *** ***

ما ترك الأعرابيّ لهشام من مهرب

قيل: دخل أعرابيٌّ على هشام بن عبدالملك، فقال: يا أمير المؤمنين، أتت علينا ثلاثة أعوام، فعامٌ أذاب الشّحم، وعامٌ أكل اللحم، وعام انتقى العظم، وعندكم أموال، فإن تكُن لله فبثّوها في عباد الله، وإن تكن للناس فلمَ تحجبُ عنهم؟ وإن تكن لكم فتصدّقوا، إن الله يجزي المتصدّقين. قال هشام: هل من حاجة غير هذه يا أعرابيّ، قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل أدَّرعُ الهجير، وأخوض الدُّجا، لخاصٍّ دون عام، ولا خير في خير لا يعمّ، فأمر له هشام بأموال فرّقت في الناس، وأمر للأعرابي بمالٍ فرّقه في قومه..

*** *** ***

تالله ما رأيت كاليوم

حدَّث الأصمعي، قال: خرج الحجّاج ذات يومٍ فأصحر وحُضِّر غداؤه، فقال: اطلبوا من يتغدّى معنا، فطلبوا، فلم يجدوا إلاّ أعرابيّاً في شملة، فأتوه به، فقال له: هلمّ، قال له: دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه. قال: ومن هو؟ قال: الله تبارك وتعالى، دعاني إلى الصّيام، فأنا صائم، قال: صومٌ في مثل هذا اليوم على حرّ؟! قال: صمت ليوم هو أحرُّ منه! قال: فأفطر اليوم وصم غداً، قال: ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غد! قال: ليس ذلك إليّ، قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل ليس إليه سبيل! قال: إنّ طعامنا طيّب. قال: والله ما طيَّبه خبّازُك ولا طبّاخك، ولكن طيبته العافية، قال الحجاج: تاللّه ما رأيت كاليوم، أخرجوه عنّي.

*** *** ***

خذ البدرة لا بورك لك فيها

قال الأصمعي: دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة فقال: يا أصمعي، إن حدّثتني بحديث في العَجْز فأضحكتني وهبتك هذه البدرة، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا في صحارى العرب إذْ أنا بأعرابيّ قاعد على أجمة قد احتملت الرّيح كساءه فألقته على الأجمة، وهو عريان. فقلت له يا أعرابيّ: ما أجلسك هاهنا على هذه الحالة؟ فقال: جاريةٌ واعدتُها يقال لها سلمى، أنا منتظرٌ لها، فقلت: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ قال: العجزُ

يوقفني عن أخذه، فقلت: فهل قلت في سلمى شيئاً؟ قال: نعم، قلت له: أسمعني لله أبوك، قال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائي تلقيه عليّ، قال: فأخذته فألقيته عليه، فأنشأ يقول:

لعلّ الله أن يأتي بسلمى ... فيبطحُها ويُلقيني عليها

ويأتي بعد ذاك سحابُ مُزنٍ ... تطهّرنا ولا نسعى إليها

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره، وقال: خذ البدرة لا بُورك لك فيها.

*** *** ***

سآمر بشطره شطرين

اختصمت امرأتان في طفل وليدٍ، وذهبتا إلى سليمان الحكيم، فقال لهما: ما دامت كلٌّ منكما تدّعيه لنفسها فإني سآمر بشَطره شطرين، فتأخذ كلّ واحدة منكما نصفه، وأمر بالسيف. فصاحت إحداهما فزعاً: كلاً، دعْه حيّاً ولتأخذه هي، وسكتت الأخرى. فقال سليمان: لا بل تأخذينه أنتِ لجزعك عليه وسكوتها.

*** *** ***

لأكرم أطرافي

دخل الوليد بن يزيد على هشام، وعلى الوليد عمامة موشّاة، فقال هشام: «بكم أخذت عمامتك؟».

قال: «بألف درهم».

فقال هشام: «عمامة بألف؟» (مستكثراً ذلك).

فقال الوليد: «يا أمير المؤمنين، إنّها لأكرم أطرافي؛ أمّا أنت فقد اشتريت جارية بعشرة آلاف درهم لأخسّ أطرافك».

*** *** ***

حسن الأخلاق

روى عبدالله بن ظاهر -وهو من خاصّة المأمون- أنه كان عند المأمون يوماً فنادى الخادم قائلاً: يا غلام.. فلم يُجبه أحد... ثمّ كرّر النداء، فدخل غلامٌ تركي وقال في حدّة:

أفما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب... كلّما خرجتُ من عندك تصيح غلام.. فنكسَ المأمون رأسه، ولم يشكّ عبدالله بن طاهر بأنّ الخليفة سيأمر بضرب عنق الغلام، لكنّه رفع رأسه وقال: يا عبدالله، إنّ الرجل إذا حسُنت أخلاقه ساءت أخلاق خدَمه، وإذا ساءت أخلاقه حَسُنت أخلاق خدمه، وإنّا والله لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لتحسن أخلاق خدمنا.

*** *** ***

قُلعت عيناه فأبصر

حُكي عن بعض الشّعراء أنّه دخل على أحد الخلفاء، فوجدهُ جالساً وإلى

جانبه جاريةٌ سوداء تُدعى خالصة، وعليها من الحلَى وأنواع الجواهر واللآلىء ما لا يُوصفُ، فصارَ الشَّاعرُ يمتدحهُ وهو يسهو عن استماعه، فلما خرج كتب على الباب:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع دُرٌّ على خالصه

فقرأهُ بعضُ حاشية الخليفة وأخبره به، فغضبَ لذلك، وأمرهُ بإحضار الشاعر، فلمَّا وصلَ إلى الباب مسح العينين اللَّتين في لفظة ضاع، وأُحضر بين يديه، فقالَ لهُ: ما كتبت على الباب. قالَ كتبتُ:

لقد ضاءَ شعْري على بابكُمْ كَمَا ضاءَ دُرٌّ على خالصه

فأعجبه ذلك وأنعم عليه، وخرج الشاعر وهو يقولُ: لله دَرُّكَ من شعرٍ قلعتْ عيناهُ فأبصرَ.

*** *** ***

سليمان بن عبدالملك والأعرابيّ

قيل: إنّ أعرابيّاً حضر مجلس سليمان بن عبدالملك، فقام فقال له: إني مُكلمك يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بعض الغلظة، فاحتمله إن كرهته، فإنّ وراءه ما تحبُّهُ إن قبلته، قال: هات يا أعرابيّ، قال: فإنّي سأُطلق لساني بما خرست عنه الألسن من عظتك تأديةً لحقِّ الله وحقِّ إمامتك، إنّه قد اكتنفك رجالٌ أساؤوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهُم حربٌ للآخرة، وسلمٌ

للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لن يألوا الأمانة تضييعاً ، والأمة عسفاً وخسفاً، وأنت مسؤولٌ عما اجترحوا، وليسوا مسؤولين عمّا اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإنّ أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره ، فقال سليمان : أما أنت يا أعرابيّ فقد سللت لسانك، وهو أقطعُ سيفيك، فقال : أجلْ، لك لا عليك . . .

*** *** ***

المهدي والأعرابي

قيل: خرج المهديُّ إلى الصيد ، فشرد به فرسه إلى ناحية وجد فيها خباء أعرابي، وكان قد أضرّ به الجوع، فقال : يا أعرابيّ هل عندك قرى فإني ضيفك؟

قال : أراك طريراً(١) جسيماً عميماً(٢) فإن احتملت الموجود قرّبنا لك ما يحضرنا ، قال هات ما عندك ، فأخرج له الأعرابي خبز ملّةٍ فأكلها وقال : طيبة ، هات ما عندك. فأخرج إليه لبناً في كرش فسقاه ، فشرب ، وقال : طيّب هات ما عندك ، فأخرج له فضلة نبيذٍ في ركوة، فشرب الأعرابيّ واحداً وسقاه، فلمّا شرب قال المهديّ: أتدري من أنا؟ قال : لا والله .

قال : أنا من خدم الخاصة، قال : بارك الله في موضعك، وحباك من كنت، ثمّ شرب الأعرابي قدحاً وسقاه، فلمّا شرب قال له : يا أعرابي، أتدري من أنا؟

(١) الطرير: ذو الهيئة الحسنة .

(٢) العميم: التّام من كلّ شيء.

قال: نعم ذكرت أنّك من خدم الخاصّة.

قال: لست كذلك، قال: فمن أنت؟ قال: أنا أحدُ قواد المهديّ، قال: رحبت دارك، وطاب مزارك.

ثمّ شرب الأعرابي قدحاً وسقاه، فلما شرب الثالث قال: يا أعرابي أتدري من أنا؟ قال: نعم، زعمت أنك أحد قواد المهد ي، قال: فلست كذلك؟ قال: فمن أنت؟ قال: أمير المؤمنين بنفسه، فأخذ الأعرابيّ ركوته فوكاها فقال له المهدي: اسقنا، قال: لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها، قال: ولمَ؟

قال: سقيتك قدحاً، فزعمت أنك من خدم الخاصة، فاحتملناها لك، ثم سقيناك آخر، فزعمت أنك أحد قوّاد المهدي، فاحتملناها لك، ثم سقيناك الثالث فزعمت أنك أمير المؤمنين، ولا والله ما آمن أن أسقيك الرابع، فتقول: إنك رسول الله..

فضحك المهدي، وأحاطت به الخيل، فنزل إليه أبناء الملوك والأشراف، فطار قلب الأعرابي، فلم يكُن همُّهُ إلا النجاة بنفسه، وجعل يشتدّ في عدوه، فقال له المهديّ: لا بأس عليك.

وأمر له بصلة جزيلة من مال وكسوة وبزّة وآلة.

فقال الأعرابي: أشهد أنّك صادق ولو ادّعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها.. فضحك المهدي منه حتى كاد أن يقع عن فرسه حين ذكر الرابعة والخامسة، وجعل له رزقاً، وألحقه بخواصه.

المأمون والأعرابي

خرج المأمونُ منفرداً فإذا بأعرابي فسلّم عليه ، فقال: ما أقدمك ياأعرابيّ؟ قال: الرجاء لهذا الخليفة ، وقد قلتُ أبياتاً أستمطر بها فضله ، قال: أنشدنيها ، قال: يا ركيك ، أو يحسنُ أن أنشدك ما أنشد الملوك؟ فقال: يا أعرابي، إنك لن تصل إلى أمير المؤمنين، ولن تقدر مع امتناع أبوابه وشدّة حجابه، ولكن، هل لك أن تنحلنيها وهذه ألف دينار فخذها وانصرف، ودعني أتوسل، لعلي أتوصل، قال: لقد رضيت، فبينما هما في المراجعة إذ أحدقت الخيل به، وسُلّم عليه بالخلافة ، فعلم الأعرابي أنه قد وقع ، فقا الأعرابي: يا أمير المؤمنين، أتحفظ من لغات اليمن شيئاً؟ قال: نعم، قال: فـ يبدل القاف كافاً؟ قال: بنو الحارث بن كعب، قال: لعنها الله من لغة لا أعو إليها بعد اليوم، فضحك المأمون وأمر له بألف دينار.

*** *** ***

حملا إلى الحاكم بأمر الله

حظر الحاكم بأمر الله بمصر على النساء الخروج من منازلهن، والاطلاع من سطوحهن، ودخول الحمامات، ومنع الأساكفة من عمل الخفاف لَهنَّ.

واتفق أن مرّ قاضي القضاة يوماً ببعض المحال فنادته امرأة من دارها، وأقسمت عليه أن يقف لها فوقف، فبكت بكاء شديداً وقالت:

لي أخ لا أملك غيره، وعرفتُ أنه في آخر الرمق. وأنا أقسم عليك إلاّ أمرت

بحملي إليه لأشاهده قبل أن يقضي نحبه.

فرحمها القاضي ورقّ لها، وأمر رجُلين من أصحابه أن يحملاها إلى الموضع الذي تدلُّهما عليه.

فأغلقت باب دارها، وتركت المفتاح عند جارة لها. وقالت: سلّميه إلى زوجي.

ومضت إلى باب فدقّته فدخلت، وقالت للرجلين: انصرفا وكانت الدار لرجل يهواها وتهواه. فلما رآها سرَّ بها، وأخبرته بحيلتها.

فلما انصرف زوجها آخر النهار، وجد بابه مغلقاً، فسأل الجيران فأخبروه بالحال وبما جرى لها مع قاضي القضاة. فدخل إلى بيته وبات في أقبح ليلة. ثم باكر في غد إلى دار قاضي القضاة، وقال:

أنا زوج المرأة التي فعلت أمس ما فعلته، وما لها أخ. وما أفارقك حتى تردّها إليّ.

فركب قاضي القضاة في الحال، واستصحب الرجلين اللذين أنفذ بهما مع المرأة حتى يرشداه إلى الدار، فوجد المرأة والرجل نائمين في إزار واحد على سُكر. فحملا إلى الحاكم، فأمر بان تُحرق المرأة، وأن يُضرب الرجل ألف سوط.

*** *** ***

شروط يهرب منها الشيطان

جاء محمد بن حماد إلى الجنيد فقال: يقول لك أمير المؤمنين المعتصم: تهيأ لمزاملتي، قال: كيف أتهيأ؟ قال: إذا زاملته فإياك أن تبزق، أو تمتخط، أو تتثاءب، أو تسعل، أو تعطس، فقال الجنيد: ارجع إليه وقل له: في حرام من يزاملك على هذا الشرط. فلما رجع إليه ضحك واستدعاه فقال: آمرك بمزاملتي فتراسلني بذلك؟ فقال: إن هذا الأحمق شرط عليَّ شروطاً يهرب منها الشيطان.

*** *** ***

يخفي الصدقات

مر الفرزدق على الحكم بن المنذر بن الجارود فاستسقى لبناً، فأمر غلامه أن يجعل في العقب خمراً ويحلب عليها لبناً ويسقيه، فلما كرع فيه جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب فقال له: بأبي أنت ممن يخفي الصدقات.

*** *** ***

من أراد أن تطول لحيته

قيل أُتي الحجاج بسفط قد أصيب في بعض خزائن كسرى مقفل؛ فأمر بالقفل فكسر، فإذا فيه سفط آخر مقفل؛ فقال الحجاج: من يشتري مني هذا السفط بما فيه؟

فتزايد فيه أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار؛ فأخذه الحجاج ونظر فيه فقال: ما عسى أن يكون فيه، إلا حماقة من حماقات العجم!

ثم أنفذ البيع، وعزم على المشتري أن يفتحه ويريه ما فيه.

ففتحه بين يديه، فإذا فيه رقعة مكتوب فيها: من أراد أن تطول لحيته، فليمشطها من أسفل.

*** *** ***

انقله إلى غيرنا

شكا أهل بلدة إلى المأمون والياً عليهم، فقال:

كذبتم عليه! قد صحَّ عندي عدلُه فيكم وإحسانُه إليكم.

فقال شيخ منهم:

يا أمير المؤمنين، فما هذه المحبّة لنا دون سائر رعيّتك؟ قد عدل فينا خمس سنين، فانقله إلى غيرنا حتى يشمل عدلُه الجميع، وتريح معنا الكل! فضحك المأمون وصرفه عنهم.

*** *** ***

آفة الكيمياء الصيادلة

قال المأمون يوماً ليوسف الكيميائي:

ويحك يا يوسف! ليس في الكيمياء شيء!

فقال له:

بلى يا أمير المؤمنين، وإنما آفة الكيمياء الصيادلة.

قال له المأمون:

ويحك، وكيف ذلك؟!

فقال:

إن الصيدلاني لا يَطلبُ منه إنسانٌ شيئاً من الأشياء، كان عنده أو لم يكن، إلا أخبره بأنه عنده، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التي عنده، وقال: هذا الذي طلبت. فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يُعرف، ويوجّه جماعة إلى الصيادلة في طلبه ليبتاعه، فليفعل.

فقال له المأمون:

قد وضعتُ اسماً، وهو «سقطيثا».

و«سقطيثا» ضيعة تقرب من مدينة السلام. ووجّه المأمون جماعة من الرّسل يسألون الصّيادلة عن «سقطيثا»، فكلهم ذكر أنه عنده، وأخذ الثمن من الرّسل، ودفع إليهم شيئاً من حانوته. فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة، فمنهم من أتى ببعض البذور. ومنهم من أتى بقطعة من حجر، ومنهم من أتى بوبر!

رُقيةٌ بغير القرآن

دخل عبدالله بن جعفر على الخليفة عبدالملك بن مروان وهو يتأوّه، فقال:

ما علّتك يا أمير المؤمنين؟

قال: هاج بي عرق النَّسا في ليلتي هذه فبلغ مني.

فقال له ابن جعفر:

إن لي مولى يُدعى بديحاً، كانت أمّه بربرية، وكانت ترقي من هذه العلّة، وقد أخذ ذلك منها.

قال: فادعه إليّ.

فلما مضى الرسول، سُقط في يدي ابن جعفر، وقال في نفسه: كذبة قبيحة عند خليفة!

فما كان بأسرع من أن طلع بُديح، فقال له عبدالملك:

كيف رُقيتك من عرق النَّسا؟

قال: أرقى الخلق يا أمير المؤمنين!

فسُرِّي عن ابن جعفر لأن بُديحاً كان صاحب فكاهة يُعرف بها. وجعل بُديح يتفُل على ركبة عبدالملك ويُهمهم، ثم قال:

قم يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك.

فقام عبدالملك لا يجدُ وجعاً. فقال:

الله أكبر! وجدتُ والله خفّاً! يا غلام، ادعُ فلانة الجارية حتى تكتب الرُّقية، فإنّا لا نأمن هيجتها بالليل فلا نذعر بُديحاً.

فلما جاءت الجارية، قال بديح:

يا أمير المؤمنين، امرأتي طالق إن كتبتها حتى تُعجِّل صلتي.

فأمر له بأربعة آلاف درهم. فلما صار المال بين يديه قال: امرأتي طالق إن كتبتُها أو يصير المال إلى منزلي.

فأمر به فحُمل إلى منزله. ثم شرعت الجارية تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال بُديح:

ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم!

قال عبدالملك:

كيف تكون –ويلك– رُقيةٌ ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم؟!

قال بديح:

هو ذاك. امرأتي طالق إن كنتُ قد قرأت على رجلك إلا بيت نصيب:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت   على النَّأْي منِّي ذنب غيري تنقمُ!

قال عبد الملك:

ويلك، ما تقول؟

قال: هو ذاك!

فطفق عبدالملك ضاحكاً يفحص برجليه.

*** *** ***

لا يهولنك ذاك

حدَّث عبيد راوية الأعشى قال: خرج النعمان إلى ظهر الحيرة، وكان معشاباً، وكانت العرب تسميه خد العذراء، فيه نبت الشيح والقيصوم والخزامى والزعفران وشقائق النعمان والأقحوان، فمر بالشقائق، فأعجبته فقال: من نزع من هذا شيئاً فانزعوا كفه، قال: فسميت شقائق النعمان: قال: فإنه ليسير فيها يوماً فانتهى إلى وهدة في طرف النجف، وإذا شيخ يخصف نعلاً، فوقف عليه وقد سبق أصحابه، فقال: ممن أنت يا شيخ؟ قال: من بكر بن وائل، فقال يا شيخ: مالك ههنا؟ قال: طرد النعمان الرعاة فأخذوا يميناً وشمالاً، ووجدت وهدة خالية فنتجت الإبل وولدت الغنم وسالت السمن، فقال: أو ما تخاف النعمان؟ قال: وما أخاف منه، والله لربما لمست بيدي هذه ما بين سرة أمه وعانتها، كأنه أرنب جاثم. قال: أنت أيها الشيخ؟ قال: نعم قال: فهاج وجهه غضباً وطلعت أوائل خيله، فقالوا: حييت أبيت اللعن، قال: وحسر عن رأسه فإذا خرزات ملكه، فقال النعمان: أيها الشيخ كيف قلت؟ قال: أبيت اللعن، لا يهولنَّك ذاك، والله لقد علمت العرب أنه ليس بين لابتيها أكذب مني، فضحك ثم مضى.

رجل مشؤوم

عن الأصمعي عن أبيه قال: أُتي عبدالملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه، فقال: اضربوا عنقه، فقال يا أمير المؤمنين: ما كان هذا جزائي منك. قال: وما جزاؤك؟ قال: والله ما خرجت مع فلان إلا بالنظر لك، وذلك أني رجل مشؤوم ما كنت مع رجل قط إلا غُلب وهُزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك، فضحك وخلى سبيله.

*** *** ***

الوالي والجاني

روى الجاحظ عن بعضهم أنّ والياً أُتي برجل جنى جناية فأمر بضرب رأسه. فلمّا مُدَّ قال: بحق رأس أمك إلا عفوت عني. قال الوالي للجلاد: أوجع. فقال الجاني: بحق خدّيها ونحرها. قال الوالي: إضرب. قال الجاني: بحق ثدييها قال الوالي: إضرب. قال الجاني: بحق سُرتها. قال الوالي: ويلكم، دعوهُ لا ينحدر قليلاً!

*** *** ***

خالد بن صفوان والسفاح

دخل خالد بن صفوان على الخليفة أبي العباس السفّاح فوجده خالياً، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أترقّب مُذ تقلّدت الخلافة أن أجدك خالياً فأُلقي إليك ما أُريده.

قال: فاذكر حاجتك.

قال: يا أمير المؤمنين، إني فكرت في أمرك فلم أرَ من هو في مثل قدرك أقلَّ استمتاعاً بالنساء، وقد ملَّكت على نفسك امرأة واحدة، واقتصرت عليها، فإن مَرضَتْ مَرضْتَ، وإن غابتْ غبت، وإن غضبتْ حُرمتَ! وإنما التَّلذُّذُ باستطراف الجواري، ومعرفة اختلاف أحوالهن، والاستمتاع بهنّ. فلو رأيتَ الطويلة البيضاء، والسمراء اللَّفّاء، والصفراء العجزاء، والغَنِجَة الكحلاء، والمولَّدات من المدنيات، والملاح من القندُهاريّات، ذوات الألسن العذبة، والقدود المهفهفة، والثُّدي المحققَّة!..

وجعل خالد بعذوبة لفظه واقتداره على الوصف يزيد في قوله، فلما فرغ من كلامه، قال السفاح له:

والله يا خالد ما سلك سمعي قطُّ كلام أحسن من هذا، لقد حرّك مني ساكناً!

وبقي السفاح مفكراً عامة نهاره، ثم دخلت عليه زوجته أم سلمة، فلما رأته دائم الفكر، كثير السَّهو، قليل النشاط، قالت:

إني أُنكرُك يا أمير المؤمنين. فهل حدث ما تكرهه؟

ولم تزل به حتى حدّثها بخبر خالد بن صفوان.

قالت: فما قلت لابن الفاعلة؟

قال لها: سبحان الله! رجل نصحني تسبّينه؟!

فخرجت من عنده متميزة غضباً، وأرسلت إلى خالد بجماعة من غلمانها

العجم ومعهم العصيّ، وأمرتهم ألا يتركوا فيه عضواً صحيحاً.

أما خالد فقد انصرف من عند السفاح وهو على غاية السرور بما رأى الخليفة عليه من الإعجاب بحديثه، وقعد على باب داره يتوقع جائزته. فلم يشعر إلا بالغلمان، وتحقق مجيئهم بالجائزة. فلما وقفوا على رأسه سألوه عن ابن صفوان، فقال: هأنذا. فأهوى بعضهم بهرواته إليه. فوثب خالد ودخل داره، وغلق بابه واستتر، وعرف هفوته وزلّته في فعله وكلامه، وعلم من أين أُتي.

ثم إنه مكث أياماً مستتراً، فلم يشعر ذات يوم إلا بجماعة من خدم السفاح قد هجموا عليه، فقالوا:

أجب أمير المؤمنين!

فأيقنَ بالهلكة، وركب معهم وهو بلا دَم، فلما دخل عليه وسلّم فردَّ عليه، سكنت نفسه بعض السكون، وأومأ إليه بالجلوس فجلس. ونظر خالد فإذا خلف ظهر السفاح باب عليه ستُور قد أُرخيت، وأحسّ بحركة خلفه.

ثم قال الخليفة: يا خالد، لم أرك منذ أيام!

فاعتلّ عليه. فقال له:

ويحك! إنك وصفت لي آخر يوم كنتَ عندي فيه من أمر النساء والجواري ما لم يخرق سمعي قطُّ مثلُه. فأعده عليَّ!

قال: نعم. أعلمتُك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقّت اسم الضَّرَّتين من الضُّرّ، وإن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جُهد وكدّ!

قال السفاح:

ويحك، لم يكن هذا في كلامك!

قال: بلى. وأخبرتُك أن الثلاث من النساء كأثافيّ القدر تغلي عليهن!

قال السفاح: برئت من قرابتي من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك في حديث!

قال: بلى. وأخبرتك أن الأربع من النساء شرٌّ مجموع لمن كُنّ عنده؛ يُهرمنه ويُنغِّصنَ عليه عيشه، ويُشيِّبنهُ قبل حينه!

قال السفاح: والله ما سمعتُ هذا قط منك ولا من غيرك!

قال: بلى يا أمير المؤمنين لقد قلتُ.

قال: ويلك، تكذِّبني؟

قال: يا أمير المؤمنين، أفتريد قتلي؟

فسُمع ضحك شديد وراء الستر، فقال خالد:

وأعلمتك أن عندك ريحانة قريش، وأنه لا يجب أن تطمح نفسك إلى غيرها من النساء.

فسمع من وراء الستر صوت يقول:

صدقت والله يا عماه، ولكن أمير المؤمنين غير وبدّل، ونطق عن لسانك بغير ما ذكرته!

وخرج خالد إلى منزله، فلم يصل إليه حتى وجّهت إليه أم سلمة ثلاثة تُخوت فيها أنواع الثياب، وخمسة آلاف درهم!

*** *** ***

يجيزون شهادة الحمير

كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء، ويحمل لهم الشراب، فشُكي إلى عامل مكة، فنفاه إلى عرفات، فبنى بها منزلاً، وأرسل إلى إخوانه فقال:

ما يمنعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه؟

قالوا: وأين بك وأنت في عرفات؟

فقال: حمار بدرهم، وقد صرتم على الأمن والنُّزهة.

ففعلوا، فكانوا يركبون إليه حتى فسدت أحداث مكة، فعادوا بشكايته إلى والي مكة، فأُرسل إليه وأتى به. فقال الرجل:

يكذبون عليّ، أصلح الله الأمير.

فقالوا: دليلنا على ما نقول أن تأمر بحمير مكة فتُجمع وتُرسل بها أمناءَ إلى عرفات، ثم يرسلونها، فإن لم تقصد لمنزله من بين المنازل كعادتها إذا ركبها السفهاء فنحن مبطلون، وإن قصدت منزله فنحن غير مبطلين.

فقال الوالي: إن في هذا لدليلاً وشاهداً عدلاً.

فأمر بحمير من حمير الكراء فجمعت ثم أرسلت، فصارت إلى منزله كما

هي من غير دليل. فأعلمه بذلك أمناؤه، فقال:

ما بعد هذا شيء. جرِّدوه!

فلما نظر الرجل إلى السياط قال:

لا بدّ -أصلحك الله- من ضربي؟

قال: نعم.

قال: والله ما في ذلك شيء هو أشدّ عليَّ من أن يشمت بنا أهلُ العراق ويضحكوا منا ويقولوا: أهل مكة يجيزون شهادة الحمير!

فضحك الوالي وخلّى سبيله.

*** *** ***

اذهب فقد ولّيتك

أتت امرأةٌ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصومُ النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرّر عليه القول وهو يكرّر عليها الجواب. فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه. فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليّ بزوجها. فأُتي به. فقال له: إنّ امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيُّها القاضي الحكيمُ أرشــــدُهْ   ألهى خَليلي عن فراشي مَسْجدُهْ
زَهَّــدهُ في مضجعــي تعبُّـــدُهْ   ولستُ في أمر النســـاء أحمدُهْ

فقال زوجها:

زَهــدتُ في فراشها وفي الحَجــلْ   إني امـرُؤٌ أذهلني ما قد نـــزَلْ
في سورة النمل وفي السَّبع الطِّوَلْ   وفي كتاب الله تخويفٌ جلـــل

فقال كعب:

إنَّ لها عليك حقاً يا رَجُــــل
تُصيبها في أربع لمن عقــــلْ
فأعطها ذاكَ ودَعْ عنكَ العللْ

ثم قال: إنّ الله تعالى أحلَّ لك من النساء مثنى وثُلاث ورُباع، فلك ثلاثة أيّام بلياليهنَّ ولها يومٌ وليلة.

فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا أدري من أيّكم أعجب، أمن كلامها أم من حكمك بينهما، اذهب فقد وليتكَ.

***   ***   ***

القسم الثالث

طرف ونوادر

القضاة..

والفقهاء..

فداك أبي وأمي

نظر رجلٌ إلى امرأته وهي صاعدةٌ في السُّلم فقال لها: أنت طالقٌ إن صعدت، وطالقٌ إن نزلت، وطالقٌ إن وقفت. فرمت نفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات الإمامُ مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

*** *** ***

امرأة تعيب زوجها

قدمت امرأةٌ زوجها إلى زياد ابن أبيه تُنازعه، وقد كان سنُّهُ أعلى من سنّها، فجعلت تعيب زوجها وتقع فيه. فقال زوجها: أيها الأمير، إنّ شرّ شطري المرأة آخرها، وخيرُ شطري الرجل آخره. المرأة إذا كبرت عقمت رحمُها، وحدّ لسانها، وساء خُلُقها، وإنّ الرجل إذا كبرت سنه استحكم رأيُهُ، وكثر حلمُهُ وقلّ جهلُهُ.

*** *** ***

وجهك إلى ثيابك!

جاء رجلٌ إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعتُ ثيابي ودخلتُ النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك إلى جهة ثيابك لئلا تُسرق.

*** *** ***

جبلوا على الظرف

قال رجل لإياس بن معاوية: لو أكلت التمر أتضربني؟ قال: لا. قال: لو شربتُ قدراً من الماء أتضربني؟ قال: لا. قال: شراب التمر (النبيذ) أخلاطٌ منها، فكيف يكون حراماً؟ قال إياس: لو رميتك بالتراب أيُوجع؟ قال: لا. قال: لو صببتُ عليكَ قدراً من الماء، أينكسر عضوٌ منك؟ قال: لا. قال: لو صنعتُ من الماء والتراب طُوباً فجفَّ في الشمس فضربتُ به رأسكَ، كيف يكون؟ قال: ينكسر الرأس. قال إياس: ذاكَ مثل هذا!

*** *** ***

فطنة القاضي إياس!

يُحكى من فطنة إياس أنّه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف، وهناك ثلاث نسوةٍ لا يعرفهنّ، فقال: هذه ينبغي أن تكون حاملاً، وهذه مُرضعاً، وهذه عذراء، فكُشف عن ذلك فكان كما تفرّس. فقيل له: ومن أين لكَ هذا؟ فقال: عند الخوف لا يضع الإنسان يده إلاّ على أعزّ ما لهُ ويخاف عليه، ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها، فاستدللت بذلك على حملها، ورأيتُ المرضع قد وضعت يدها على ثديها، فعلمت أنّها مرضع، والعذراء وضعت يدها على فرجها، فقلت: إنّها بكر.

*** *** ***

طلقها فتبعتها نفسه

حدث أبو شفقل راوية الفرزدق قال: قال لي الفرزدق يوماً: امض بنا إلى حلقة الحسن -الحسن البصري- فإني أُريد أن أُطَلِّق النَّوار، فقلت: إني أخافُ عليك أن تتبعها نفسُك، ويشهد عليك الحسنُ وأصحابه، فقال: امضِ بنا، فجئنا حتى وقفنا على الحسن، فقال: كيف أصبحتَ يا أبا سعيد؟ فقال: بخير، كيف أصبحت يا أبا فراس؟ قال: اعلموا أن النَّوار مني طالقٌ ثلاثاً، فقال الحسنُ وأصحابه: قد سمعنا، قال فانطلقنا، قال: فقال لي الفرزدق: يا هذا، إنَّ في قلبي من النَّوار شيئاً، فقلت: قد حذرتُك، فقال:

ندمتُ ندامة الكُسعيِّ لمَّا غدتْ مني مُطلَّقةً نوارُ
وكُنتُ كفاقىءٍ عينيه عمداً فأصبحَ لا يُضيء له النَّهارُ
وما فارقتُها شبعاً ولكن رأيتُ الزَّهدَ يأخُذُ ما يُعارُ
وكانت جنَّتي فخرجتُ منها كآدمَ حين أخرجهُ الضرارُ
ولو أني مَلكتُ يدي ونفسي لكان عليَّ للقدر الخيارُ

*** *** ***

عمود الجمال

قالت امرأةُ خالد بن صفوان له يوماً: ما أجملكَ! قال: ما تقولين ذاك وما لي عمودُ الجمال، ولا عليَّ رداؤه ولا بُرنُسُه، قالت: ما عمود الجمال وما رداؤه وما

بُرنُسُه؟ قال: أما عمودُ الجمال فطول القوام وفيَّ قِصَر، وأما رداؤه فالبياضُ ولست بأبيض، وما برنسُه فسواد الشَّعر وأنا أصلع، ولكن لو قلت: ما أحلاك وما أملحكَ كان أولى.

*** *** ***

حكمة سقراط

مرت بسقراط امرأةٌ وهو يتشرَّق -يخضبُ شعره بالزعفران ونحوه من كلِّ صبغ أحمر،- فقالت: يا شيخ، ما أقبحك! فقال: لولا أنك من المرايا الصَّدئة لغمني ما بان من قُبح صُورتي فيك..

*** *** ***

تزوج بعشرة

قال رجلٌ لحكيم: إني أُريد أن أتزوّج؟ فقال: كم المهرُ؟ قال: مائة دينار، قال: لا تفعل، تزوّج بعشرة دنانير فإن وافقتك ربحت تسعين، وإن لم تُوافقك تزوجت بعشرة أخرى. ولا بُدّ في عشر نسوةٍ من امرأة تُوافقُك..

*** *** ***

من ذاقه لم يُفلح

دخل شريك النَّخعيّ على الخليفة المهدي يوماً، فقال المهدي له: لابد أن

تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال.

قال: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟

قال: إما أن تلي القضاء، أو تحدّث ولدي وتعلّمهم، أو تأكل عندي أكلة!

ففكّر ساعة ثم قال:

الأكلة أخفّها على نفسي.

فأجلسه المهدي، وتقدّم إلى الطباخ أن يُصلح له ألواناً من المخ المعقود بالسّكر والعسل وغير ذلك.

فلما فرغ شريك من الأكل، قال الطباخ:

والله يا أمير المؤمنين، ليس يُفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً!

وكان أن قبل شريك بعد ذلك أن يحدّثهم، وأن يعلّم أولادهم، وأن يلي القضاء لهم!

*** *** ***

رجلٌ يغلبُ إياس!

رُوي عن إياس بن معاوية أنّه قال: ما غلبني أحدٌ قطّ سوى رجلٍ واحدٍ، وذلك أنّي كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليَّ رجلٌ شهد عندي أنّ البستان الفلاني -وذكر حدوده- هو ملك فلان، فقلت له: كم عدد شجره؟ فسكت ثمّ قال: منذ كم يحكم سيّدنا القاضي في هذا المجلس؟ فقلت: منذ

كذا. فقال: كم عدد خشب سقفه؟ فقلت له: الحقّ معك، وأجزتُ شهادته.

*** *** ***

قاضٍ يستشير مجوسياً !

أراد نوح بن مَريم أن يزوّج ابنته فاستشار جاراً له مجوسيّاً، فقال المجوسي: سبحان الله! الناس يستفتونك وأنت تستفتيني. قال: لا بدّ أن تشير عليّ. فقال: إنّ رئيس الفرس كسرى كان يختار المال، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال، ورئيس العرب كان يختار الحسب، ورئيسكم محمّد كان يختار الدِّين، فانظر لنفسك بمن تقتدي.

*** *** ***

قيمة الحلم والإحسان

رُوي أنّ غلاماً وقف يصبّ الماء على يدي جعفر الصادق، فوقع الإبريق من يد الغلام في الطَّست، فطار الرشاشُ في وجهه، فنظر جعفر إليه مُغضباً، فقال: يا مولاي، ﴿ **والكاظمينَ الغَيظ** ﴾[آل عمران: ١٣٤]. قال: قد كظمتُ غيظي. قال: ﴿ **والعافين عن النَّاس** ﴾[آل عمران: ١٣٤]. قال: قد عفوتُ عنك. قال: ﴿ **واللّه يحبُّ المحسنين** ﴾[آل عمران: ١٣٤]. قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى.

*** *** ***

صلاة بلا قراءة

أحضر رجل ولده إلى أحد القضاة وقال له:

يا مولانا: إن ابني هذا يشرب الخمر ولا يصلي.

فأنكر الولد التهمة.

فسأل الأب القاضي: هل تكون هناك صلاة بلا قراءة؟

فهتف الولد: إني أقرأ القرآن.

فقال له القاضي: اقرأ حتى أسمع.

فقال الولد:

علق القلب الربـــابـــا　　　بعدما شابت وشابـــا

إن دين الله حـــــــق　　　لا أرى فيـــه ارتيابـــا

فقال الوالد مشدوهاً:

إنه لم يتعلم ذلك، يا سيدي القاضي، إلا أمس، فقد سرق مصحف الجيران وحفظ ما سمعت.

فقال القاضي للولد: أكمل الآية:

فارحمي مضنى كئيبـــاً　　　قد رأى الهجر عذابـــا

ثم أردف:

قاتلكم الله أيها الصبية، يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به..!

*** *** ***

حُرمةُ الجوار

كان لأبي حنيفة جارٌ بالكوفة إسكافُ، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جَنَّهُ الليلُ رجع إلى منزله، وقد حمل معه لحماً فطبخه، أو سمكة فشواها، ثم لا يزال يشرب حتى إذا دبّ الشرابُ فيه غنَّى:

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثَغر

فلا يزال يشرب ويردّد هذا البيت، حتى يأخذه النوم.

وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ويتضرر من غناء جاره. وفي إحدى الليالي فقد صوت الإسكاف، فسأل عنه، فقيل: أخذه العسسُ، وهو محبوس.

فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد، وركب بغله، واستأذن على الأمير، فقال:

ائذنوا له، وأقبلوا به راكباً، ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط.

ففعل. وأوسع له الأمير في مجلسه، وقال له: ما حاجتك؟

قال: لي جار إسكاف، أخذه العسس، يأمر الأمير بتخليته.

فقال: نعم. وأمر بتخليته.

فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة التفت إليه وقال: يا فتى هل أضعناك؟

قال: لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار، ولم يعد بعدها إلى ما كان عليه.

*** *** ***

شاب يفحم الشعبي

تكلم شاب يوماً عند الشعبي، فقال الشعبي: ما سمعنا بهذا. فقال الشاب: كل العلم سمعت؟ قال: لا. قال: فشطره؟ قال: لا، قال: فاجعل هذا في الشطر الذي لم تسمعه، فأفحم الشعبي.

*** *** ***

حلم المهلّب

قيل: إنّ المُهلّب بن أبي صُفْرة مرَّ بحيٍّ من همدان، فرآه شابٌّ من أهل الحيِّ فقال: هذا المهلّب؟! فقالوا: نعم. قال: واللّه، ما يساوي خمسمائة درهم. وكان المهلّب رجلاً أعور، فسمعه المهلّب. فلما كان الليل أخذ خمسمائة درهم، وأتى إلى الحيّ، فأرقبَ الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه وقال: افتح حجرك، ففتح الشاب حجره، فسكب فيه الخمسمائة درهم وقال: خذ قيمة عمّك المهلّب، واللّه، يا بن أخي لو قوّمتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك

بها. فسمعه شيخٌ من أهل الحيّ فقال: واللّه، ما أخطأ من جعلكَ سيّداً!

*** *** ***

الحيلة النافعة

حدث القاضي أبو الحسين بن عتبة قال: كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها، فلم أوثرها لشيء من الجمال، ولكني كنت أستعين بمالها وأتزوج سراً، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت عليَّ إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إليَّ، فطال ذلك عليَّ، وتزوجت صبية حسناء موافقة لطباعي مساعدة على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة وسُعي بها إلى ابنة عمي، فأخذت في المناكدة والتضييق عليَّ، فلم يسهل عليَّ فراق تلك الصبية فقلت لها: استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها، حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي فابكي بين يديها، وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها، فإذا سألتك عن حالك، فقولي لها: إن ابن عمي قد تزوجني، وفي كل وقت يتزوج عليَّ واحدة، وينفق مالي عليها، وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه، فإني أقدمه إليه، فإنها سترفعك إليَّ ففعلت، فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها، وقالت لها: فالقاضي شر من زوجك، وهكذا يفعل بي وقامت فدخلت عليّ، وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها، فقالت: هذه المشؤومة حالها مثل حالي، فاسمع مقالها واعتمد إنصافها، فقلت: ادخلا، فدخلتا جميعاً، فقلت لها: ما شأنك؟ قال؟ فذكرت ما وافقها عليه، فقلت لها: هل اعترف ابن

عمك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت: لا، والله. وكيف يعترف بما يعلم أني لا أقره عليه. قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة ووقفت على مكانها وصورتها، فقالت: لا والله. فقلت: يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئاً سمعته، فإن الحساد كثير والطلاب لإفساد النساء كثير والحيل والتكذيب، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً، فقامت ابنة عمي فقبّلت رأسي وقالت: قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي.

*** *** ***

المرأة والقاضي

تقدمت امرأة إلى قاض، فقال لها: جامَعَك شُهودكِ، فسكتت. فقال كاتبه: إن القاضي يقول لك: جاء شهودك معك؟ فقالت: نعم: هلا قلت مثل ما قال كاتبك، كبر سُنك، وقل عقلك، وعظمت لحيتك حتى غطت على لُبِّك، ما رأيت ميتاً يقضي بين الأحياء غيرك؟!

*** *** ***

لا تقربني يا خائن

استودع رجل رجلاً من أمناء إياس بن معاوية مالاً، وخرج المستودع إلى مكة. فلما رجع طلب ماله من الرجل فجحده؛ فأتى إياساً القاضي فأخبره. فقال

له إياس:

أعَلمَ أنّكَ أتيتني؟

قال: لا.

قال: فنازعته عند أحد؟

قال: لا، لم يعلم أحد بهذا.

قال: فانصرف واكتم أمرك، ثم عد بعد يومين.

فمضى الرجل، ودعا إياس أمينه ذلك، وقال له: قد حضر مال كثير أريد أن أسلّمه إليك، أفحصينٌ منزلك؟

قال: نعم.

قال: فأعدّ موضعاً للمال، وقوماً يحملونه.

وعاد الرجل إلى إياس، فقال له إياس.

انطلق إلى صاحبك، فاطلب مالك، فإن أعطاك فذاك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي.

فأتى الرجل صاحبه، فقال: مالي، وإلا أتيت القاضي، وشكوت إليه، وأخبرته بما جرى. فدفع إليه ماله، ورجع الرجل إلى إياس، فقال: قد أعطاني المال.

وجاء الأمين إلى إياس لموعده، فانتهره، وزجره إياس، وقال: لا تقربني يا خائن.

*** *** ***

امرأة عرجاء

جاء رجلٌ إلى الشعبي وقال: إني تزوّجتُ امرأةً وجدتها عرجاء، فهل لي أن أردها؟ فقال له: إن كنت تريد أن تُسابق بها فردَّها!

*** *** ***

يبيع الدواب

قال الهيثم: أخبرنا الفرات بن الأحنف بن مرح العبدي، عن أبيه: أن رجلاً خطب إلى قوم، فقالوا: ما تعالج؟ قال: أبيع الدواب فزوجوه، ثم سألوا عنه، فإذا هو يبيع السنانير، فخاصموه إلى شريح، فقال: السنانير دواب وأنفذ تزويجه.

*** *** ***

قد أقرَّ لك بحقِّك

استودع رجل رجلاً مالاً، ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى القاضي إياس.

فقال الطالب: إني دفعت المال إليه.

قال: ومن حضر.

قال دفعته في مكان كذا وكذا ولم يحضرنا أحد .

قال : فأيّ شيء في ذلك الموضع؟

قال : شجرة .

قال : فانطلق إلى ذلك الموضع وانظر الشجرة، فلعل الله يوضح لك هناك ما يتبين به حقك، لعلك دفنت المال عند الشجرة ونسيت، فتتذكر إذا رأيت الشجرة. فمضى الرجل ، فقال إياس للمطلوب : اجلس حتى يرجع خصمك .

فجلس إياس يقضي، وينظر إليه ساعة، ثم قال : له : يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال : لا .

قال : يا عدو الله إنك لخائن .

قال : أقلني ،أقالك الله . فأمر من يحتفظ به حتى جاء الرجل . فقال له إياس: قد أقرّ لك بحقّك فخذه .

*** *** ***

هات شهادتك

قيل : إنّ رجلاً شهد عند سوار بن عبدالله القاضي ، فقال له سوار : ما صنعتك؟

قال : أنا مؤدّب صبيان .

فقال سوار: إنّا لا نجيز شهادة مؤدّب صبيان.

قال: لِمَ؟

قال سوار: لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً.

قال المؤدّب: وأنت، يا سوار، تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً.

قال سوار: إنّي أكرهت على القضاء.

فقال المؤدّب: يا هذا هب أنّك أكرهت على القضاء، فهل أكرهت على أخذ المال؟

فسكت سوار ثم قال: هات شهادتك وأجازها.

***   ***   ***

حتى يبدو العظم

سأل رجل الشعبي قال: هل يجوز للمحرم أن يحُكَّ بدنه؟! قال: نعم، فقال الرجل: مقدار كم؟!. قال: حتى يبدو العظم!!..

***   ***   ***

دعوى في طنبورة

تولّى جحا القضاء في أحد البلاد، فجاءه ذات يوم رجل يصيح بصوت عال: يا سيدي القاضي لقد سرقت طنبورتي، ووجدتها في السوق مع فلان، فخذها لي

منه. فهدأ القاضي، جحا، خاطره، ونادى الشرطي، وأمره أن يذهب إلى السوق ويأتي بالرجل. ولما جاء به، سأله جحا عن دعوى المدّعي. فأجاب: إنّ الطنبورة هي ملكي، وقد اشتريتها من بلدة ثانية.

فسأله جحا: هل عندك شهود؟

فقال: نعم وأحضر شاهدين، فسألهما جحا عن شهادتهما، فقالا: نشهد أن هذه الطنبورة لهذا الرجل، وعلامتها أنّها مكسورة من أعلاها ومفاتيحها رخوة، وفي أسفلها شريط.

وكانت كذلك فعلاً. فأراد جحا أن يحكم للمدعى عليه، فاعترضه المدّعي قائلاً: أريد تزكية الشاهدين قبل الحكم في القضية، وإني أجرح شهادتهما لكون أحدهما بائع خمر والثاني خليعاً.

فتأمل الشيخ قليلاً، ثم رفع رأسه قائلاً: وهل يحتاج مثل هذين الشاهدين إلى تزكية أعظم مما تقول، وأي شاهدين أحسن منهما لدعوى طنبورة؟!

*** *** ***

آخذ من دنا مني

جاءت امرأة إلى الزبير تستعدي على زوجها، وتزعم أنه يصيب جاريتها، فأمر به فأحضر، فسأله عمّا ادّعت.

فقال: هي سوداء وجاريتها سوداء، وفي بصري ضعف ويضرب الليل برواقه، فأنا آخذ من دنا منّي.

إنْ مسخ الله القاضي حماراً

قال الهيثم بن عدي: بينا أنا في كناسة الكوفة إذا برجل مكفوف البصر قد وقف على نخاس بسوق الدواب، فقال له: أبغي حماراً ليس بالصغير المحتقر، ولا بالكبير المشتهر، إذا خلا له الطريق تدفّق، وإذا كثر الزحام ترفق، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، وإذا ركبته هام، وإن ركبه غيري نام.

فقال له النخاس: يا أبا عبدالله اصبر، فإن مسخ الله القاضي حماراً أصبت حاجتك إن شاء الله.

*** *** ***

اللص قوي القلب

جيء إلى ابن النسوي برجلين قد اتّهما بالسرقة، فأقامهما بين يديه، ثم قال: شربة ماء، فجيء بها فأخذ يشرب، ثم ألقاها من يده عمداً، فوقعت فانكسرت، فانزعج أحد الرجلين لانكسارها وثبت الآخر، فقال للمنزعج: اذهب أنت، وقال للآخر: ردّ ما أخذت. فقيل له: من أين علمت؟

فقال: اللصّ قويّ القلب لا ينزعج، وهذا المنزعج بريء، لأنه لو تحركت في البيت فأرة لأزعجته ومنعته أن يسرق.

*** *** ***

الجار النَّصراني

كان للحسن البصري جارٌ نصراني. وكان له كنيف على السطح وقد نقب ذلك في بيته، فكان يتحلَّبُ منه البولُ في بيت الحسن. وكان الحسن أمر بإناء فوضع تحته، فكان يُخرجُ ما يجتمع منه ليلاً.

ومضى على ذلك عشرون سنة!

ثم مرض الحسن ذات يوم فعاده النصراني، فرأى ذلك، فقال:

مُذ كم تحملون منِّي هذا الأذى؟

فقال الحسن:

منذ عشرين سنة.

فقطع النصرانيّ زُنّاره[١]، وأسلم.

*** *** ***

قاض يحكم بالقرعة

حكى أبو الخير الخياط عن بعض أصحابه قال: دخلت تاهرت (مدينة في الجزائر)، فإذا فيها قاض من أهلها، وقد أتى رجل جنى جناية ليس لها في كتاب الله، ولا في السنّة حد منصوص عليه، فأحضر الفقهاء فقال: إنّ هذا

(١) الزنار: حزام يشدّه النصراني على وسطه.

الرجل جنى جناية وليس لها حكم معروف، فما ترون؟ فقالوا جميعهم: الأمر لك، قال: فإنّي رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات، ثم أفتحه، فما خرج من شيء عملت به.

قالوا له: وفّقت: ففعل بالمصحف ما ذكره، ثم فتح فخرج قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ [القلم: ١٦].

فقطع أنف الرجل وخلّى سبيله.

*** *** ***

قضاة حمص

قال أبو الفضل الربعي. حدّثنا أبي قال: سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم.

قال: يا أمير المؤمنين، إنّ قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم. قال: ويحك كيف هذا؟

قال: قدم عليه رجل رجلاً وادَّعى عليه أربعة وعشرين درهماً، فأقر له الآخر، فقال أعطه. قال: أصلح الله القاضي، إنّ لي حماراً أكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم، أنفق على الحمار درهماً، وعليّ درهماً، وأدفع له درهمين، حتى إذا اجتمع ماله غاب عنّي فلم أره فأنفقتها، وما أعرف وجهاً إلاّ أن يحبسه القاضي اثنا عشر يوماً حتى أجمع له إيّاها. فحبس صاحب الحقّ حتى جمع ماله، فضحك المأمون وعزله.

لا أحكم على غائب

تحاكم هارون الرشيد وزبيدة إلى أبي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيّهما أطيب. فقال أبو يوسف: أنا لا أحكم على غائب.

فأمر باتّخاذهما وتقديمهما إليه، فجعل يأكل من هذا مرّة ومن ذلك أخرى، حتى نظّف الجانبين، ثم قال: يا أمير المؤمنين ما رأيت أجدل منهما، إن أردت أن أحكم لأحدهما أدلى الآخر بحجة.

*** *** ***

استحسنت سكوتها

شهد عند أبي شبرمة القاضي رجل، فردّ شهادته، وقال: بلغني أنّ جارية غنّت فقلت لها: أحسنتِ.

فقال: قلت ذلك حين ابتدأت أو حين سكتت؟

قال: حين سكتت.

قال: استحسنت سكوتها أيها القاضي.

فقبل شهادته.

*** *** ***

كيف بمن يرى الأمر عيانا

شكت امرأة زوجها إلى القاضي تبغي الفرقة، وزعمت أنّه يبول في الفراش كلّ ليلة.

فقال الرجل للقاضي: يا سيّدي، لا تعجل عليَّ حتى أقصّ عليك قصتي، إني أرى في منامي كأني في جزيرة في البحر، وفيها قصر عال، وفوق القصر قبّة عالية، وفوق القبة جمل، وأنا على ظهر الجمل، وإنّ الجمل يطأطئ برأسه ليشرب من البحر، فإذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف. فلما سمع القاضي ذلك بال في فراشه وثيابه، وقال: يا هذه، أنا قد أخذني البول من هول حديثه فكيف بمن يرى الأمر عياناً؟

*** *** ***

غفر المطرف

اختصم رجلان إلى إياس بن معاوية في مطرف خزّ وأنبجاني، فادّعى كلّ واحد منهما أنّ المطرف الخزّ له، وأنّ الأنبجاني للآخر. فدعا إياس بمشط وماء، فَبَلّ رأس كل واحد منهما. ثم قال لأحدهما: سرّح رأسك. فخرج في المشط غفر مطرف وفي مشط الآخر غفر الأنبجاني. فقال: يا خبيث، الأنبجاني لك. فدفع المطرف إلى صاحبه.

*** *** ***

أكـرم ديـك

ولي رجل قضاء الأهواز، فأبطأت عليه أرزاقه، وليس عنده ما يُضحي به، ولا ما ينفق، فشكا ذلك إلى امرأته، وأخبرها ما هو فيه من الضيق، وأنّه لا يقدر على أضحية. فقالت له: لا تغتمّ فإنّ عندي ديكاً عظيماً قد سمّنته، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه.

فبلغ جيرانه الخبر، فأهدوا له ثلاثين كبشاً، وهو في المصلى لا يعلم. فلمّا صار إلى منزله، ورأى ما فيه من الأضاحي، قال لامرأته: من أين هذا؟

قالت: أهداه لنا الجيران، حتى سمّت له الجماعة. فقال لها: يا هذه احتفظي بديكنا هذا، فلهو أكرم عند الله من إسماعيل بن إبراهيم، إنّه فدى ذلك بكبش واحد، وفدى ديكنا هذا بثلاثين كبشاً.

*** *** ***

أصبت في صمتك

كان يجلس إلى أبي يوسف (القاضي) رجلٌ، فيُطيل الصمت ولا يتكلّم، فقال له أبو يوسف يوماً: ألا تتكلّم! فقال: بَلَى، متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غابت الشمس. قال: فإن لم تغب إلى نصف الليل، كيف يصنع؟ فضحك أبو يوسف وقال: أصبت في صمتك وأخطأتُ أنا في استدعائي نطقك، وأنشد:

عجبتُ لازدراء الغبيّ بنفسه
وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصَّمتِ سترٌ للغبيٍّ وإنما
صحيفةُ لُبٍّ المرء أن يتكلَّما

*** *** ***

المسح على اللحية

سأل رجلٌ الشعبي عن المسح على اللحية فقال: خلّلها. قال الرجل: أتخوّف أن لا نبلّها. فقال الشعبي: إن تخوّفت فانقعها من أوّل الليل.

*** *** ***

جُبّة

قال سائل لأبي نواس: هب لي هذه الجبّة. فقال: لا أملك غيرها. قال السائل: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. فقال أبو نواس: هذه الآية نزلت في شهر تمّوز في حقّ أهل الحجاز، ولم تكن نزلت في شهر كانون في حقّ أهل بغداد.

*** *** ***

ما في الدنيا أحل من هذا

دخل شيخ ورع على ابن النسوي في شفاعة، وبين يديه صحن فيه قطايف. فقال له ابن النسوي: كُل. فامتنع. فقال: كأنّني بك تقول من أين لابن النسوي شيء حلال، ولكن كُل فما أكلت قطّ أحلّ من هذا. فقال -بحكم المداعبة-: من أين لك شيء لا يكون فيه شبهة؟ فقال: إن أخبرتك تأكل؟ قال: نعم.

قال: كنت منذ ليالٍ في مثل هذا الوقت، فإذا الباب يدقّ، فقالت الجارية: من؟ فقالت امرأة تستأذن. فأذن لها، فدخلت فأكبّت على قدمي تقبّلها. فقلت: ما حاجتك؟ قالت: لي زوج ولي منه ابنتان، لواحدة اثنتا عشرة سنة، وللأخرى أربع عشرة سنة، وقد تزوّج عليَّ وما يقربني، والأولاد يطلبونه فيضيق صدري لأجلهم، وأريد أن يجعل ليلة لي ولتلك ليلة. فقلت لها: ما صناعته؟

قالت: خبّاز.

قلت: أين دكّانه؟

قالت: بالكرخ، ويعرف بفلان ابن فلان.

فقلت: وأنت بنت من؟

فقالت: بنت فلان.

قلت: فما اسم بناتك؟

قالت: فلانة وفلانة.

قلت: أنا أردّه إليك إن شاء الله.

فقالت: هذه شقّة غزلتها أنا وابنتاي، وأنت في حلّ منها.

قلت خذي شقّتك وانصرفي. فمضت، فبعثت إليه اثنين وقلت: أحضراه ولا تزعجاه. فأحضراه وقد طار عقله. فقلت: لا بأس عليك، إنّما استدعيتك لأعطيك كر (مكيال) طعام وعمالته تقيمه خبزاً للرحالة، فسكن روعه، وقال: ما أريد له عمالة. قلت: بلى صديق مُخسر عدو مبين، أنت منّي وإليّ ، كيف هي زوجتك فلانة، تلك بنت عمي، وكيف بناتها فلانة وفلانة؟ فقال: بكلّ خير. قلت: الله، الله لا أحتاج أن أوصيك بها، لا تضيّق صدرها. فقبل يدي. قلت: امض إلى دكانك، وإن كان لك حاجة فالموضع بحكمك فانصرف. فلما كان في هذه الليلة، جاءت المرأة فدخلت وهذا الصحن معها، وأقسمت عليّ بالله أن لا أردها، وقالت: قد جمعت شملي وشمل أولادي، وهذا والله من غزلي فبالله لا ترده. فقبلته فهل هو حلال؟. فقال: والله ما في الدنيا أحل من هذا.

قال: كل. فأكل..

***   ***   ***

ذكاء الثعلب

قال الشافعي:

كنّا في اليمن، فوضعنا سُفرتنا لنتعشّى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا

نصلّي ثم نتعشّى. فتركنا السفرة كما هي، وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان. فجاء ثعلب، فأخذ إحدى الدجاجتين.

فلمّا قضينا الصلاة أسفنا عليها، وقلنا: حُرمنا طعامنا.

فبينما نحن كذلك إذ جاء ثعلب، وفي فمه شيء كأنه الدجاجة فوضعه. فبادرنا إليه لنأخذه، ونحن نحسبه الدجاجة قد ردّها. فلمّا قمنا، جاء إلى الأخرى، وأخذها من السفرة، وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه، فإذا هو ليف قد هيّأه مثل الدجاجة.

*** *** ***

لا ولد لي منه

دخل أبو دلامة على أم سلمة زوجة أبي العباس السفاح فعزاها به، وبكت معه، ثم أنشدها شعراً... فقالت أم سلمه: لم أرَ أحداً أصيب به غيري وغيرك يا أبا دلامة!. فقال: لم يصب به أحد سواي، أنت لك ولد منه تتسلين به.. وأنا لا ولد لي منه..!. فضحكت، ولم تكن مذ مات أبو العباس ضحكت، وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

*** *** ***

الشَرْبة بخمسة دراهم

رُوي إنَّ الإمام أبا حنيفة قال: خرجت إلى البادية، فاحتجت إلى الماء، فجاءني أعرابيّ ومعه قربةٌ ملآنة فأبى أن يبيعها إلاً بخمسة دراهم، فدفعتها

إليـه، ثـم أخـذت القـربة، فـقلت: مـا رأيك يا أعـرابي في الـسَّويق؟ فـقـال: هات. فأعطيته سويقاً ملتوتاً بزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، ثـم عـطش، فقال: عليَّ بشُربة. فقلت: القدح بخمسة دراهم، فاستـرددت الخمسة، وبقي الماء.

*** *** ***

كرامة العلم

حجّ هارون الرشيد، ثم شخص بعد الحجّ إلى المدينة، وأراد أن يرى مالك ابن أنس الذي سمع من علمه ونبُوغه الكثير، فأرسل يستقدمه. فقال مالكٌ للرسول: قل لأمير المؤمنين: إنَّ طالب العلم يسعى إليه، أمَّا العلمُ فلا يسعى إلى أحد.

وأذعن الخليفة وزار مالكاً في داره، ولكنَّه أمر أن يخلى المجلس من الناس، فأبى مالكٌ إلاَّ أن يظلّ الناس كما كانوا وقال:

«إذا مُنع العلم عن العامّة، فلا خير فيه للخاصة».

*** *** ***

سترك اللهُ كما سترتني

قال أحمد بن مهدي: جاءتني امرأةٌ ببغداد، ليلةً من الليالي، فذكرت أنّها من بنات الناس، وأنّها امتُحنت بمحنةٍ، وقالت: أسألك بالله أن تسترني! فقلت: وما محنتك؟ قالت: أكرهتُ على نفسي وأنا حُبلى، وذكرتُ للناس

أنّكَ زوجي، وأنّ ما بي من الحبل منك فلا تفضحني، استرني سترك اللهُ عزّ وجلّ! فسكت عنها ومضت، فلم أشعر حتى وضعَتْ. وجاء إمامُ المحلّة في جماعة من الجيران يهنّئونني بالولد، فأظهرت لهم التهلّل، ووزنت في اليوم الثاني دينارين، ودفعتهما إلى الإمام، فقلت: ادفع هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود، فإنّه سبقَ ما فرّق بيني وبينها، وكنت أدفع في كلّ شهر إليها دينارين على يد الإمام وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان. ثم توفّي المولود فجاءني الناس يُعزّونني، فكنتُ أظهر لهم التسليم والرضا. فجاءتني المرأة ليلة من الليالي بعد شهر، ومعها تلك الدنانير التي كنتُ أبعثُ لها بيد الإمام، فردتها وقالت: سترك الله عزّ وجل كما سترتني، فقلت: هذه الدنانير كانت صلةً من المولود هي لك، فاعملي فيها ما تريدين!

*** *** ***

صاعقة

كان أبو حازم من المشهورين في الزهد والنسك، وكان يجلس في المسجد الحرام، وكان النساء يمرّون على النوق في الهوادج، فكان إذا مرت الحسناء البارعة قال من حضر من القرشيين: بارقة. وإذا مرّت قبيحة سكتوا. فمرّت بهم يوماً قبيحة. فقال أبو حازم: صاعقة. فتعجّبوا من ذلك مع زهده.

*** *** ***

صم ويدك مغلولة

جاء رجل إلى فقيه فقال: أفطرت يوماً من رمضان فقال: اقضِ يوماً مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي وقد عملوا مامونية، فسبقتني يدي إليها فأكلت منها.

قال: اقضِ يوماً آخر مكانه.

قال: قضيت، وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة، فسبقتني يدي إليها.

فقال له: أرى أن لا تصوم إلاَّ ويدك مغلولة إلى عنقك.

*** *** ***

من أين تصيح

سأل رجل عمر بن فتن عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خفّه أو جبهته.

قال له: ارمِ بها.

فقال الرجل: زعموا أنّها تصيح حتى تردَّ إلى المسجد.

فقال عمر: دعها تصيح حتى ينشقَّ حلقها!

قال الرجل: وهل لها حلق؟

قال عمر: إذاً كيف تصيح؟!

*** *** ***

جبلوا على الطرف

قيل إنّ أهل الحجاز قد جُبلوا على الظرف، وشاع بينهم روح التسامح حتى بين فقهائهم الكبار، كسعيد بن المسيّب، مفتي المدينة، وسيّد التابعين الذي وصفه الإمام أحمد بن حنبل بقوله: سعيد بن المسيَّب أفضل التابعين، وكان يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء. لقد كان هذا العالم الجليل يحبّ إنشاد شعر الغزل، ويحكم بجودته أحياناً، حتى قال أحدهم:

سألتُ سعيد بن المسيّبِ مُفتي الـ
مدينة: هل في حبّ ظمياءَ من وزرْ
فقالَ سَعيدُ بنُ المسيّبِ: إنّما
تُلامُ على ما تستطيعُ مِن الأمرِ

فلمّا سمعها ابن المسيّب قال: والله، ما سألني أحدٌ عن هذا، ولو سألني ما كنتُ أجيبُ إلاّ به.

*** *** ***

لست بغوغاء

عن أبي عاصم النبيل أنّ رجلاً أتاه فقال: إنّ امرأتي قالت لي: يا غوغاء. فقلت لها: إن كنتُ غوغاء فانت طالق ثلاثاً. فقال له أبو عاصم: هل أنت ممّن يحضر المناطحة بالكباش والمناقرة بالديوك؟ قال: لا. قال أبو عاصم: فهل أنت الرجلُ يحضرُ يومَ يعْرضُ السلطانُ أهل السجون فيقول فلان أجلدُ من فلان؟ قال: لا. قال أبو عاصم: هل أنت الرجل الذي إذا خرج الأمير لصلاة الجمعة جلست على ظهر الطريق حتى يمرّ، ثم تقيم مكانك حتى يصلّي وينصرف؟ قال: لا. قال أبو عاصم: لست بغوغاء، إنّما الغوغاء من يفعل هذا.

*** *** ***

جوهرة في مزبلة

قالَ حسَّانٌ: خرجنا مع ابن المُبارك مُرابطين إلى الشام، فبينما هو يمشي وأنا معهُ في أزقة المصِّيصة إذ لقي سكران قد رفع عقيرته يتغنى، فأخرج ابن المبارك برنامجاً من كُمِّه فكتب البيت، فقلنا لهُ: أتكتبُ بيت شعر سمعته من سكران؟ قال: أما سمعتمُ المثل: رُبَّ جوهرة في مزبلةٍ؟ قُلنا: نعم. قال: فهذه جوهرةٌ في مزبلة.

*** *** ***

مسألة في الفقه

حُكي أن القاضي نجم الدين الباذرائيّ اجتاز بالموصل رسولاً إلى حلب، في سنة سبع وأربعين وستمائة، فسأل فقهاءها هذه المسألة:

أيا فُقهاءَ العصرِ هل من مخبِّرٍ
عن امرأةٍ حَلَّت لصاحبها عقدا
إذا طُلِّقتْ بعدَ الدُّخول تربَّصَتْ
ثلاثة أقراءٍ حُدود لها حدًا
وإنْ ماتَ عنها زوجُها فاعتدادُها
بقُرءٍ من الأقْراءِ تأتي به فَرْدا

فأجابه صاحب «التعجيز»:

وكنّا عهِدنا النَّجمَ يَهدي بنُورهِ
فما بالُهُ قد أتهَمَ العلمَ الفرْدا
سألْتَ فخُذْ عنّي فتلكَ لَقيطةٌ
أقرَّتْ بِرِق بعد أنْ نُكِحَتْ عَمْدا

*** *** ***

اقض بيننا

أتى عديّ بن أرطاة، وهو أمير البصرة -وكان أعرابيَّ الطبع- إلى إياس بن معاوية وكان القاضي يومئذٍ في مجلس حكمه. فقال: يا هَناة أين أنت؟ قال إياس: بينك وبين الحائط. قال فاسمع منّي، قال: للاستماع جلستُ، قال: إني تزوّجتُ امرأة، قال: بالرفاه والبنين. قال: وشرطتُ لأهلها ألاّ أُخرجها من بيتهم، قال: أوف لهم بالشرط. قال: وأنا أريد الخروج، قال: في حفظ اللّه. قال فاقض بيننا، قال: قد فعلت. قال فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمّك.

*** *** ***

لا أعدمني الله إحسانك

كان الرشيد بن الزبير على جلالته وفضله، ومنزلته من العلم والنّسب، قبيح المنظر، أسود الجلدة، ذا شفة غليظة وأنف مبسوط كخلقة الزنوج، قصيراً.

حدّث يوماً فقال:

مررت بموضع في القاهرة، وإذا امرأةٌ شابّة، صبيحة الوجه، وضيئة المنظر، فلما رأتني نظرت إليّ نظر مُطمع لي في نفسه، فتوهمّتُ أنني وقعت منها بموقع، ونسيت نفسي. وأشارت إليّ بطرفها، فتبعتها وهي تدخل في سكّة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً، وأشارت إليّ، فدخلتُ. ورفعت

النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفّقت بيديها منادية: يا ست الدار! فنزلت إليها طفلة، فقالت لها:

إن رجعت تبولين في الفراش تركتُ سيدنا القاضي يأكلك!

ثم التفت إليّ وقالت:

لا أعدمني الله إحسانك.

فخرجتُ وأنا خزيان خجلاً، لا أهتدي إلى الطريق.

*** *** ***

شُريح القاضي وابنه

يُحكى أن ابناً لشُريح القاضي قال لأبيه:

إن بيني وبين قوم خصومة. فانظر في الأمر، فإن كان الحقُّ لي خاصمتهم، وإن لم يكن لي الحقُّ لم أخاصم.

ثم قصَّ قصتّه عليه. فقال شُريح:

انطلق فخاصمهم.

فانطلق إليهم فخاصمهم، فقضى شريح على ابنه! فقال ابنه له لما رجع إلى أهله:

واللّه لو لم أتقدّم إليك بطلب النُّصح لم أُلمك. فضحتني!

فقال شريح:

يا بُنيّ، والله لأنت أحبُّ إليَّ من ملء الأرض من مثلهم، ولكن الله أعزّ عليّ منك. خشيتُ أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم على مال فتذهب ببعض حقّهم!

*** *** ***

طرافة الأعمش

دخل رجل على الأعمش يسأله عن مسألة، فردّ عليه، فلم يسمع، فقال له: زدني في السماع قال: ما ذلك لك ولا كرامة.

قال: فبيني وبينك رجل من المسلمين.

فخرجا إلى الطريق، فمر بهما شريك القاضي فقال الأعمش: إني حدثت هذا بحديث فلم يسمع، فسألني أن أزيده في السماع لأنه ثقيل السمع، وزعم أن ذلك واجب له، فأبيت.

قال له شريك: عليك أن تزيده لأنك تقدر أن تزيد في صوتك، ولا يقدر أن يزيد في سمعه!

*** *** ***

حملته على أصعب الأمور

كتب الأمير عبدالرحمن بن الحكم صاحب الأندلس إلى الفقهاء يستدعيهم إليه. وكان عبدالرحمن قد نظر في شهر رمضان إلى جارية له كان يحبها حباً

شديداً، فعبث بها، ولم يملك نفسه أن وقع عليها، ثم ندم ندماً شديداً.

فسأل الفقهاء عن توبته من ذلك وكفارته: فقال يحيى بن يحيى الليثي:

يكفّر ذلك بصوم شهرين متتابعين!

فلما بدر يحيى بهذه الفتيا سكت بقية الفقهاء، حتى خرجوا من عند الأمير، فقالوا ليحيى:

مالك لم تفته بمذهب الإمام مالك، فعنده أنه مخيرّ بين العتق والطعام، والصيام؟

فقال:

لو فتحنا له هذا الباب سهُل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة ولكن حملتُه على أصعب الأمور لئلا يعود!

*** *** ***

اقرأ الرسالة

التقت امرأة برجل متعمم يركب حماراً وكان معها رسالة تود قراءتها فاستوقفته وناولته الرسالة وطلبت إليه أن يقرأها لها.

فاعتذر قائلاً: إنني أجهل القراءة.

فتعجبت وقالت: متعمم وتجهل القراءة؟!

وما كان من الشيخ عندئذ إلا أن وضع العمامة على رأس الحمار وقال: تفضل يا حمار اقرأ الرسالة.

*** *** ***

اكتب له إعلاماً شرعياً

كان في بغداد قاضٍ، وفي بعض الأيام لم يكن عنده ما ينفق فقال لخادمه: اذهب فانظر هل تجد أحداً له دعوى ولو ميتة، أو دين على أحد ولو هالكاً، أو شيء يتشبث به فأتني به.

فذهب الخادم فلم يجد أحداً.

فقال: اذهب وأتني بأول من تراه أياً كان.

فذهب فرأى رجلاً، فقال: أجب القاضي.

فقال: ليس لي معه شغل.

فقال: لابد من ذهابك إليه.

فجاء فقال له القاضي: هل لك دعوى على أحد؟

قال: لا.

قال: هل عليك دعوى لأحد؟

قال: لا.

قال: هل لك دين على أحد حتى نحصله لك؟

قال: لا.

قال: هل عليك دين لأحد؟

قال: لا.

قال: هل ورثت ميراثاً يحتاج إلى قسمة لنقسمه لك؟

قال: لا.

قال: هل أنت وصي لأحد حتى نثبت لك وصايتك؟

قال: لا.

قال: فلما أعياه قال لكاتبه اكتب له إعلاماً شرعياً بأنه ليس مدعياً ولا مدعى عليه. فقال: خذ هذا الإعلام.

فأخذه وألزمه بدفع رسمه. فدفعه فأعطاه للخادم وقال: اذهب إلى السوق واشتر به لوازم البيت.

*** *** ***

أأخبزه لك

تنازع رجل مع زوجته، وكانت تخبز وبين يديها بقية دقيق، فوضعته في صرة وجعلتها تحت حزامها وذهبا إلى القاضي، فلما رأى الصرة ظنها دراهم

جاءت بها معها لتعطيه إياها، فجعل القاضي كلما جاء الزوج بحجة أبطلها وكلما جاءت الزوجة بحجة أيدها، حتى حكم لها عليه، ثم خرجا فلما رأى أنها لم تعطه شيئاً، أرسل وراءها وأشار أنه يريد الصرة، فأخرجتها، فإذا بها دقيق. فقالت: أأخبزه لك أو تأكله دقيقاً؟

قال: بل انثريه على لحية من يحكم قبل أن يقبض.

*** *** ***

ذلك حكم العام الماضي

ترافع خصمان إلى قاضٍ لا يقرأ ولا يكتب؛ فحكم لأحدهما على الآخر فطلب المحكوم له أن يكتب له صورة الحكم. فخجل أن يقول إنه أمي، وأخذ القلم وخطّ خطوطاً مختلفة في القرطاس ليوهم الخصمين أنه يكتب وكانا أميين كقاضيهما، وأعطاه للمحكوم له، وبعد سنة تنازعا فترافعا إليه فحكم للمحكوم عليه أولاً، وكان قد نسي الحكم الأول.

فقال صاحبه: قد ترافعنا إليك في العام الماضي، وحكمت لي وأراه الورقة.

فتأملها ملياً ثم قال: ذلك حكم العام الماضي وهذا حكم اليوم.

*** *** ***

الشيطان يأتيه

يروى أن رجلاً جاء إلى أبي حازم فقال له: إنّ الشيطان يأتيني فيقول: إنك قد طلقت زوجتك فيشككني!!

فقال له: أوليس قد طلقتها؟

قال: لا!

قال: ألم تأتني أمس فطلقتها عندي؟

فقال: والله ماجئتك إلا اليوم، ولا طلقتها بوجه من الوجوه!!

قال: فاحلف للشيطان إذا جاءك كما حلفت لي وأنت في عافية.

*** *** ***

قم لا حق لك

ادعى رجل عند قاض على امرأة حسناء بدين، فجعل القاضي يميل إليها بالحكم.

فقال الرجل: أصلح الله القاضي، حجتي أوضح من هذا النهار.

فقال له القاضي: اسكت يا عدو الله، فإن الشمس أوضح من النهار، قم لا حق لك عليها.

فقالت المرأة: جزاك الله عن ضعفي خيراً، فقد قويته.

فقال الرجل: لا جزاك الله عن قوتي خيراً فقد أوهيتها.

قم قبَّحكَ الله

وقع بين الأعمش وبين امرأته وحشة؛ فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما.

فدخل إليها وقال:

إن أبا محمد شيخ كبير، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، وبخر فيه، وجمود كفيه.

فقال له الأعمش: قم قبّحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

*** *** ***

بإجماع المذاهب

جاء رجل إلى بعض الفقهاء فقال له:

أنا أعبد الله على مذهب ابن حنبل؛ وإني توضأت وصليت، فبينما أنا في الصلاة إذ أحسست ببلل في سراويلي يتلزق، فشممته فإذا رائحته كريهة خبيثة فهل صلاتي صحيحة؟

قال الفقيه: أو تسأل؟! عافاك الله.. لقد خريت بإجماع المذاهب.

*** *** ***

أشأمُ الأسماء

قال إبراهيم بن المهدي: كنت أنا والرشيد على ظهر حراقة، وهو يريد نحو الموصل، والمدادون يمدون، والشطرنج بين أيدينا. فلما فرغنا قال لي الرشيد: يا إبراهيم، ما أحسن الأسماء عندك؟

قلت: اسم رسول الله ﷺ.

قال: فما الثاني بعده؟

قلت: اسم هارون -اسم أمير المؤمنين-.

قال: فما أسمجها؟

قلت: إبراهيم.

فزأرني وقال: ويلك!! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن جل وعز؟

قلت: بشؤم هذا الاسم، لقي ما لقي من نمرود.

قال: وإبراهيم، ابن رسول الله ﷺ؟

قلت: لا جَرَمَ، لما سمي بهذا الاسم لم يعش.

قال: فإبراهيم الإمام.

قلت: بحرفة اسمه، قتله مروان الجعدي في جراب النورة، وأزيدك يا أمير المؤمنين، إبراهيم بن الوليد خلع، وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتل، ولم أجد أحداً سمي بهذا الاسم إلا ورأيته مقتولاً أو مضروباً أو مطروداً؛ فما انقضى

كلامي حتى سمعت ملاحاً على بعض الحرقات يهتف بأعلى صوته: يا إبراهيم: يا عاضّ كذا وكذا من أمّه مدّ.

فالتفت إليّ الرشيد، فقلت: يا أمير المؤمنين، أصدقت قولي أشأم الأسماء إبراهيم؟

فضحك حتى فحص برجله.

*** *** ***

يرى الشاهد ما لا يرى الغائب

حكي ان عاملاً لمنصور بن النعمان، كتب إليه من البصرة، أني أصبت سارقاً سرق نصاباً من حرز، فما أصنع فيه؟

فكتب المنصور إليه: اقطع رجله ودعه يكد بيديه على عياله.

فأجابه العامل: إن الناس ينكرون هذا لقول الله تعالى في القرآن: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

فكتب إليه: إن القرآن نزل من السماء، ونحن في الأرض، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

*** *** ***

أقله عافاك الله

تقدم رجل إلى أحد القضاة بخصم، فقال: إن هذا باعني ثوباً، وجدت فيه عيباً، وسألته أن يقيلني فأبى.

فالتفت إليه القاضي، وقال: أقله، عافاك الله، فإن رسول الله ﷺ قال: قيلوا فإن الشياطين لا تقيل.

*** *** ***

لا تفعل

قال الشعبي كنت جالساً عند شريح، إذ دخلت عليه امرأة، تشكتي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاءً شديداً؛ فقلت: أصلحك الله، ما أراها إلا مظلومة!

قال: وما علمك؟!

قلت: لبكائها.

قال: لا تفعل، فإن أخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاءً يبكون وهم له ظالمون.

*** *** ***

حكمة أبو حنيفة

قال رجل لأبي حنيفة: ما تقول في رجل قال: لا أرجو الجنة، ولا أخاف

النار، وآكل الميتة وأشهد بما لم أرَ، ولا أخاف الله، وأصلي بلا ركوع ولا سجود، وأبغض الحق وأحب الفتنة.

فقال له أبو حنيفة -وكان يعرفه شديد البغض له- : يا فلان سألتني عن هذه المسألة ولك بها علم.

قال: لا؛ ولكن لم أجد شيئاً هو أشنع من هذا، فسألتك عنه.

قال: فقال أبو حنيفة لأصحابه: ما تقولون في هذا الرجل؟!

قالوا: شر رجل، هذه صفة كافر.

قال: فتبسم أبو حنيفة، وقال: لقد شنعتم القول فيه. ثم قال: هو والله من أولياء الله تعالى حقاً؛ ثم قال للرجل: إن أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى حقاً، تكف عني شرَّك، ولا تمل على الحفظة ما يضرك؟

قال: نعم!

قال: أما قولك: لا يرجو الجنة، ولا يخاف النار، فإنه يرجو ربَّ الجنة ويخاف رب النار. وأما قولك: لا يخاف الله، فإنه لا يخاف ظلمه، ولا جوره؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]. وقولك: يأكل الميتة، فهو يأكل السمك. وقولك يصلِّي بلا ركوع ولا سجود؛ فقد جعل أكثر عمله الصلاة على النبي ﷺ وقد لزم موضع الجنائز، فهو يصلي عليها، ويعتبر بقصر أمله، ويصلي على كل مسلم ومسلمة، ويدعو للأحياء والأموات. وأما قولك: يشهد بما لم ير، فهي شهادة الحق، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن

محمداً عبده ورسوله. وقولك يبغض الحق، فهو يحب البقاء حتى يطيع الله، ويكره الموت وهو الحق. قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]. وقولك يحب الفتنة؛ فإن القلوب مجبولة، على حب المال والولد، وذلك من الفتنة العظيمة، على قلوب المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

قال: فرجع الرجل عن بغضه لأبي حنيفة وتاب إلى الله عز وجلّ.

*** *** ***

قميص القاضي وقميص الوزير

كان الوزير علي بن عيسى متزمّتاً متخشّناً، وكان يحب أن يبين فضله في هذا على كل أحد.

دخل إليه يوماً أبو عمر القاضي، وعلى أبي عمر قميص فاخر، فأراد الوزيرُ أن يخجله، فقال له:

يا أبا عمر، بكم اشتريت هذا القميص؟

فقال: بمائتي دينار.

فقال الوزير:

ولكني اشتريت لي هذه الدّراعة وهذا القميص الذي تحتها بعشرين ديناراً.

فقال له أبو عمر مسرعاً كأنه قد أعدّ له الجواب:

الوزير أعزّه الله يُجمل الثياب، ولا يحتاج إلى المبالغة فيها، والكل يعلم أنه يدع هذا عن قدرة، ونحن نتجمّل بالثياب فنحتاج إلى المبالغة فيها، لأنّا نلابس العوام ومن نحتاج إلى التفخيم عليه، وإقامة الهيبة في نفسه به.

فكأنما ألقم الوزير حجراً، فكست عنه.

*** *** ***

سكت وأجازهم

أُتي ابن شبرمة بقوم يشهدون على قراح نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً. فامتحنهم فقال: كم في القراح من نخلة؟

قالوا: لا نعلم!

فردّ شهادتهم.

فقال له أحدهم: أنت أيها القاضي، تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا كم فيه من أسطوانة.

فسكت وأجازهم.

*** *** ***

الجروح قصاص

أتت جارية إلى أبي ضمضم فقالت: إن هذا الفتى قبّلني! فقال لها: قبّليه.. فإن الله يقول: «والجروح قصاص».

أتدرون ما أريد أن أقول لكم

صعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف. فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد.. فارتج عليه. فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا. قال: فما ينفعكم ما أريد أن أقول لكم؟ ثم نزل. فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر، وقال: أما بعد... فارتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: نعم. قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم؟ ثم نزل. فلما كانت الجمعة الثالثة قال: أما بعد... فارتج عليه. قال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: بعضنا يدري وبعضنا الآخر لا يدري. قال: فليخبر الذي يدري منكم الذي لا يدري. ثم نزل.

*** *** ***

إن الجمعة لا تؤخر

عن علي بن هشام أنه قال: كان للحجاج قاض بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير، فحضرت الجمعة فمضى يريدها، فلقيه رجل من العراق فقال له: يا أبا حمير فأين تذهب؟ قال: إلى الجمعة، فقال أما بلغك أن الأمير قد أخّر الجمعة اليوم؟ فانصرف راجعاً إلى بيته. فلما كان من الغد قال له الحجاج: أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة؟ قال: لقيني بعض أهل العراق فأخبرني أن الأمير أخّر الجمعة فانصرفت. فضحك الحجاج وقال: يا أبا حمير، أما علمت أن الجمعة لا تؤخّر؟

أنا الأرقم

روى صاحب الأغاني أن شيخاً كان مع فتية في سفينة. قالوا له: معنا قينة تغني، ونحن نُجل مقامك، ولكن نريد مع ذلك أن تسمع غناءها، فقال: أنا أصعد الشراع والله المستعان، ولكم أن تغنيكم.

فغنت من قصيدة غزل رقيقة لإسماعيل بن يسار مطلعها:

كلثمُ أنت الهم يا كلثمُ   وأنتم دائي الذي أكتم
حتى إذا الصبح بدا ضوؤه   وغارت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي كما   ينساب من مكمنه الأرقم

قال: فألقى الشيخ بنفسه في الفرات، وجعل يخبط بيديه ويقول: أنا الأرقم.. أنا الأرقم.. فأدركوه وقد كاد يغرق، فقالوا: ما صنعت بنفسك؟ فقال: إني والله أعلم من معاني الشعر ما لا تعلمون.

***   ***   ***

كيف ذلك

قال أبو العيناء: أخجلني غلام قلت له: وددت أن لي ابناً مثلك. قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: احمل أبي على امرأتك لتلد لك ابناً مثلي.

***   ***   ***

عن مالك بن أنس

قال حسن بن نعمان :

كنت بالمدينة ، فخلا بي الطريقُ نصف النهار ، فجعلتُ أتغنّى بشعر ذي يزن وأقول :

ما بالُ قومك يا ربـــابُ　　　خُزراً كأنهمُ غضـــابُ

فإذا كُوّة قد فُتحت ، ووجهٌ قد بدا منها تتبعه لحية حمراء ، وإذا به الإمام مالك -رضي الله عنه- فقال لي :

يا فاسق، أسأت التأدية ومنعتَ القائلة .

ثم اندفع فغنّى الصوت غناء لم أسمع بمثله . فقلت :

أصلحك الله! من أين لك هذا الغناء .

قال : نشأتُ وأنا غلام، فأعجبني الأخذُ عن المغنين، فقالت أمي : يا بني، إن المغني إذا كان قبيح الوجه لم يُلتفت إلى غنائه، فدع الغناء واطلب الفقه! فتركت المغنين وتبعت الفقهاء، فبلغ الله بي إلى ما ترى .

فقلت : أعد الصوت، جُعلت فداك!

فقال : لا ولا كرامة! تريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أنس؟!

***　***　***

شروط الحكيم

ذكر أن حكيماً دعي إلى الطعام فقال أجيبك بثلاثة شرائط: أن لا تتكلف، ولا تخون، ولا تجور، قال: ما التكلف؟ قال: أن تتكلف بما ليس عندك فأما الخيانة فأن تبخل بما عندك ولا تقربه إلى ضيفك. والجور. أن تجور على عيالك وتعطي ضيفك.

*** *** ***

الثوري يحكم بين المهدي والخيزُران

قيل إنَّ المهدي قال للخيزُران: أُريد أن أتزوج، وكانت بكتاب. فقالت له: لا يحلّ لك أن تتزوج عليّ قال: بلى. قالت له: بيني وبينك من شئتَ. قال: أترضين سُفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجّه إلى سفيان فقال: إنّ أُمَّ الرشيد تزعم أنَّه لا يحلُّ لي التزوّج عليها، وقد قال الله عزَّ وزجل: ﴿**فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [النساء: ٣]. ثم سكتَ فقال له سُفيان: أتمَّ الآية. يريد قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً**﴾ وأنت لا تعدل. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها.

*** *** ***

بين شاعر وفقيه

حكى بعض من كان يحضر مجلس محمد بن داود الظاهري أنّ رجلاً دخل

عليه ورفع إليه رقعةً، فأخذها وتأمّل فيها طويلاً؛ فظنَّ من في المجلس أنها مسألة في الفقه يسأله الفتوى فيها، فقلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها، ونظر في المجلس فإذا الرجل علي بن العبّاس بن جُريج الرومي، وإذا هو قد كتب، في الرقعة:

يابن داودَ يا فقيه العـــراق أفتنا في قواتل الأحـــداق

هل عليهنَّ في الجروح قصاصٌ أم مُباحٌ لهن دَمُ العُشّــاقِ

وإذا بأبي بكر قد كتب له على ظهر الرقعة:

كيف يُفتيكمُ قتيلٌ صريعٌ بسهام الفراق والاشـــتياقِ

وقتيل التلاق أحسنُ حـــالاً عند داود من قتيل الفـــراقِ

*** *** ***

ظرف أهل الحجاز

خرج أبو حازم سلمة بن دينار يرمي الجمار ومعه قومٌ ناسكون وهو يحدّثهم، فبينا هم كذلك إذ نظروا إلى امرأةٍ من أجمل النـــاس تتلفّتُ يمنةً ويسرةً، وقد شغلت الناس وبُهتوا ينظرون إليها. وخاضَ بعضهم في بعض، فقال لها أبو حازم: يا هذه، اتقي الله فإنك في مشعر من مشاعر الله، وقد فتنت الناس، فاضربي على جيبك بخمارك، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: ياهذا، إنّي ممّن قال فيهم الشاعر العَرجي:

من اللأء لم يحججن يبغين حسبةً

ولكن ليقتُلنَ البريء المُغفَّلا

فاقبل أبو حازم على أصحابه وقال: يا هؤلاء، تعالوا ندعُ اللّه أن لا يعذّب هذه الصورة الحسنة بالنار. فجعل يدعو وأصحابُهُ يُؤمّنون. وبلغ ذلك سعيد بن المسيَّب (سيّد التابعين وأحد الفقهاء السبعة رضي الله عنهم) فقال: أما واللّه ، لو كان بعض بُغضاء العراق لقال لها: اغربي قبَّحكِ الله! ولكنّه ظَرفُ عُبّاد أهل الحجاز.

*** *** ***

سوء الاتهام

سُئل عالم فقيه: ما تقول في رجل خلا بمحبوبته الجميلة، والباب مغلق، وقد نام الرقيب، ولم يصدر عن هذا الحب شر؟

قال: إذا سلم من شرِّ الآثام، فلن يسلم من سوء الاتهام.

*** *** ***

إنما هي مقلاة!

مرَّ قاضٍ بواسط أو بحمص على السوق في يوم رمضان، فرأى رجلاً قد صنع معزفاً، فوقف عليه وقال: أيّها الفاسق! في هذا الشهر المبارك تعمل آلات اللهو وظروف الشرّ، فقال: أصلح اللّه القاضي، إنّما هي مقلاة. قال: لعن اللّه

الشيطان! ما حسبتها إلاً معزفاً، فنهض شيئاً ثمَّ عاد إليه ، فقال له: يا فاسق! وكيف تكون مقلاة من خشب؟ هذا مُحال. فقال له: أيها القاضي! إنّي أطليها بالقار، فلا تؤثّر فيها النار. قال: صدقتَ، ثمَّ انصرف.

*** *** ***

أهي طلّقته أم هو طلّقها!

قيل: جاءت امرأة إلى القاضي وذكرت أنّ زوجها طلّقها، فقال القاضي: ألك بيّنة؟ فقالت: نعم، جارٌ لنا، فأحضرته. فقال القاضي: أسمعت طلاق هذه المرأة؟ فقال: يا سيِّد ي، خرجتُ إلى السوق، فاشتريت لحماً وخبزاً ودبساً وزعفراناً. فقال له القاضي: ما سألتك عن هذا، هل سمعت طلاق هذه المرأة؟ قال: ثمَّ تركتُهُ في البيت وعدتُ فاشتريتُ حطباً وخلاً. فقال: دع هذا عنك. فقال: ما أحسن الحديث من أوّله! ثمَّ قال: جُلت في الدار فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فما أدري أهي طلّقته أم هو طلقها.

*** *** ***

ما للشيطان ذَنْب

قال مصعب بن عبدالله: قال مالك بن أنس: صلى بعض الشطار خلف رجل، فلما قرأ أرتج عليه، فلم يدر ما يقول، فجعل يقول: أعوذ بالله من

الشيطان الرجيم، وجعل يردد ذلك مراراً، فقال الشاطر من خلفه: ما للشيطان ذنب إلا أنك ما تحسن أن تقرأ.

*** *** ***

هل تنطحه أم أنطحه

حكي عن قاض في زمن أحد الولاة أنه كان ينطح الخصوم إذا لم يقبلوا حكمه -وكان قد جعل له قروناً مصطنعة- فَشُكِيَ كثيراً إلى الوالي، فاستدعاه وقال له: بلغنا ما بلغنا عن نطحك الخصوم، فهل هذا صحيح؟ قال القاضي نعم، ولكنني لا أنطح إلا من يستحق، وإذا كان الأمير -أعزه الله- في شك من ذلك فليحضر إحدى جلسات المحاكمة التي أنظر فيها ويحكم بنفسه. فحضر الأمير إحدى الجلسات وكان المتخاصمان فيها رجلان يدعي أحدهما على الآخر ديناً، وقد أقر المدَّعَى عليه بالدين ووعد بقضائه، ولكنه ادعى أنه رجل فقير يجمع قوته كل يوم، وطلب تقسيط الدين، فقضى القاضي بتقسيطه في حدود قدرة المدَّعَى عليه، ورضي بذلك المدَّعِي، ولكن المدَّعَى عليه طلب حبس المدَّعِي حتى إذا تجمع لديه القسط من الدين يضمن أن يجد المدَّعِي في الحبس فيدفعه إليه ولا يضطر إلى صرفه على قوته ثم يصعب عليه تدبيره. وحاول القاضي إقناعه بأن طلبه فيه شطط لأنه ليس للمدعي ذنب يعاقب عليه بالحبس!!

ولكن المدَّعَى عليه أصر على طلبه، أو يرجع في إقراره!..

ولما ضاق الوالي ذرعاً بما سمع التفت إلى القاضي وقال له: هل تنطحه - أصلحك الله -.. أم أنطحه أنا.

*** *** ***

***

*

القسم الرابع

طرف ونوادر

الأذكياء..

المصور المسروق

حُكي عن أهل الرُّوم أنَّ مُصوراً دخل بلداً ليلاً ونزل بقوم، فضيَّفوه، فلما سكر قال: إني صاحبُ مال ومعي كذا وكذا دينار، فسقوه حتى طفح، وأخذوا ما كان معه، وحملوه إلى موضع بعيد منهم، فلمَّا أصبح وكان غريباً لم يعرف القوم،؟ ولا المكان، ذهب إلى والي المدينة وشكا.، فقال له الوالي: هل تعرف القوم؟ قال: لا. قال: هل تعرفُ المكانَ؟ قال: لا. قال: فكيف السَّبيل إلى ذلك؟! فقال الرَّجُلُ: إني أصوِّرُ صورة الرَّجل، وصورة أهله، فأعرضها على الناس لعلَّ أحداً يعرفهم.

ففعل ذلك، وعرض الوالي الصورة على النَّاس. فقالوا: إنَّها صورة فلان الحمامي وأهله، فأمر بإحضاره، فإذا هو صاحبهُ، فاستردَّ منهُ المال.

*** *** ***

فطنة المأمون

جلس المأمون وفي مجلسه الأمراء والعلماء فجاءت امرأة تتظلم إليه. ذكرت له أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار فلم يُقسَم لها إلا دينار واحد فقال لها المأمون على البديهة: قد وصلك حقك؛ كأن أخاك توفي وترك بنتين وأماً وزوجة، واثنا عشر أخاً وأختاً واحدة وهي أنت، قالت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: للبنتين الثلثان أربعمائة، وللأم السدس مائة، وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً، بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل أخ ديناران، وبقي دينار واحد لك، فتعجب الحاضرون من فطنته وسرعة جوابه.

كذلك ابنتك

جاء تركماني إلى أحد الولاة وقد لزم يد تركماني آخر، فلما دخلا إليه قال أحدهما: هذا وجدته قد ابتنى بابنتي وأريد أن أقتله بعد إعلامك به. فقال الوالي: لا، بل تزوجها به ونعطي المهر من خزائننا، فقال: لا أقنع إلا بقتله. فقال هاتوا السيف، فجيء به فسله وقال لأب البنت تعال، فلما قرب منه أعطاه السيف وأمسك بيده الجفن وأمره أن يعيد السيف إلى الجفن، فكلما رام الرجل ذاك قلب السلطان الجفن ولم يمكنه من إدخال السيف، فقال: يا سلطان، ما تدعني فقال: كذلك ابنتك لو لم ترد ما فعل بها هذا، فإن كنت تريد قتله لأجل فعله فاقتلهما جميعاً، ثم أحضر من زوجه بها وأعطاه المهر من خزانته.

***   ***   ***

عقبة يخرج الجن

عن عقبة الأزدي أنه أُتِيَ بجارية قد جنت في الليلة التي أراد أهلها أن يدخلوها إلى زوجها، فعزم عليها، فإذا هي قد سقطت، فقال لأهلها: أخلوني بها، فقال لها: أصدقيني عن نفسك وعليَّ خلاصك، فقالت: إنه قد كان لي صديق وأنا في بيت أهلي، وإنهم أرادوا أن يدخلوا بي على زوجي ولست ببكر، فخفت الفضيحة. فهل عندك حيلة في أمري؟ فقال: نعم، ثم خرج إلى أهلها، فقال: إن الجني قد أجابني إلى الخروج منها، فاختاروا من أي

عضو تحبون أن أخرجه من أعضائها، واعلموا أن العضو الذي يخرج منه الجني لابد أن يهلك ويفسد، فإن خرج من عينها عميت وإن خرج من أذنها صمَّت، وإن خرج من فمها خرست، وإن خرج من يدها شلت، وإن خرج من رجلها عرجت، وإن خرج من فرجها ذهبت عذرتها. فقال أهلها: ما نجد شيئاً أهون من ذهاب عذرتها، فأخرج الشيطان من فرجها، فأوهم أنه قد فعل، ودخلت المرأة على زوجها.

*** *** ***

طبيب بالقوة

حكى أبو محمد الخشاب النحوي قال: جاز بعض الحاكة على طبيب، فرآه يصف لهذا النقوع ولهذا التمر هندي، فقال: من لا يحسن مثل هذا؟ فرجع إلى زوجته فقال: اجعلي عمامتي كبيرة، فقالت: ويحك أي شيء قد طرأ لك؟ قال: أريد أن أكون طبيباً. قالت: لا تفعل حتى لا تقتل الناس فيقتلوك، قال: لابد، فخرج أول يوم فقعد يصف للناس، فحصل قراريط، فجاء فقال لزوجته: أنا كنت أعمل كل يوم بحبة، فانظري إيش يحصل. فقالت: لا تفعل. قال: لابد، فلما كان في اليوم الثاني اجتازت جارية، فرأته فقالت لسيدتها -وكانت شديدة المرض-: اشتهيت هذا الطبيب الجديد يداويك قالت: ابعثي إليه فجاء، وكانت المريضة قد انتهى مرضها ومعها ضعف، فقال: عليَّ بدجاجة مطبوخة، فجيء بها، فأكلت، فقويت، ثم استقامت، فبلغ هذا إلى السلطان، فجاء به فشكا إليه مرضاً يشتكيه،فاتفق أنه وصف له شيئاً

أصلح به، فاجتمع إلى السلطان جماعة يعرفون ذاك الحائك، فقالوا له: هذا رجل حائك لا يدري شيئاً. فقال السلطان: هذا قد صلحت على يديه وصلحت الجارية على يديه، فلا أقبل قولكم. قالوا: فنجربه بمسائل قال: افعلوا، فوضعوا له مسائل وسألوه عنها، فقال: إن أجبتكم عن هذه المسائل لم تعلموا جوابها؛ لأن الجواب لهذه المسائل لا يعرفه إلا طبيب، ولكن أليس عندكم مارستان؟ قالوا: بلى. قال: أليس فيه مرضى لهم مدة؟ قالوا: بلى. قال: فأنا أداويهم حتى ينهض الكل في عافية في ساعة واحدة، فهل يكون دليل على علمي أقوى من ذلك؟ قالوا: لا، فجاء إلى باب المارستان وقال: اقعدوا لا يدخل معي أحد، ثم دخل وحده وليس معه إلا قيِّم المارستان، فقال للقيم: إنك والله إن تحدثت بما أعمل صلبتك، وإن سكت أغنيتك قال: ما أنطق. قال: فاحلف بالطلاق، ثم قال: أعندك في هذا المارستان زيت؟ قال: نعم قال: هاته، فجاء منه بشيء كثير، فصبه في قدر كبير، ثم أوقد تحته، فلما اشتد غليانه صاح بجماعة المرضى، فقال لأحدهم: إنه لا يصلح لمرضك إلا أن تنزل إلى هذا القدر، فتقعد في هذا الزيت، فقال المريض: الله الله في أمري، قال: لابد، قال: أنا شفيت، وإنما كان بي قليل من صداع قال: إيش يقعدك في المارستان وأنت معافى؟ قال: لا شيء. قال: فاخرج وأخبرهم، فخرج يعدو ويقول شفيت بإقبال هذا الحكيم، ثم جاء إلى آخر، فقال: لا يصلح لمرضك إلا أن تقعد في هذا الزيت، فقال: الله الله أنا في عافية: قال: لابد، قال: لاتفعل فإني من أمس أردت أن أخرج. قال: فإن كنت في عافية فاخرج، وأخبر الناس بأنك في عافية، فخرج يعدو ويقول: شفيت

ببركة الحكيم وما زال على هذا الوصف حتى أخرج الكل شاكرين له، والله الموفق.

*** *** ***

هكذا يكون الذكاء

حدَّث أبو محمد عبدالله بن علي المقري قال: دفن رجل مالاً في مكان وترك عليه طابقاً وتراباً كثيراً، ثم ترك فوق ذلك خرقة فيها عشرون ديناراً، وترك عليها تراباً كثيراً ومضى، فلما احتاج إلى الذهب كشف عن العشرين، فلم يجدها، فكشف عن الباقي فوجده، فحمد الله على سلامة ماله، وإنما فعل ذلك خوفاً أن يكون قد رآه أحد، وكذلك كان، فإنه لما جاءه الذي رآه وجد العشرين، فأخذها ولم يعتقد أن ثم شيئاً آخر.

*** *** ***

كلّ من يصعد النخلة

يقال إن امرأة كان لها عشيق، فحلف عليها إن لم تحتالي حتى أطأك بمحضر من زوجك لم أكلمك، فوعدته أن تفعل ذلك، فواعدها يوماً وكان في دارهم نخلة طويلة، فقالت لزوجها: أشتهي أصعد هذه النخلة فأجتني من رطبها بيدي، فقال: افعلي، فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها وقالت: يا فاعل من هذه المرأة التي معك؟ ويلك أما تستحي تجامعها بحضرتي،

وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف أنه وحده وما معه أحد ، فنزلت فجعلت تخاصمه ويحلف بطلاقها أنه ما كان إلا وحده، ثم قال لها : اقعدي حتى أصعد أنا ، فلما صار في رأس النخلة استدعت صاحبها ، فوطئها فاطّلع الزوج، فرأى ذلك فقال لها : جعلت فداك لا يكن في نفسك شيء مما رميتني به، فإن كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت .

*** *** ***

ذكاء الفرزدق

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن الفرزدق مرّ بامرأة وعليه ثوب وشي فتعرض لها ، فقالت جاريتها : ما أحسن هذا البرد ، فقال : هل لك أن أقبل مولاتك وأهب لها هذا البرد ، فقالت الجارية لمولاتها : ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس، فأذنت له فقبلها وأعطاها البرد ، ثم قال للجارية : اسقني ماء ، فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج ولما وضعته في يده ألقاه من يده، فانكسر، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار فقال : يا أبا فراس ألك حاجة؟ قال : لا ، ولكني استسقيت من هذه الدار ماء ، فأُتيت بقدح من زجاج ، فوقع الإناء من يدي فانكسر ، فأخذوا بردي رهناً، فدخل الرجل فشتم أهله وقال : ردوا على الفرزدق برده .

*** *** ***

دواء الـولادة

حكي أن بعض الناس شكا إلى طبـيب عُـقم امـرأته، وأنهـا لا تلد، فـجسّ الطبيب نبضها وقال:

لا حاجة لك إلى دواء، فـإنك ستـموتين إلى أربعين يومـاً، وقـد دلَّ النَّبضُ عليه.

فاستشعرت المرأةُ الخوفَ العظيم، وتنغص عليها عـيشها وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة ولـم تمت.

فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له:

لـم تمت!

فقال الطبيب:

قد علمتُ ذلك، ولكنها ستلد بإذن الله.

فقال: كيف ذاك؟

قال: رأيتها سمينة وقد انعقـد الشّحمُ على فم رحمها، فعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت، فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الحمل والولادة!

*** *** ***

دواء الاسـتـسـقـاء

قال أبو منصـور بن مـارية، وكـان من رؤسـاء البـصرة قـال: أخـبرني شـيـوخنا

قالوا: كان بعض أهلنا قد استسقى وأيسوا من حياته، فحمل إلى بغداد وشاوروا الأطباء فيه، فوصفوا له أدوية كبار، فعرفوا أنه قد تناولها، فلم تنفع فأيسوا من حياته، وقالوا: لا حيلة لنا في برئه، فسمع العليل، فقال: دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية، فقالوا: كل ما تريد، فكان يجلس بباب الدار، فمهما اجتاز به اشتراه وأكله، فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً، فاشترى منه عشرة أرطال، فأكلها بأسرها،فانحل طبعه، وزال كل ما كان في جوفه وثابت قوته، فبرأ، وخرج يتصرف في حوائجه، فرآه بعض الأطباء، فعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرفه، فقال: ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل، ولابد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية، فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك، فما زالا في طلبه حتى علما به، فرآه الطبيب فقال له: ممن اشتريت هذا الجراد؟ فقال: ما اشتريته أنا أصيده، وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه. قال: فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد، فقال له الطبيب: أعطيك ديناراً وتجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد. قال: نعم، فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد شيء ومعه حشيشة، فقالوا له: ما هذا؟ قال: صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها: مازريون وهي من دواء الاستسقاء، فإذا دُفع إلى العليل شفي.

***   ***   ***

كيف لا أغتم بمن هذا بعض حذقه

قال أبو بكر الجفاني: دخلت يوماً على القاضي حسين بن أبي عمر وهو مهموم

حزين، فقلت: لا يغم الله قاضي القضاة أبداً، ومن هو يزيد المائي حتى إذا مات يغتم عليه قاضي القضاة هذا الغم كله، فقال: ويحك مثلك يقول هذا في رجل أوحد في صناعته قد مات ولا خلف له يقاربه في حذقه وهل فخر البلد إلاَّ أن يكون رؤساء الصناع وحذاق أهل العلوم فيه، فإذا مضى رجل لا مثل له في صناعة لابد للناس منها، أفلا يدل هذا الأمر على نقصان العلم وانحطاط البلدان، ثم أخذ يعدد فضائله، والأشياء الظريفة التي عالج بها، والعلل الصعبة التي زالت بتدبيره، فذكر من ذلك أشياء كثيرة. ومنها: أنه قال لقد أخبرني من مدة مديدة رجل من جلة هذا البلد أنه كان حدث بابنة له علة ظريفة فكتمتها عنه، ثم اطلع عليها فكتمها هو الآخر مدة، ثم انتهى أمرها إلى الموت، قال: فقلت لا يسعني كتمها أكثر من هذا. قال: وكانت العلة أن فرج الصبية كان يضرب عليها ضرباناً عظيماً لا تكاد تنام منه الليل ولا تهدأ بالنهار، وتصرخ من ذلك أعظم صراخ، ويجري في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم، وليس هناك جرح يظهر ولا ورم كثير، فلما خفت المأتم ثم أحضرت يزيد فشاورته، فقال: أتأذن لي في الكلام وتبسط عذري فيه؟ فقلت: نعم، فقال: إنه لا يمكنني أن أصف شيئاً دون أن أشاهد الموضع وأفتشه بيدي، وأسأل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلة، قال: فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف أمكنه من ذلك، فأطال مساءلتها وحديثها بما ليس من جنس العلة بعد أن حبس الموضع حتى عرف بقعة الألم حتى كدت أن أثبت به ثم تصبرت ورجعت إلى ما أعرفه من ستره، فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها، ففعلت، ثم أدخل يده في الموضع دخولاً شديداً، فصاحت الصبية

وأغمي عليها وانبعث الدم، فأخرج في يده حيواناً أقل من الخنفساء فرمى به، فجلست الابنة في الحال واستترت وقالت: يا أبت استرني فقد عوفيت، قال: فأخذ الحيوان في يده وخرج من الموضع، فلحقته وأجلسته وقلت: أخبرني ما هذا؟ قال: إن تلك المسألة التي لم أشك أنك أنكرتها إنما كانت لأطلب شيئاً أستدل به على العلة إلى أن قالت لي: إن يوماً من الأيام جلست في بيت دولاب البقر من بستان لكم، ثم حدثت العلة بها من غير سبب تعرفه من بعد ذلك اليوم، فتخايلت أنه قد دب إلى فرجها من القردان، وكلما امتص من موضعه ولد الضربان، وأنه إذا شبع نقط من الفرج إلى خارجه هذه النقطة اليسيرة من الدم، فقلت أدخل يدي وأفتش، فأدخلت يدي، فوجدت القراد، فأخرجته وهو هذا الحيوان، وقد كبر وتغيرت صورته لكثرة ما يمص من الدم على طول الأيام، قال: فتأملت الحيوان، فإذا هو قراد قال: برئت الصبية. قال: فقال لي أبو الحسن القاضي: هل ببغداد اليوم من له صناعة مثل هذا، فكيف لا أغتمُّ بمن هذا بعض حذقه.

***　***　***

مداواة بالحجامة

قال جبريل بن بختيشوع: كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون، وكان رجلاً كثير الأكل والشرب، فأكل يوماً أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه، فأخرج وقوي الأمر حتى لم يشكوا في موته، فأحضرت

وجسيت عرقه، فوجدت نبضاً خفياً، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم، فقلت: الصواب أن يحتجم الساعة، فقال كوثر الخادم: لما لم تقدر من أمر الخليفة يا ابن الفاعلة تقول: احجموا رجلاً ميتاً لا نقبل قولك ولا كرامة. فقال المأمون: الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه، فأحضر الحجام وتقدمت إلى جماعة من الغلمان بإمساكه ومص الحجام المحاجم، فاحمر المكان ففرحت، ثم قلت اشرطه فشرطه، فخرج الدم فسجدت شكراً، فكلما خرج الدم أسفر لونه إلى أن تكلم وقال: أين أنا؟ أنا جائع فغديناه وعوفي، فسأل صاحب الحرس عن غلته، فعرفه أنها ألف درهم في كل سنة، وسأل صاحبه فعرفه أنها خمسمائة ألف، فقال: يا جبيرل كم عليك؟ قلت: خمسون ألفاً. قال: ما أنصفناك إذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وغلتك كما ذكرت، فأمر بإقطاعه ألف ألف درهم.

*** *** ***

ذكاء الطبيب

حدَّث أبو الحسن المهدي القزويني قال: كان عندنا طبيب يقال له ابن نوح، فلحقتني سكتة، فلم يشك أهلي في موتي وغسلوني وكفنوني وحملوني على الجنازة، فمرت الجنازة عليه ونساء خلفي يصرخن، فقال لهم: إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه، فصاحوا عليه، فقال لهم الناس: دعوه يعالجه، فإن عاش وإلاَّ فلا ضرر عليكم، فقالوا: نخاف أن تصير فضيحة، فقال: علي أن لا تصير فضيحة، قالوا: فإن صرنا؟ قال: حكم السلطان في أمري، وإن برئ فأي

شيء لي؟ قالوا: ما شئت. قال: ديته. قالوا: لا نملك ذلك، فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه، وحملني فادخلني الحمام وعالجني، وأفقت في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت، ووقعت البشائر، ودفع إليه المال، فقلت للطبيب بعد ذلك: من أين عرفت هذا؟ فقال: رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الموتى منبسطة ولا يجوز انتصابها، فعلمت أنك حي، وخمنت أنك أسكت وجربت عليك، فصحت تجربتي.

*** *** ***

العلاج بالمطرقة

قال أبو أحمد الحارثي: كان طبيب نصراني يقال له موسى بن سنان قد أتي برجل منتفخ الذكر لا يقدر أن يبول، وهو يستغيث ويصيح، فسأله عن علته، فذكر أنه لم يبل منذ أيام، ورأى ذكره منتفخاً، فنظر في حاله، فلم يجد شيئاً يوجب عسر البول ولا حصاة، فتركه عنده يوماً يسأله، فقال له: حدثني أدخلت ذكرك في شيء لم تجر عادة الناس به، فلحقك هذا؟ فسكت الرجل واستحى، فلم يزل الطبيب يبسطه ويشرط له الكتمان إلى أن قال: نكحت حماراً ذكراً، فقال الطبيب: هاتوا مطرقة وغلماناً، فجاؤوه فأمسكوا الرجل، وجعل ذكره على سندان حداد وطرقه بالمطرقة مرة واحدة وجيعة، فبرزت شعيرة، وذاك أنه خمن أن شعيرة من جاعرة الحمار قد دخلت في ثقب الذكر، فلما طرقها خرجت.

*** *** ***

الدواء بالمروخ

حدثنا أبو القاسم الجهني: أن حظية لبعض الخلفاء أظنه الرشيد قامت لتتمطى، فلما تمطت جاءت لترد يديها فلم تقدر وبقيتا حافتين، فصاحت وآلمها ذلك، وبلغ الخليفة فدخل وشاهد من أمرها ما أقلقه وشاور الأطباء، فكل قال شيئاً واستعمله فلم ينجح، وبقيت الجارية على تلك الصورة أياماً والخليفة قلق بها، فجاءه أحد الأطباء، فقال: يا أمير المؤمنين، لا دواء لها إلا أن يدخل إليها رجل غريب، فيخلو بها ويمرخها مروخاً يعرفه، فأجابه الخليفة إلى ذلك طلباً لعافيتها، فأحضر الطبيب رجلاً وأخرج من كمه دهناً وقال: أريد أن تأمر يا أمير المؤمنين بتعريتها حتى أمرخ جميع أعضائها بهذا الدهن، فشق ذلك عليه، ثم أمر أن يفعل ذلك ووضع في نفسه قتل الرجل، وقال للخادم: خذه فادخله عليها بعد أن تعريها، فعريت الجارية وأقيمت، فلما دخل الرجل وقرب منها سعى إليها، وأومأ إلى فرجها ليمسه، فغطت الجارية فرجها بيدها ولشدة ما داخلها من الحياء والجزع حمي بدنها بانتشار الحرارة الغريزية، فعاونتها على ما أرادت من تغطية فرجها واستعمال بدنها في ذلك، فلما غطت فرجها قال لها الرجل: قد برئت، فلا تحركي يديك، فأخذه الخادم وجاء به إلى الرشيد، وأخبره الخبر، فقال له الرشيد: كيف تعمل بمن شاهد فرج حرمتنا، فجذب الطبيب بيده لحية الرجل، فإذا هي ملصقة فانقلعت، فإذا الشخص جارية، وقال: يا أمير المؤمنين، ما كنت لأبدي حرمتك للرجال، ولكن خشيت أن أكشف لك الخبر، فيتصل بالجارية، فتبطل الحيلة لأني

أردت أن أدخل إلى قلبها فزعاً شديداً يحمي طبعها، ويقودها إلى الحمل على يديها وتحريكها وإعانة الحرارة الغريزية على ذلك، فلم يقع لي غير هذا؟ فأخبرتك به، فأجزل الخليفة جائزته وأصرفه. قال أبو القاسم: ولهذا استعملت الأطباء في علاج اللقوة الضعيفة الصفعة الشديدة على غفلة من ضد الجانب الملقو ليدخل قلب المصفوع ما يحميه، فيحول وجهه ضرورة بالطبع إلى حيث صفع، فترجع لقوته.

*** *** ***

فراسة فتاة

روى الصلت بن محمد الجحدري قال: حدثنا بشر بن الفضل قال: خرجنا حجاجاً، فمررنا بمياه من مياه العرب، فوصف لنا فيه ثلاثة أخوات بالجمال وقيل لنا: إنهن يتطببن ويعالجن، فأحببنا أن نراهنّ، فعمدنا إلى صاحب لنا، فحككنا ساقه بعود حتى أدميناه، ثم رفعناه على أيدينا وقلنا: هذا سليم[١] فهل من راق، فخرجت أصغرهن، فإذا جارية كالشمس الطالعة، فجاءت حتى وقفت عليه، فقالت: ليس سليماً. قلنا: وكيف؟ قالت: لأنه خدشه عود بالت عليه حية ذكر، والدليل أنه إذا طلعت عليه الشمس مات، فلما طلعت الشمس مات. فعجبنا من ذلك.

*** *** ***

(١) سليم: يعني مريض (تفاؤلاً).

ذكاء العرب

سار مُضرُ وربيعة وإياد وأنمار "أولاد نزار بن مَعدّ" إلى أرض نجران، فبينما هم يسيرون إذ رأى مُضر كلأ قد رُعي فقال: البعيرُ الذي رَعى هذا الكلأ أعورُ. فقال ربيعة: وهو أزورُ[1]. فقال إياد: وهو أزعرُ[2]. وقال أنمار: وهو شرودٌ. فلم يسيروا إلا قليلاً حتى لقيهم رجلٌ على راحلةٍ، فسألهم عن البعير. فقال مُضر: أهو أعورُ؟ قال: نعم. قال: ربيعه أهو أزور؟ قال: نعم. قال إياد: أهو أزعر؟ قال: نعم. قال أنمار: أهو شرودٌ؟ قال: واللّه هذه صفاتُ بعيري دُلُّوني عليه. فحلفوا أنهم ما رأوه، فلزمهم وقال: كيف أصدّقكم وأنتم تصفون بعيري بصفته. فساروا حتّى قربوا من نجران، فنزلوا بالأفعى الجُرهُمي. فنادى صاحبُ البعير: هؤلاء القوم وصفوا بعيري بصفته، ثم أنكروه. فقال الجُرهُمي: كيف وصفتموه ولم تروهُ؟!

فقال مُضر: رأيتهُ يرعى جانباً ويترك جانباً، فعلمت أنه أعور.

وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر، فعلمت أنه أفسدها بشدَّة وطئه لازوراره.

وقال إياد: عرفتُ بتره[3] باجتماع بعره، ولو كان ذيّالاً[4] لتفرّق..

وقال أنمار: إنَّما عرفت أنه شرود، لأنه كان يرعى في المكان الملتف نبتهُ، ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منه وأخبث.

---

(١) أزور: من استدقَّ وسط صدره.

(٢) أزغر: مقطوع الذنب.

(٣) بتره: أي قطع ذنبه.

(٤) ذيال: طويل الذيل.

فقال الأفعى الجُرهمي: إنَّهم ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلُبه.

ثمّ سألهم: من همُ؟ فرحّب بهم وأضافهم وبالغ في إكرامهم.

*** *** ***

من يشتري ثمانين بمائة

عن إسماعيل بن محمد قال: دخل ابن هرمة على أبي جعفر، فأنشده فقال: سل حاجتك. قال: تكتب إلى عاملك بالمدينة متى وجدني سكران لا يحدني. قال: هذا حد ولا سبيل إلى إبطاله. قال: ما لي حاجة غير ذلك. قال: اكتب إلى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران، فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة. قال، فكان الشرطة يمرون به وهو سكران، فيقولون: من يشتري ثمانين بمائة، فيمرون ويتركونه.

*** *** ***

فراسة المنصور

روي عن المنصور أنه جلس في إحدى قباب مدينته، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقات، فأرسل من أتاه به، فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه خرج في تجارة فأفاد مالاً وأنه رجع بالمال إلى منزله، فدفعه إلى أهله، فذكرت امرأته أن المال سرق من بيتها ولم تر نقباً ولا تسليقاً، فقال له المنصور: منذ كم تزوجتها؟ قال: منذ سنة. قال: أفبكرٌ هي تزوجتها؟ قال: لا. قال فلها

ولد من سواك؟ قال: لا. قال: فشابة هي أم مسنة؟ قال: بل حديثة، فدعا له المنصور بقارورة طيب كان يتخذه له حادّ الرائحة، غريب النوع، فدفعها إليه وقال له: تطيّب من هذا الطيب، فإنه يذهب همك، فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحد منكم، فمن مرّ بكم فشممتم منه رائحة هذا الطيب، (وأشممهم منه)، فليأتني به. وخرج الرجل بالطيب، فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين، فلما شمته بعثت إلى رجل كانت تحبه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيّب من هذا الطيب، فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي، فتطيب منه الرجل ومرّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه فأتى به المنصور، فقال له المنصور: من أين استفدت هذا الطيب فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال: اشتريته. قال: أخبرنا ممن اشتريته، فتلجلج الرجل وخلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته، فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة. فلما خرج من عنده دعا صاحب شرطته، فقال: هول عليه وجرده ولا تقدمن بضربه حتى تؤامرني، فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه أذعن برد الدنانير وأحضرها بهيئتها، فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنانير فقال له: رأيتك إن رددت عليك الدنانير بهئيتها أتحكمني في امرأتك؟ قال: نعم. قال فهذه دنانيرك، وقد طلقت المرأة عليك وخبره خبرها.

*** *** ***

ذكاء المتنبي

جلس المتنبي يوماً بسوق الوراقين فمر به دلاّل معه دفتر فيه أكثر من عشرين ورقة فاستعرضه منه المتنبي حتى طال تأمله فيه فقال له الدلال متضجراً: إن كنت تريد شراءه فعجل بالثمن، وإن كنت تريد أن تحفظ ما فيه فهذا لا يكون في أكثر من شهر.. فقال المتنبي: إن كنت قد حفظته آخذه بغير ثمن؟ فقال الدلال: نعم. فشرع المتنبي يسرده عليه حتى أتمه ثم وضعه في كمه وانصرف به.

*** *** ***

لا معنى لوقوفك

رُوي عن عضد الدولة أنه كان في بعض أمرائه شاب تركي، وكان يقف عند روزنة ينظر إلى امرأة فيها ، فقالت المرأة لزوجها: قد حرم عليّ هذا التركي أن أتطلع في الروزنة، فإنه طول النهار ينظر إليها وليس فيها أحد ، فلا يشك الناس أن لي معه حديثاً، وما أدري كيف أصنع. فقال زوجها: اكتبي إليه رقعة وقولي فيها: لا معنى لوقوفك فتعال إليّ بعد العشاء إذا غفل الناس في الظلمة، فإني خلف الباب، ثم قام وحفر حفرة طويلة خلف الباب ووقف له، فلما جاء التركي فتح له الباب، فدخل، فدفعه الرجل فوقع في الحفرة وطموا عليه، وبقي أياماً لا يدرى ما خبره، فسأل عنه عضد الدولة فقيل له: ما لنا فيه خبر، فما زال يعمل فكره إلى أن بعث يطلب مؤذن المسجد المجاور لتلك الدار، فأخذه أخذاً عنيفاً في الظاهر، ثم قال له: هذه مائة دينار خذها وامتثل ما آمرك

إذا رجعت إلى مسجدك فأذن الليلة واقعد في المسجد ، فأول من يدخل عليك ويسألك عن سبب إنفاذي إليك، فأعلمني به ، فقال: نعم. ففعل ذلك، فكان أول من دخل ذلك الشيخ ، فقال له: قلبي إليك ولأي شيء أراد منك عضد الدولة؟ فقال: ما أراد مني شيئاً وما كان إلا الخير، فلما أصبح أخبر عضد الدولة بالحال، فبعث إلى الشيخ فأحضره، ثم قال له: ما فعل التركي؟ فقال: أصدقك، لي امرأة ستيرة مستحسنة كان يراصدها ويقف تحت روزنتها، فضجت من خوف الفضيحة بوقوفه، ففعلت به كذا وكذا، فقال: اذهب في دعة الله، فما سمع الناس ولا قلنا.

*** *** ***

جزاء قطاع الطريق

ذكر محمد بن عبدالملك الهمداني في تاريخه أنه بلغ إلى عضد الدولة خبر قوم من الأكراد يقطعون الطريق، ويقيمون في جبال شاقة، فلا يُقدر عليهم، فاستدعى أحد التجار ودفع إليه بغلاً عليه صندوقان فيهما حلوى قد شيبت بالسم، وأكثر طيبها، وترك في الظروف الفاخرة وأعطاه دنانير، وأمره أن يسير مع القافلة، ويظهر أن هذه هدية لإحدى نساء أمراء الأطراف، ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة، فنزل القوم وأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به مع جماعتهم إلى الجبل، وبقي المسافرون عراة، فلما فتح الصندوقين وجد الحلوى يضوع طيبها، ويدهش منظرها ويعجب ريحها، وعلم أنه لا يمكنه الاستبداد بها ، فدعا أصحابه، فرأوا ما لم يروه أبداً قبل

ذلك، فامعنوا في الأكل عقيب مجاعة، فانقلبوا فهلكوا عن آخرهم، فبادر التجار إلى أخذ أموالهم وأمتعتهم وسلاحهم، واستردوا المأخوذ عن آخره، فلم أسمع بأعجب من هذه المكيدة، محت أثر العاتين وحصدت شوكة المفسدين.

*** *** ***

ذكاء عضد الدولة

ذُكر أن بعض التجار من خراسان تأهب للحج، وبقي معه من ماله ألف دينار لا يحتاج إليها، فقال إن حملتها خاطرت بها، وإن أودعتها خفت جحد المُوَدَّع، فمضى إلى الصحراء، فرأى شجرة خروع، فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد، ثم خرج إلى الحج وعاد، فحفر المكان فلم يجد شيئاً، فجعل يبكي ويلطم وجهه، فإذا سئل عن حاله قال: الأرض سرقت مالي، فلما كثر ذلك منه قيل له: لو قصدت عضد الدولة، فإن له فطنة، فقال: أو يعلم الغيب؟ فقيل له: لا بأس بقصده. فأتاه فأخبره بقصته، فجمع الأطباء وقال لهم: هل داويتم في هذه السنة أحداً بعروق الخروع؟ فقال أحدهم: أنا داويت فلاناً وهو من خواصك. فقال: عليّ به فجاء، فقال له: هل تداويت في هذه السنة بعروق الخروع؟ قال: نعم. قال من جاءك به؟ قال: فلان الفراش، قال عليّ به، فلما جاء قال: من أين أخذت عروق الخروع؟ فقال من المكان الفلاني، فقال: اذهب بهذا معك فأره المكان الذي أخذت منه. فذهب معه بصاحب المال إلى تلك الشجرة، وقال: من هذه الشجرة أخذت فقال الرجل: ههنا والله تركت مالي، فرجع إلى عضد الدولة فأخبره، فقال للفراش: هلم بالمال، فتلكأ فأوعده

رُدِّيني إلى مولاكِ

عاد أبو عمر الضرير رجلاً من أصحابه، فأخذت أمته بيده، فصعدت به، فلما أراد أن ينزل جاءت، فأخذت بيده، فقال: رديني إلى مولاك، فردته، فقال: إن جاريتك أخذت بيدي حين صعدت، وهي بكر، ثم أخذت بيدي الساعة وهي ثيب، فسأل عن ذلك، فأخبر أن ابناً للرجل افترشها.

*** *** ***

القسم الخامس

طرف ونوادر

النحاة..

واللغويين..

براعة وحيلة

حكى أبو محمد عبدالله بن علي بن الخشاب النحوي: أن رجلاً اشترى من مخاطي قطعة صابون ومضى إلى النهر لغسل ثيابه، فلما وصل أخرجها، فإذا هي قطعة آجر، فصعب الأمر عليه، وقال: هذا يبيع الناس آجراً وصابوناً، فمضى إليه ليردها، فلما وصل قال: ويحك أتبيع الناس آجراً وصابوناً قال: كيف أبيع آجراً؟ فأخرجها من كمه، فإذا هي قطعة صابون، فاستحى ورجع إلى النهر، فأخرجها فإذا هي آجر، فعاد إليه ووبخه، وأخرجها فإذا هي قطعة صابون مرة أخرى كذلك حتى ضجر، فقال له المخاطي: لا يضيق صدرك، فإن لنا ولداً قد أخرجناه نعلمه أن يحتال وإنك كلما مضيت فعل هذا، فإذا رآك قد عدت لردها أعادها في كمك وأنت لا تعلم.

*** *** ***

المتمثلون بالقرآن

اجتمع جماعة على عصيدة، فأخذ بعضهم لقمة وألقاها في السمن، وقال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الشعراء: ٩٤] وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾ [الملك: ٧]. وجر السمن إليه وقال الآخر: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج: ٤٥]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ [الكهف: ٧١] وجر السمن إليه، فقال الآخر ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾

[السجدة: ٢٧]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ۝٦٦﴾ [الرحمن: ٦٦]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢﴾ [القمر: ١٢]. وجر السمن إليه. فقال الآخر: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]. وجر السمن إليه فقال آخر: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ۝٤٤﴾ [هود: ٤٤]. وأتى على بقية ما في القصعة.

*** *** ***

اعرضه على عقلك

كان بسجستان شيخ يتعاطى النّحو، فقال يوماً لابنه:

إذا أردت أن تتكلم بشيء فاعرضه على عقلك، وفكّر فيه بجهدك حتى تقوّمه، ثم أخرج الكلمة مقوّمة.

فبينما هما جالسان في بعض الأيام في الشتاء، والنار تتّقد، وقعت شرارة في جُبَّة خزّ كانت على الأب، وهو غافل والابن يراه. فسكت الابن ساعة يفكّر ثم قال:

يا أبت، أريد أن أقول شيئاً، فتأذن لي فيه؟

قال أبوه:

إن حقاً فتكلم.

قال: أراه حقاً.

فقال: قل.

قال: إني أرى شيئاً أحمر.

قال: وما هو؟

قال: شرارة وقعت في جُبَّتك.

فنظر الأب إلى جُبَّته وقد احترق منها قطعة. فقال للابن:

لِمَ لمْ تُعْلمني سريعاً؟

قال:

فكرت فيه كما أمرتني، ثم قوَّمت الكلام وتكلمت فيه.

فحلف أبوه بالطلاق أن لا يتكلم بالنحو أبداً!

*** *** ***

طرب المبرد

ذكر أن رجلاً دعا المبِّرد بالبصرة مع جماعة، فغنَّت جارية من وراء الستار:

وقالوا لها هذا حبيبك مُعرضاً فقالت: إليَّ إعراضه أيسرُ الخطب

فما هي إلاّ نظرةٌ بتبسُّم فتصطكُّ رجلاهُ ويسقطُ للجنب

فطرب كلّ من حضر إلاّ المبرّد، فقال له صاحب المجلس: كنتَ أحقَّ الناس

بالطرب. فقالت الجارية: دعهُ يا مولايِ، فإنّه سمعني أقول: هذا حبيبك معرضاً، فظنّني لحنتُ، ولم يعلم أنّ ابن مسعود قرأ «وهذا بعلي شيخاً».
قال: فطربَ المبرّد إلى أن شقّ ثوبه!

*** *** ***

وهل فهمتُ منك شيئاً؟

كان رجل اسمه «أبو علقمة» من المتقعِّرين في اللغة واستعمال حُوْشي الكلام وغريب اللفظ، دخل على الطبيب فقال:

إنّي أكلتُ من لحوم هذه الجوازل[1] فطسئتُ[2] طسأةً، فأصابني وجعٌ بين الوابلة[3] إلى دأيةِ[4] العنق، فلم يزل يربو وينمى، حتى خالط الخلبَ[5]، فألمت له الشراسفُ[6]، فهل عندك دواء؟ فقال له الطبيب: خذ خربقاً وشلفقاً وشبرقاً، فزهزقهُ وزقزقه واغسلهُ بماء روثٍ واشربه بماء الماء!

فقال أبو علقمة: أعد عليَّ ويحكَ، فإنّي لم أفهم منكَ! فقال له الطبيب: لعن الله أقلّنا إفهاماً لصاحبه، وهل فهمتُ منك شيئاً مما قلت؟!

---

(١) الجوازل: مفردها جوزل، وهو فرخ الحمام.
(٢) طسأ: اتخم.
(٣) الوابلة: طرف العضد في الكتف.
(٤) الدأي: ملتقى ضلوع الصدر، ودايات العنق: فقارها.
(٥) الخلب: حجاب الكبد.
(٦) الشراسف: طرف الضلع المشرف على البطن.

في سوق النخّاسين

حكى ابن الجوزي قال:

دخل أحدهم سوق النخّاسين بالكوفة، فقعد إلى نخّاس فقال: يا نخّاس، اطلب لي حماراً، لا بالصغير المُحتقر ولا بالكبير المُشتهر، إن أقللتُ علفهُ صبر، وإن أكثرتُ علفه شكر، لا يدخلُ تحت البواري(١) ولا يزاحم السواري(٢). إذ خلا في الطريق تدفق، وإذا كثر الزحامُ ترفق. فقال له النخّاس، بعد أن نظر إليه ساعةً، دعني، إذا مسخَ الله القاضي حماراً اشتريته لك!

*** *** ***

اطلبها في تزلخ!

خرج رجلٌ مولعٌ بالكلمات الغريبة إلى مزرعة له وكان راكباً فرسه ووراءه مُهرها، فأفلتت منه ومعها مهرها. فخرج يسأل عنها، فمرّ بخيّاط فقال: يا ذا النُصاح(٣) وذات السُّمّ(٤) الطاعن بها في غيرَ وَغىً(٥)، لغير عديٍّ، هل رأيت الخيفانة القبَّاء(٦)، يتبعها الحاسن(٧) المُرهفُ(٨) كأنّ غُرّته(٩) القمر الأزهر..

(١) البوري: الحصير المعمول من القصب.
(٢) السواري: الخيول الأصيلة.
(٣) النصاح: الخيط.
(٤) ذات السمّ: الإبرة.
(٥) الوغى: الحرب.
(٦) الخيفانة: الفرس الطويلة. والقبّاء: الضامرة البطن.
(٧) الحاسن: الحسن الجميل.
(٨) المرهف: المُنعّم الضامر.
(٩) الغرّة: بياض في جبهة الفرس.

فقال الخيّاط: أطلبها في تَزلخ[1]، فقال: ويلكَ، وما تقول قبّحكَ الله، فما أفهمُ رطانتك. فقا الخيّاط: لعنَ الله أبغضنا لفظاً وأخطأنا منطقاً.

*** *** ***

يصف طبق موز

دخل ابن قزعة يوماً على عزّ الدولة وبين يديه طبقٌ فيه موز، فتأخّر عن استدعائه، فقال: ما بال مولانا ليس يدعوني إلى الفوز بأكل الموز؟ فقال: صفهُ حتّى أطعمك. فقال: ما الذي أصف من حسن لونه، فيه سبائكُ ذهبية كأنها حُشيت زُبداً وعسلاً، وأطيب الثمر كأنه مُخّ الشحم، سهلُ المقشر، ليّنُ المكسر، عذبُ المطعم بين الطعوم، سلسٌ في الحُلقوم، ثمَّ مدّ يده وأكل.

*** *** ***

وسلامٌ على المرسلين

أحرق فران طاجناً لفقيه، فجاء ووقف على باب الفرن وقال: أيها الفرينُ المسكين، أضرمت اليوم السعير، وأحرقت الطِّنجير، فورب العالمين، لولا أنك عندنا أمين، لضربتك بهذا الأطربزين[2]، وأكلت من السياط مائة وتسعين، ولبثت في السجن بضع سنين! فقال له الفرّان: ﴿ **وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾** ﴾ [الصافات: ١٨١، ١٨٢].

---

(١) قوله: في تزلخ، أراد التهكّم.

(٢) الأطربزين: وعاء يوضع فيه الطعام.

إن جاءني قتلني

كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه، فاعتلَّ أبوه علّة شديدة أشرف فيها على الموت، فاجتمع عليه أولاده وقالوا له: ندعو لك فلاناً أخانا.

قال: لا .. إن جاءني قتلني. فقالوا: نحن نوصيه أن لا يتلكلم.

فَدَعَوْه، فلمَّا دخل عليه قال: له: يا أبت، قل لا إله إلا الله تدخل الجنة، وتنجو من النار، يا أبت، والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني بالأمس فاهرس وأعدس واستبذ ج، وسكبج وطهبج وأفرج ودحج، وأبصل وأمضر ولوزج وافلوذج.. فصاح أبوه غمِّضوني فقد سبق أخاكم ملك الموت إلى قبض روحي.

*** *** ***

أنت أبو سالح!

يُحكى أن النضر بن شميل مرض، فدخل عليه قوم يعودونه، فقال رجلٌ منهم يكنى أبا صالح: مسح الله ما بك. فقال له: لا تقل مسح (بالسين)، ولكن قل: مصح (بالصاد)، أي أذهبه وفرَّقه، أما سمعت قول الشاعر:

وإذا ما الخمر فيها أزبدت   أفل الإزبادُ فيها ومصح

فقال له الرجل: إنَّ السين قد تبدل من الصاد، كما يقال: الصراط والسراط، وصقرٌ وسقرٌ، فقال له النضر، فإذن أنت أبو سالح.

ما الفرق بينها؟

قال رجل لآخر: قد أحكمتُ النحو كلّه إلاّ ثلاث لفظات أشكلت عليَّ. قال: وما هي؟ قال: أبا فلان، وأبو فلان، وأبي فلان، ما الفرق بينها؟ قال له صاحبه: أمّا أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة والحكام، وأما أبا فلان فللتجار وأرباب الأموال والوسط من الناس، وأما أبي فلان فللسفلة والأسقاط والأوباش من الناس!

*** *** ***

اطلب لي حبلا

وقع نحوي في بئر فجاء كناس ليخرجه، فصاح به الكناس ليعلم أهو حي أم لا؛ فقال له النحوي: اطلب لي حبلاً دقيقاً، وشدّني شدّاً وثيقاً، واجذبني جذباً رقيقاً.

فقال له الكناس؛ امرأتي طالق إن أخرجتك منه ثم تركه وانصرف.

*** *** ***

ما الذي تشكوه

عاد أحدهم نحوياً، فقال له ما الذي تشكوه؟

قال: حمى جاسية، نارها حامية، منها الأعضاء واهية، والعظام بالية.

فقال له: لا شفاك الله بعافيه، يا ليتها كانت القاضية.

*** *** ***

لا تلحن

جاء نحوي يعود مريضاً، فطرق بابه، فخرج إليه ولده فقال: كيف وجدت أباك؟

قال: يا عم ورمت رجليه.

قال: لا تلحن قل: رجلاه، ثم ماذا؟

قال: ثم وصل الورم إلى ركبتاه.

قال: لا تلحن قل: إلى ركبتيه؛ ثم ماذا؟

قال: مات وأدخله الله في إست عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وجحشويه.

*** *** ***

لا رحم الله أباك!

قال رجل لزياد بن أبي سفيان: أيها الأمير، إن «أبينا» هلك، وإن «أخينا» غصبنا على ميراثنا من «أبانا». فقال زياد: ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من ميراث أبيك، فلا رحم الله أباك حيث ترك ابناً مثلك.

*** *** ***

لحن الأمير فلحنتُ!

دخل الشعبي على الحجاج، فقال له: كم عطاءك؟ قال: ألفين.

قال: ويحك! كم عطاؤك؟ قال: ألفان.

فقال: فلم لحنت فيما لا يلحنُ فيه مثلك؟

قال: لحن الأمير فلحنت، وأعرب الأمير فأعربتُ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه، فأكون كالمقرّع له بلحنه، والمستطيل عليه بفضل القول قبله. فأعجبه ذلك منه، ووهبه مالاً.

*** *** ***

دعني يا عم

قدم على ابن علقمة النحوي ابن أخ له فقال له: ما فعل أبوك؟ قال: مات. قال: وما فعلت علته؟ قال: ورمت قدميه. قال: قل قدماه. قال: فارتفع الورم إلى ركبتاه. قال: قل ركبتيه. فقال: دعني يا عم، فما موت أبي بأشد علي من نحوك هذا..

*** *** ***

إذا ولدت مثلك

كان لمحمد بن الحسن ابن فقال له: إني قد قلت شعراً. قال: أنشدينه، قال: فإن أجدت تهب لي جارية أو غلاماً؟ قال: أجمعهما لك، فأنشده:

إن الديـــــار طيفـــــاً هيجن حزنا قد عفـــــاً

أبكينني لشـــــــقاوتي وجعلن رأسي كالقفـــــا

فقال: يا بني والله ما تستاهل جارية ولا غلاماً، ولكن أمك مني طالق ثلاثاً إذا ولدت مثلك!

*** *** ***

إسقاط ألف شيء

قال رجل لسعيد بن عبدالملك الكاتب:

تأمر بشيئاً؟

قال نعم، بتقوى الله، وبإسقاط ألف شيء!

*** *** ***

علة أخيك من كلامك

دخل الخليل بن أحمد الفراهيدي على مريض نحوي وعنده أخ له فقال للمريض:

افتح عيناك، وحرك شفتاك، إن أبو محمد جالساً، فقال الخليل:

إن أكثر علة أخيك من كلامك!

*** *** ***

لو اختصرت كلامك

كان لبعض الأدباء ابن أحمق، وكان مع ذلك كثير الكلام، فقال له أبوه ذات يوم: يا بنيَّ لو اختصرت كلامك، إذا كنت لا تأتي بالصواب.

قال: نعم.

فأتاه يوماً فقال: من أين أقبلت يا بني؟

قال: من سوق.

قال: لاتختصرها ها هنا، زد الألف واللام.

قال: من سوقال!

قال: قدّم الألف واللام. قال: ألف لام سوق! قال: ما عليك لو قلت: من السوق، فوالله ما أردت في اختصارك إلاّ تطويلاً!

وقال هذا الولد يوماً لأبيه: يا أبة، اقطع لي جبّاعة.

قال: وما جبّاعة؟ قال: ألست قلت لي اختصر كلامك؟! يعني جُبّة ودُرّاعة.

*** *** ***

نحوي وصاحب بطيخ

قال نحوي لصاحب بطيخ: بكم تانِك البطّيختان اللتان بجنبهما السفرجلتان، ودونهما الرمانتان؟

فقال صاحب البطيخ: بضربتان وصفعتان ولكمتان ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)﴾ [الرحمن: ١٨] !.

القسم السادس

طرف ونوادر

المعلمين..

معلم يعلّم ديكاً !

قال الجاحظ: مررت بمعلّمٍ، وهو قد حبس ديكاً، وهو يضربه، ويقول له: ألف شين، ألف شين، فقلتُ له: ما هذا؟ فقال: أعزّكَ الله، انظر إلى تلك المزبلة، وأشار إلى مزبلة أمام مكتبه، فقال: أنا أنصب فخاخاً لصيد العصافير، فيأتي هذا الديك فيلتقط الحبّ الذي أجعله لها، فأقول له: «أش» فلا يفهمني، فقلت: لعلّه لا يعلم، وأردت أن أعلّمه حتى يفهمني!

*** *** ***

ينبح نبح الكلاب

قال بعضهم: مررت ببعض الدور، فإذا أنا بمعلّم خلف ستر قائم على أربعة ينبح نبح الكلاب، فنظرتُ إليه فإذا صبيّ خرج من خلف الستر، فقبض عليه المعلّم، فقلت للمعلّم: عرّفني خبرك. قال: نعم، هذا صبيّ يبغض التأديب ويفرّ ويدخل إلى الداخل ولا يخرج، وإذا طلبتهُ بكى، وله كلبٌ يلعب به، فانبح له فيظنّ أني كلبه ويخرج إليّ!

*** *** ***

انصرفوا اليوم

قال غلامٌ للصبيان: هل لكم أن يُفلتنا الشيخ اليوم؟ قالوا: نعم. قال: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض. فجاء واحدٌ منهم فقال: أراك ضعيفاً جداً وأظنّك

ستُحمّ[١]، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت. فقال لأحدهم: يا فلان، يزعم فلان أني عليلٌ، فقال: صدق، والله، وهل يخفى هذا على جميع الغلمان إن سألتهم أخبروك، فسألهم فشهدوا. فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غداً!

*** *** ***

ألَّفتُ كتاباً في نوادركم

حكي عن الجاحظ أنه قال: ألفّت كتاباً في نوادر المعلمين، وما هم عليه من التغفل؛ ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب، ودخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، فسلمت عليه فردّ عليّ أحسن رد ورحب بي فجلست عنده، وباحثته في القرآن، فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب، فإذا هو كامل الآداب فقلت: هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب. قال: فكنت أختلف إليه وأزوره، فجئت يوماً لزيارته، فإذا بالكُتَّاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه فقيل: مات له ميت، فحزن عليه، وجلس في بيته للعزاء؛ فذهبت إلى بيته وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية وقالت ما تريد؟

فقلت: سيدك.

فدخلت وخرجت وقالت: باسم الله.

فدخلتُ إليه وإذا به جالس، فقلت: عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول

(١) تُحم: تصاب بالحمّى.

الله ﷺ أسوة حسنة، وكل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم قلت له: هذا الذي توفي ولدك؟

قال: لا.

قلت: فوالدك؟

قال: لا.

قلت: فأخوك؟

قال: لا.

قلت: فزوجتك؟

قال: لا.

فقلت: وما هو منك؟

قال: حبيبتي.

فقلت في نفسي: هذا أول المناحس. فقلت: سبحان الله، النساء كثير، وستجد غيرها.

فقال: أتظن أني رأيتها؟

قلت: وهذه منحسة ثانية؛ ثم قلت: وكيف عشقت من لم تر؟

فقال: اعلم أني كنت جالساً في هذا المكان، وأنا أنظر من الطاق، إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول:

يا أمّ عـــمـــرو جـــزاك الله مكرمـــة

ردي عليّ فـؤادي أينمـــا كانـــا

لا تأخـــذين فـــؤادي تلعـــبين به

فكيـــف يلعب بالإنسـان إنسـانا

فقلت في نفسي: لولا أن أمّ عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها، ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها. فلما كان منذ يومين، مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول:

لقـــد ذهب الحـــمـــار بأم عـــمـرو

فلا رجعـــت ولا رجع الحمـــار

فعلمت أنها ماتت، فحزنت وأغلقت الكُتَّاب وجلست في الدار.

فقلت: يا هذا إني كنت ألفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبتك، عزمت على تقطيعه، والآن قوّيت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ بك إن شاء الله تعالى.

*** *** ***

قبل أن يذنب

ضرب معلم غلاماً، فقيل له:

لِمَ تضربه؟

فقال: إنما أضربه قبل أن يذنب لئلا يذنب!

اكشف رأسك

قال الجاحظ: رأيت معلماً في الكتَّاب وحده، فسألته عن الصغار فقال: الصغار داخل الدرب يتصارعون. فقلت: أحب أن أراهم، فقال: ما أشير عليك بذلك، فقلت: لابد، قال: فإذا جئت إلى رأس الدرب اكشف رأسك لئلا يعتقدوك المعلم، فيصفعوك حتى تعمى!

*** *** ***

ليس له لوح

قال الجاحظ: دخلت على مؤدِّب، ورأسه في حجر صبيّ، وفي أذنه خرقة معلّقة، وكان المؤدّب أصلع، والصبيّ يكتب في رأسه، ويمحوه بالخرقة، ثمّ يكتب مرّة أخرى، فقلت له: ما هذا الذي يصنع الصبيّ في رأسك؟ قال لي: يا فلان، هذا الصبيّ يتيم، وليس له لوح، ولا ما يشتريه به، فأنا أعطيه رأسي يكتب فيه ابتغاء ثواب الله!

*** *** ***

أبوه يدخل شهراً بشهر

قال الجاحظ: مررتُ بمعلّم وقد كتب لغلام: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ [لقمان: ١٣]. ﴿يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٦، ١٧]. فقلت

له: ويحك! فقد أدخلت سورة في سورة! قال: نعم، إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر، فأنا أيضاً أُدخل سورة في سورة، فَلا آخذُ شيئاً ولا ابنه يتعلّم شيئاً.

*** *** ***

حيلة معلّم

قال الجاخظ: مررتُ بمعلّم صبيان وعنده عصا طويلةٌ وعصا قصيرة وصولجان وكرةٌ وطبلٌ وبُوق، فقلت: ما هذا؟ قال: عندي صغارٌ أوباش أقول لأحدهم: اقرأ لوحكَ، فيصفّر لي، فأضربه بالعصا القصيرة، فيتأخّر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفرّ من بين يديّ، فأضع الكرة في الصولجان وأضربه فأشجّه، فيقوم إليّ الصغار كلّهم بالألواح، فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي، وأضرب الطبل وأنفخ البوق، فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إليّ ويخلّصونني منهم.

*** *** ***

أتسابق معهم

قال بعضهم: مررت بمؤدّب صبيان والصبيان يضربونه، فتقدّمتُ لأخلّصه منهم، فقال: دعهم، فإني أتسابق معهم، فإذا سبقتهم ضربتهم، وإذا سبقوني ضربوني، وهم اليوم قد سبقوني!

*** *** ***

لم تضرب غلمانك

قال الجاحظ :

قلت لمعلم: لم تضرب غلمانك من غير جرم؟

قال: جرمهم أعظم الإجرام، يدعون لي أن أحج، وإن حججت تفرقوا في المكاتب، فمتى أحج.. أنا مجنون؟

*** *** ***

ليس هؤلاء ملائكة

قال أبو العنبس: كان ببغداد معلم يشتم الصبيان ، فدخلت عليه وشيخ معي ، فقلنا: لا يحل لك. فقال: ما أشاتم إلا من يستحق الشتم ، فاحضروا حتى تسمعوا ما أنا فيه. فحضرنا يوماً فقرأ صبي: عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون ، فقال: ليس هؤلاء ملائكة ولا أعراباً ولا أكراداً، فضحكنا حتى بال أحدنا في سراويله.

*** *** ***

السلوك الحسن

كان أحد الفضلاء يقوم بالتدريس لابن أحد الملوك، وكثيراً ما كان يعاقبه بالضرب.

فشكا الغلام إلى أبيه، ورفع ثوبه وأراه آثار الضرب على ظهره.

فتأثر والده واستدعى المعلم وقال له: إنك لا تعاقب أبناء رعيتي كما تعاقب به ولدي، فما السبب؟!

قال: إن المطلوب من الجميع أن يكون لهم سلوك حسن، وقول سديد، ولا سيما أشباه الملوك من الناس، فكل ما يصدر عن الملوك تناقله أفواه الناس، وأما ما يصدر عن سواد الناس وعامتهم فلا تلتفت إليه الأنظار. ولو وجد مائة عيب في الفقير العديم، فإن رفقاءه لا يكادون يتبينون واحداً من عيوبه؛ ولكن لو صدر عمل مشين من السلطان، فإنهم يرسلون نبأه من إقليم إلى إقليم. فعلى معلم الأمير أن يؤدي واجب التربية الصحيحة له، وأن يكون اهتمامه به غير الاهتمام بعامة الناس، وإذا كان العود رطباً يمكنك أن تقومه، فإذا يبس العود لا ينفع إلا للوقود، فعلى كل ناشئ أن يتحمل عقوبة؛ لأنه مضطر غداً أن يتحمل ظلم الدهر ومصائبه.

فوافق الملك على مسلك المعلم، وحسن تدبيره، وأجازه بالخلعة السنية، ورفع مكانه.

*** *** ***

أبلغ من العصا

قال الجاحظ: قلت لمعلم: مالي لا أرى لك عصاً؟!

قال: لا أحتاج إليها إنما أقول: من لا يرفع صوته فأمه زانية، فيرفعون أصواتهم، وهذا أبلغ من العصا وأسلم.

القسم السابع

طرف ونوادر

الأعراب..

أين الصديق ؟

قيل لأعرابيّ: كيف أُنسك بالصديق؟ فقال: وأينَ الصديق؟ بل أينَ الشبيه به؟ بل أين الشبيه بالشبيه بالصديق؟ والله، ما يُوقد نار الضغائن إلاّ الذين يدّعون الصداقة ويعانون النصيحة، وهم أعداءٌ في مُسوك الأصدقاء.

*** *** ***

أنتِ طالق !

نحر أعرابي جزوراً فقال لامرأته: أطعمي أمّي. فقالت: أيُّها أطعمها؟ قال: الورك. فقالت: التي ظهرت بلحمة وبطنت بشحمةٍ، لا لعمري!

قال: الفخذ.

قالت: الكثيرة اللحم الطيّبة المخ، لا لعمري!

قال: الكتف.

قالت الحاملةُ من كلّ مكان!

قال : فما تطعمينها؟

قالت: اللّحىَ التي ظهرت بالجلد وبطّنت بالعظم.

فقال: تزودي إلى أهلك فأنت طالق.

*** *** ***

أعرابي يجيد القسمة

قدم أعرابي من أهل البادية على رجل من أهل الحضر، فأنزله، وكان عنده دجاج، وله امرأة وابنان وبنتان. قال: فقلت لامرأتي: اشوِ لنا دجاجة وقدّميها إلينا نتغدّى بها. وجلسنا جميعاً ودفعنا إليه الدجاجة فقلنا: اقسمها بيننا، نريد بذلك أن نضحك منه. فقال: لا أُحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمتُ بينكم. قلنا: نرضى. فأخذ رأس الدجاجة فقطعه فناولنيه وقال: الرأس للرئيس، ثمّ قطع الجناحين وقال: الجناحان للابنين، ثمّ قطع الساقين وقال: الساقان للابنتين، ثمّ قطع الزمكّى[1] وقال: العجُز للعجوز، ثمّ قال: والزَّور للزائر. فلمّا كان من الغد قلت لامرأتي: اشوِ لي خمس دجاجات. فلما حضر الغداء قلنا: اقسم بيننا. قال: شفعاً أو وتراً؟ قلنا: وتراً. قال: أنتَ وامرأتك ودجاجة ثلاثة، ثم رمى بدجاجة، وقال: وابناك ودجاجة ثلاثة، ورمى إليهما بدجاجة، وقال: وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثمّ قال: وأنا ودجاجتان ثلاثة، فأخذ الدجاجتين. فرآنا ننظر إلى دجاجتيه، فقال: لعلّكم كرهتم قسمتي الوتر. قلنا: اقسمها شفعاً. فقبضهنّ إليه، ثمّ قال: أنت وابناك ودجاجة أربعة ورمى إلينا دجاجة، ثمّ قال: والعجوز وابنتاها ودجاجة أربعة، ورمى إليهنّ دجاجة، ثمّ قال: وأنا وثلاث دجاجات أربعة، وضمّ ثلاث دجاجات، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: الحمد للّه، أنتَ فهّمتنيها!

*** *** ***

---

(١) الزمكي: أصل الذنب.

الأعرابي والمهدي

خرج الخليفة العبّاسي المهدي يتصيَّد ، فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابيٍّ فقال: يا أعرابي، هل من قرى؟ فأخرج له قُرص شعير فأكله، ثمّ أخرج له فضلةً من لبن فسقاه، ثمّ أتاه بنبيذٍ في ركوةٍ فسقاه. فلمّا شرب قال للأعرابي:

أتدري من أنا؟ قال: لا.

قال: أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

فقال الأعرابي: باركَ الله لك في موضعك، ثمّ سقاه مرّة أخرى، فشرب.

قال المهدي: يا أعرابي، أتدري من أنا؟

فقال: زعمت أنك من خدم أمير المؤمنين الخاصة.

قال: لا، أنا من قوّاد أمير المؤمنين.

فقال الأعرابي: رحُبت بلادك وطاب مُرادك، ثمّ سقاه الثالثة.

فلمّا فرغ قال: يا أعرابي، أتدري من أنا؟

قال: زعمت أنك من قوّاد أمير المؤمنين.

قال المهدي: لا، ولكنني أمير المؤمنين.

فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال:

إليك عني، فوالله لو شربت الرابعة لادّعيت أنك رسول الله.

فضحك المهدي حتى غُشي عليه.

ثمّ أحاطت به الخيل، ونزل إليه الأمراء والأشراف. فطار قلب الأعرابي. فقال له المهدي: لا بأس عليك ولا خوف، ثمّ أمر له بكُسوةٍ ومالٍ جزيل.

*** *** ***

فقيه من مكة

كان رجل أعرابي ناقم على صرامة الأوامر والنواهي التي تتعلق برمضان. فعبَّر عن مشاعره على لسان فقيه من مكة. بقوله:

ألا استفتيا المكِّي ذا الفقه ما الذي
يحلُّ من التقبيل في رمضـــــــــان

فقال لي المكِّيُّ أما لزوجـــــــــة
فســـــبعٌ وأمّـــا خلَّة فثمـــــان

والشعور ذاته يتجسَّد في ما يعزونه للشاعر أبي العالية حيث يقول:

سَل المُفتي المكِّي هل في تـــزاور
وضمَّة مُشـــتاق الفُؤاد جُنـــاحُ

فقال معاذ الله أن يُذهب التُّــقى
تلاصُقُ أحشـــــاء بهنَّ جـــراحُ

من تنحنح فلا أفلح

عن ابن الأعرابي قال: قال رجل من الأعراب لأخيه: أتشرب الخاثر من اللبن ولا تتنحنح؟ فقال: نعم فتجاعلا جعلاً، فلما شربه آذاه، فقال: كبش أملح وبيت أفيح وأنا فيه اتبحبح، فقال أخوه: قد تنحنحت، فقال: من تنحنح فلا أفلح.

شاقه أن يسمع أخبار أهله

أقام أعرابي كان الحجاج قد ولاه بعض النواحي مدة طويلة بعيداً عن دياره وجاءه ذاته يوم أعرابي من دياره فقدم إليه الطعام، وسأله عن أهله، وكان هذا جائعاً، فراح يجيبه في أناة وتلطف:

ما حال ابني عمير؟

على ما تحب، قد ملأ الأرض والحي أبناءً وبناتاً.

فما فعلت أم عمير؟

بخير هي.

فما حال الدار؟

عامرة بأهلها.

وكلبنا إيقاع؟

قد ملأ الحي نباحاً.

فما حال جملي زريق؟

على ما يسرك.

وعندها، وبعد أن اطمأن الأعرابي المغترب على ما يهمه، مال إلى خادمه وأمره برفع الطعام قبل أن يشبع الأعرابي، وشاقه أن يسمع أخبار أهله من جديد، فراح يسأله:

يا مبارك الناصية، أعد ما ذكرت.

سلّ عما بدا لك.

أخبرني عن كلبي إيقاع.

مات!!

وما الذي أماته؟

اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات.

وهل مات جملي زريق؟

نعم..

وما الذي أماته؟

كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير.

وهل ماتت أم عمير.

نعم.

وما الذي أماتها؟

كثرة بكائها على عمير.

وهل مات عمير؟

نعم.

وكيف مات؟

سقطت عليه الدار.

وهل سقطت الدار؟

نعم.

عندها قام إليه الأعرابي المضيف يضربه بالعصى، فولى هارباً!!

*** *** ***

لي إليك حاجة

نزل أعرابي بصومعة راهب، فوضع الراهب أمامه أربعة أرغفة، وغاب ليحضر العدس، فلما عاد وجده قد أكل الخبز، فذهب ليحضر غيره وعاد فوجده قد أكل العدس، وما زال الراهب هكذا عدة مرات، ولما أراد الضيف المغادرة سأله الراهب أين يقصد، فقال الرجل: أقصد الأردن؛ لأنه ذكر لي بها طبيب حاذق أريد أن أسأله عما يصلح معدتي، فإنني قليل الشهية، فقال له

الراهب حينئذٍ: إن لي إليك حاجة فهل تجيبني إليها؟ قال: نعم وما هي؟ قال: ألا تجعل طريق عودتك من هنا..

*** *** ***

نار الأعرابي

أوقد أعرابي ناراً يتقي بها برد الصحراء في الليالي القارصة، ولما جلس حولها وارتاح للدفء، ردد: اللهم لا تحرمنيها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

*** *** ***

الكامخ لا تنسه

قُدِّم لأعرابي الكامخ، وهو طعام مصنوع من الحنطة واللبن، فلم يرقه طعمه، ودخل المسجد والإمام في الصلاة يقرأ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ فقال الأعرابي: والكامخ لا تنسه، أصلحك الله..

*** *** ***

نصيحة أعرابي

قال أعرابي لأخ له ينصحه: لا تتزوج باربع فكل تاخذك لجماعها وأنت كالٌّ، ولا بثلاث فإنهن كالأثافي، تصير بينهن كالقدر فيكوينّك كياً، ولا باثنتين فإنهما يكونان كجمرتين، ولا واحدة فإنك تمرض إذا مرضت،

وتحيض إذا حاضت، وتلد إذا ولدت، فقال له: قد نهيت عن كل ما أمر الله به! فما الذي أصنع؟ فقال له: كوزان وطمران وعبادة الرحمن.

*** *** ***

حدّ الشِّبع

قيل لأعرابي: ما حدُّ الشِّبع؟

قال: أنا أواصلُ الأكل فما أعرف الحدَّ، ولو كنتُ أنتهي لوصفتُ الحال فيه، أعني أنّي ساعة ألتُّ الدقيق، وساعة أشرب لبن اللِّقاح، فليس لي فراغٌ فأدري أني بلغتُ من الشّبع، إلاّ أنني أعلم في الجملة أنّ الجوع عذابٌ وأن الأكل رحمةٌ، وأنّ الرحمة كلما كانت أكثر كان العبد إلى اللّه أقرب، والله عنه أرضى.

*** *** ***

الأعرابيُّ والسنَّور

صاد أعرابي سنَّوراً، ولم يكن يعرفه، فلقيه رجلٌ فقال له: ما هذا السنور؟ ولقيهُ آخرُ فقال: ما هذا القطُّ؟ ثم لقيهُ آخرُ فقال: ما هذا الهرُّ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الضَّيْوَنُ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الخَيْدَعُ؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الخيطل؟ ثم لقيه آخر فقال: ما هذا الدَّمُّ؟ فقال الأعرابي في نفسه: أحمله وأبيعه فيجعل الله لي فيه مالاً كثيراً. فلما أتى السوق قيل له: بكم هذا. قال: بمائتي

درهم. قيل له: إنه يساوي نصف درهم. فرمى به ثمَّ قال: ما أكثر أسماءه وأقلَّ ثمنه!

*** *** ***

فطنة الأعراب

قال بعض العمال لأعرابي: ما أحسبك تدري كم تصلي في كل يوم وليلة، فقال: أرأيت إن أنبأتك بذلك تجعل لي عليك مسألة؟ قال: نعم.

قال الأعرابي:

إنَّ الصــــلاة أربعٌ وأربــــــعٌ   ثمَّ ثــلاثٌ بعدهنَّ أربــــعُ

ثم صـــلاةُ الفــجـر لا تضيّــع

قال: قد صدقت فسل. قال: كم فقارُ ظهرك؟ قال: لا أدري. قال: أفتحكمُ بين الناس وأنت تجهل هذا من نفسك؟

*** *** ***

أعرابي وسليمان!

دخل أعرابي على سليمان بن عبدالملك، وبين يديه جامٌ فيه فالوذج، فقال له: أُدنُ يا أعرابي فكُل، فإنَّ هذا مما يزيد في الدماغ! قال: لو كان الأمرُ كما تقولُ كان رأس الأمير مثل رأس البغل!

رجاء أعرابي

غزا أعرابي مع رسول الله ﷺ فقيل له: ما سمعت من رسول الله في غزوتك هذه؟ قال: وضع عنَّا نصف الصلاة، وأرجو في غزوة أخرى أن يضع عنَّا النصف الآخر!

*** *** ***

أوصيك بالصبية خيراً

قال الأصمعي: حضر أعرابي عند الحجاج، فقُدم إليه فالوذج، فلما أكل الأعرابي منه لقمة، قال الحجاج: من أكل هذا ضربتُ عنقه، فامتنع الناس، فجعل الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرَّة وإلى الطعام مرَّة، ثم قال: أوصيك أيها الأمير بالصِّبية خيراً! وابتدأ يأكل. فضحك الحجاج حتى استلقى على ظهره، وأمر له بجائزة.

*** *** ***

أرسل غيره يرحمك الله!

صلَّى أعرابيٌ خلف إمام فقرأ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١]، ثمَّ وقف وجعل يُردِّدها، فقال الأعرابي: أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك.

*** *** ***

ترك الإمام وانصرف!

صلى أعرابي خلف إمام فقرأ: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [**يوسف**:٨٠]، ووقف يرددها. فقال الأعرابيّ: يا فقيه، إذا لم يأذن لك أبوك في هذا الليل نظلُّ نحن وقوفاً إلى الصباح، ثمَّ تركه وانصرف.

*** *** ***

لا تُقم الصلاة

قيل: خطب رجلٌ خطبة نكاح، وأعرابيٌ حاضر، فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح فقال الأعرابي: لا تُقم الصلاة فإني على غير وضوء..

*** *** ***

أحبُّ إليّ من أن تجف على غيري

قيل: كان بالمدينة أعرابيٌ أعمى يكنى أبا عبدالله، أتى يوماً يغتسل من عين فدخل بثيابه، فقيل له: بلَّلت ثيابك، قال: تبتلُّ عليَّ أحبَّ إليَّ من أن تجفَّ على غيري..

*** *** ***

جئتم بسيئاتي

قيل: جيء بأعرابي إلى السلطان ومعه كتاب وقد كتب فيه قصته وهو يقول: هاؤم اقرؤوا كتابيه، فقيل له: إنما يقال هذا يوم القيامة، قال: هذا والله شرٌ من يوم القيامة، إنّ يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي.

*** *** ***

الحجاج وأعرابية

قيل: مرّ الحجاج متنكراً، فرأته أعرابية فقالت: الأمير وربٌ الكعبة، فقال: كيف عرفتني؟ فقالت: بشمائلك، قال: هل عندك من قرى؟ قالت: نعم، خبزُ فطير، وماءٌ نمير، فأحضرته فأكل، فقال: هل لك أن تصاحبيني وتصلحي ما بيني وبين امرأتي؟ فقالت: هل عندك من جماع يغني؟ قال: نعم، قالت: فلا حاجة لك إلى أحدٍ يصلح بينكما إذاً..؟.

*** *** ***

ما الحبُّ عندكم

قيل: سأل أحدهم أعرابية في البادية، ما الحبُ عندكم، فقالت: جلَّ فلا يخفى، ودق فلا يُرى، وهو كامنٌ في الحشا كمون النار في الصفا، إن قدحته اورى، وإن تركته توارى.

*** *** ***

أعرابيٌّ يدّعي النبوة

قيل: ادّعى رجلٌ من الأعراب النبوة في زمن المهدي العباسي، فاعتقله الجند، وساقوه إلى المهدي، فقال له:

أنت نبيّ؟ قال: نعم، قال المهدي: إلى من بُعثت؟ قال الأعرابي: أوتركتموني أُبعث إلى أحد؟ بُعثتُ في الصباح واعتقلتموني في المساء.

*** *** ***

لو حُشي بالتقوى والمغفرة ما أفلح

قيل لأعرابي: ما تقول في الباذنجان؟ فقال: أذنابُ المحجام وبطونُ العقارب، وبزُور الزّقوم، فقالوا له: إنّه يُحشى باللحم فيكون طيباً، فقال: لو حُشي بالتّقوى والمغفرة ما أفلح..

*** *** ***

ما هي العلامة؟

قيل: مرَّ أحدهم بأعرابي وهو يحفر في الرَّمل، فقال له: لأيّ شيء تحفرُ هنا؟ قال الأعرابي: إني دفنت في هذه الصحراء دراهم، ولستُ أهتدي إلى مكانها.. فقال له: كان ينبغي أن تجعل لها علامة، قال الأعرابي: لقد فعلت، فقال السّائل: وما هي العلامة؟ قال الأعرابي: سحابةٌ في السماء كانت تظلها، ولست أدري موضع العلامة الآن.

إنّ أطنابي طوال

قيل: حضر أعرابيٌ على مائدة يزيد بن مزيد، فقال لأصحابه: افرجوا لأخيكم، فقال الأعرابي: لا حاجة لي بإفراجكم، إنّ أطنابي طوال، يعني سواعده، فلمّا مدّ يده ضرط، فضحك يزيد، فقال يا أخا العرب: أظنٌ أنّ طنباً من أطنابك قد انقطع..

*** *** ***

لكنت أنا مكانك

قيل: دخل أعرابيٌ على يزيد بن المهلّب، وهو مضطجعٌ على فراشه، وعنده الكثير من الناس، فقال: كيف أصبح الأمير؟ فقال يزيد: كما تحبُّ أن يكون، فقال الأعرابيّ: لو كنتُ كما أحبُّ، لكنت أنت مكاني، وأنا مكانك!

*** *** ***

الأعرابي والثريدة

ذكر الشيباني أنّ أعرابياً قال: كنت أشتهي ثريدةً دكناء من الفلفل، رقطاء من الحمّص، ذاتُ جفافين من اللحم، لها جناحان من العُراق(١) أضرب فيها كما يضرب وليٌّ السّوء في مال اليتيم!

*** *** ***

(١) العُراق: العظام.

أعرابيان على مائدة سليمان

قيل: حضر أعرابيّ سفرة سليمان بن عبد الملك، فجعل يمرُّ إلى ما بين يديه، فقال له الحاجب: ممّا يليك فكُل يا أعرابيّ، فقال: من أجدب انتجع، فشقّ ذلك على سليمان وقال للحاجب: إذا خرج عنّا فلا يعد إلينا، وشهد بعد هذا سفرته أعرابيٌّ آخر، فمرّ إلى ما بين يديه أيضاً، فقال له الحاجب: ممّا يليك فكل يا أعرابيّ، قال: من أخصب تخيّر، فأعجب ذلك سليمان، فقرّبه وأكرمه وقضى حوائجه.

*** *** ***

الأعرابي الصالح

قيل: كان أعرابيٌّ يصلي، فأخذ بعض الناس يمدحونه ويصفونه بالصلاح والتقوى، فقطع صلاته وقال: وفوق ذلك أنا صائم..

*** *** ***

الله أكرم من أن يجمع الطاعون وأنت !

قيل: خطب المنصور في جماعة من الأعراب في الشام فقال: أيها الناس إني وُليتُ عليكم، أبعد الله عنكم الطاعون الذي كان يفتك بكم، فقام أعرابيٌّ وقال: إنّ الله أكرم من أن يجمع علينا في وقت واحد، الطاعون وأنت.

*** *** ***

مــمّن تكـون ؟

دخل الضبّي على عبدالله بن طاهر، فانشد شعراً حسناً وبحضرته أعرابي، فقال الأعرابي: ممّن تكون؟ قال: من العجم، قال وما للعجم والشعر، وإنّما الشعر للعرب، وكلٌ من قاله من العجم فإنما نزا على أمِّه أعرابي، فقال له: وكذلك من لا يقول الشعر منكم، فإنما نزا على أمِّه أعجميٌ إذاً. فأفحمه.

*** *** ***

دفعته بهذه الأشياء

قيل: مرض أعرابيٌ مرّة فاشتدّ به المرض، فأمر بجمع العيدان والطنابير والمزامير إلى بيته، فأنكروا عليه ذلك، فقال: إنما فعلت ذلك لأني سمعت أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلات الملاهي والفجور، فإن كان ملك الموت من الملائكة، دفعته عني بهذه الأشياء.

*** *** ***

إنها لا ترثني

قيل لأعرابي: عندك مالُ وليس لك إلاّ والدةٌ عجوز، إن مت ورثت مالك وأفسدته، فقال: إنها لا ترثني، قيل: وكيف؟ قال: لأن أبي طلقها قبل أن يموت..

*** *** ***

أهلكك الله وحدك

قيل: صلَّى أعرابيٌّ مع قوم، فقرأ الإمام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾ [الملك: ٢٨]. فقال الأعرابي: أهلكك الله وحدك، إيش كان ذنب الذين معك، فقطع القوم الصلاة من شدّة الضّحك..

*** *** ***

خشيت أن يقعوا عليّ

قيل: دخلت أعرابية على قوم يصلّون، فقرأ الإمام: ﴿فانكحوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] وجعل يردِّدُها، فجعلت الأعرابية تعدو وهي هاربة حتى جاءت أختها، فقالت: يا أختاه، ما زال الإمام يأمرهم أن ينكحونا حتى خشيتُ أن يقعوا عليّ.

*** *** ***

والله .. ما المطلوب غيري

قيل: صلَّى أعرابيٌّ خلف إمام، فقرأ الإمام ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [المرسلات: ١٦] وكان في الصفّ الأول فتأخر إلى الصف الآخر، فقرأ: ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [المرسلات: ١٧] فتأخر، فقرأ: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات: ١٨] وكان اسم البدوي مجرماً، فترك الصلاة وخرج هارباً وهو يقول: والله ما المطلوبُ غيري، فوجده بعض الأعراب فقال له: ما لك يا مجرم؟ فقال: إنّ الإمام أهلك الأوّلين والآخرين، وأراد أن يهلكني في الجملة، والله لا رأيته بعد اليوم.

جنابات الشتاء أقضيها في الصيف

قيل: رؤي أعرابيٌ يغطس في البحر ومعه خيط، وكلما غطس غطسة عقد عقدة، فقيل له: ما هذا؟ قال: جنابات الشتاء أقضيها في الصيف.

*** *** ***

لا تدخل الفضول..

قيل: سرق أعرابيٌ غاشية من على سرج، ثمَّ دخل المسجد يصلِّي، فقرأ الإمام: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١] فقال: يا فقيه: لا تدخل في الفضول، فلما قرأ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢﴾ [الغاشية: ٢] قال: خذوا غاشيتكم ولا يخشع وجهي، لا بارك الله لكم فيها، ثم رماها من يده وخرج..

*** *** ***

أتقوم الليل؟

قيل: حضر أعرابيٌ مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل، فقيل له: يا أبا أمامة، أتقوم الليل؟ فقال: نعم، قالوا: ما تصنع؟ قال: أبولُ وأرجع أنام..

*** *** ***

والله إنك لساحر

قيل: سرق أعرابيٌ صرة فيها دارهم، ثمَّ دخل المسجد يصلي، وكان اسمه

موسى، فقرأ الإمام في الصلاة: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [طه: ١٧] فقال الأعرابي: والله إنك لساحر، ثم رمى الصُّرة وخرج..

*** *** ***

امرأتي طالقٌ ثلاثاً

قيل: خرج جماعة من قريش في تجارة لهم، وخرج معهم أعرابيٌ من بني غفار، فهبت عليهم ريحٌ عاصفة يئسوا معها من الحياة، وقرروا أن يحرِّر كلُّ واحد منهم عبداً من عبيده قُبيل أن يموت، ولم يكن للأعرابي عبدٌ، فوقف وقال: اللهمَّ لا عبد لي لأحرِّره، ولكن امرأتي طالقٌ لوجهك ثلاثاً..

*** *** ***

وهبتهما لابن عمّي

وقف أعرابيٌ يسأل، فقال له رجل: يا أعرابيّ، هل لك في خير مما تطلب؟ قال: ما هو؟ فقال له: أعلّمك سورة من القرآن، فقال: لا والله، إنّي لأحسن ما إن عملت به لكفاني، أحسنُ منه خمس سور، فاستقرأته فقرأ: الحمد، والنصر، والكوثر، وسكت، فقلت: هذه ثلاث، فأين الاثنتان؟ قال: إني وهبتهما لابن عمّي وعلمته إياهما، ولا والله لا أرجع في شيء أبداً.

*** *** ***

أعرابي في مسجد

قيل : جاء أعرابي إلى المسجد والإمام يخطب، فقال لبعض القوم: ما هذا؟ قال: يدعون الناس إلى الطعام ، قال: فما يقول صاحب المنبر؟ قال: يقول ما يرضى الأعراب أن يأكلوا حتى يحملوا معهم، فتخطّى الأعرابي الناس حتى دنا من الإمام فقال: يا هذا، إن الذين يفعلون ما تقول سفهاؤنا..

*** *** ***

إن هذه لصلاتي

قال بعضُ الرواة: خرجنا نريدُ البصرة فنزلنا على ماء لبني سعد، فإذا أعرابيةٌ نائمة فانبهناها للصلاة، فأتت الماء فوجدتهُ بارداً، فتوجهت إلى القبلة قاعدة ولم تمسّ الماء فكبَّرت ثم قالت: اللهم قمتُ وأنا عجلى، وصلّيتُ وأنا كسلى، فاغفر لي عدد الثرى، قال: فعجبنا وقلنا لها: ما تجوزُ لك الصلاة وما هذه بقراءة!، قالت: والله إنّ هذه لصلاتي منذ أربعين سنة.

*** *** ***

أزيدك منه يا أعرابي

قيل: حضر أعرابيٌ سفرة سليمان بن عبد الملك، فلما أُتي بالفالوذج جعل يسرع فيه، فقال سليمان: أتدري ما تأكل يا أعرابي؟ فقال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأجد ريقاً هنيئاً، ومزدرداً ليناً، وأظنُّه الصراط المستقيم الذي

ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال: أزيدك منه يا أعرابي ، فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ، قال: كذبوك يا أمير المؤمنين، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل..

*** *** ***

ضعهُ حيث ينفع

قيل: سقط أعرابيٌ عن بعير له ، فانكسرت ضلعٌ من أضلاعه ، فأتى الجابر يستوصفهُ، فقال له: خذ تمراً جيداً فانزع أقماعه ونواه، واعجنهُ بسمن ثم اضمدهُ عليه، قال: أي بأبي أنتَ من داخل أم من خارج؟ قال: من خارج. فقال الأعرابي: إني لأحوج إليه من داخل. فقال له: ضعه حيث ينفع لك.

*** *** ***

أيُّها الأمير اضرب عُنقي

قيل: عزم الحجّاج على قتل رجلٍ من الأعراب فهرب واستخفى عنه، ثمّ جاءه بعد أيام وقال له: أيها الأمير، اضرب عُنقي ، فقال له الحجّاج: وكيف جئت؟ فقال: أصلح الله الأمير، إني أرى كل ليلة أنك قتلتني ، فأردت أن أقتل مرّة واحدةً، فعفا عنه..

*** *** ***

المأمون والأعرابي

قيل: إن أعرابياً رفع قصة إلى المأمون، وسأله أن يأذن له في الدخول عليه، والاستماع منه، فأذن له، فدخل فسلّم، فقال المأمون: تكلّم بحاجتك؟

قال: أخبر أمير المؤمنين أن مصائب الدّهر وأعاجيب الأيام ومحن الزّمن قصدتني، فأخذت منّي ما كانت الدنيا أعطتني، فلم تبق لي ضيعةٌ إلاّ خربت، ولا نهرٌ إلا اندقر(١) ولا منزلٌ إلاّ تهدّم، ولا مالٌ إلاّ ذهب، وقد أصبحتُ لا أملك سبداً ولا لبداً(٢) ولي عيال وأطفالٌ وصبيةٌ صغار، وأنا شيخٌ كبير، قد قعُدت بي المطالب، وكبرت عنّي المكاسب، وبي حاجة إلى أمير المؤمنين وعطفه.

قال: فبينما هو في الكلام إذ ضرط، فقال: وهذا يا أمير المؤمنين من عجائب الدّهر ومحنته، ولا والله ما ظهر منّي قطّ إلاّ في موضعه، فقال المأمون لجلسائه: ما رأيت قطّ أقوى قلباً ولا أربط جأشاً ولا أشدّ نفساً من هذا الرّجل، ثمّ أمر له بخمسين ألف درهم معجّلة..

*** *** ***

أعطاه حقّه ولم يحلف له

حدّث الأصمعي فقال: اختصم أعرابيّان إلى بعض الولاة في دين لأحدهما على صاحبه، فجعل المدّعى عليه يحلف بالطّلاق والعتاق، فقال له المدّعي:

(١) اندقر: فاض.

(٢) السبد واللبد: الشّعر والصوف.

دعني من هذه الأيمان، واحلف بما أقول لك: لا ترك الله لك خُفاً يتبعُ خفًا، ولا ظلفاً يتبع ظلفا، وحتّك من أهلك ومالك حتّ الورق من الشجر، إن لم يكن لي هذا الحقّ قبلك! فأعطاه حقّه ولم يحلف له..

*** *** ***

ما حسبتُك إلاّ في وصف نبيّ

قيل: دخل أعرابي السوق كي يشتري فرساً، فقال له النخّاس: صفه لي، فقال: أريدُهُ حسن القميص، جيّد الفصوص[1] وثيق العصب، نقيّ القصب، يشير بأذنيه، ويتشوّف برأسه، ويخطر بيده، ويدحُو[2] برجليه، كأنه موجٌ في لُجَّة، أو سيلٌ في حدور، أو منحطٌ من جبل، فقال له النخّاس: نعم، كذلك كان صلواتُ الله عليه، قال: وإنما أصفُ لك فرساً، قال: ما حسبتُك إلاّ في وصف نبيٍّ منذ اليوم.

*** *** ***

أعرابيٌّ يصف الحبّ

قيل لأعرابيّ: ما بالُ الحبّ اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم؟ قال: نعم، كان الحبُّ في القلب، فانتقل إلى المعدة، إن أطعمته شيئاً أحبّها وإلاّ فلا، وكان الرجل يحبّ المرأة يطيف بدارها حولاً، ويفرح إن رأى من رآها، وإن

(١) الفصوص: ملتقى كل عظمين.

(٢) يدحو: يرمي برجليه.

ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، وإنّه اليوم يشير إليها وتشير إليه، ويعدُها وتعدُه، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبّاً، ولم ينشدا شعراً، ولكن يرفع رجليها ويطلبُ الولد.

*** *** ***

وفاء أعرابيّة

قال أحدهم: مررت مع رفيق لي بفلاة، وإذا نحن بأعرابية كأنها فلقة قمر، فقالت: هلُمَّ إلى القرى، فلما دخلنا خباءها وجدنا قبراً، فقلنا لها: ما هذا؟ فتنفّست الصُّعداء، ثمّ قالت: قبر خليلي، كان يُظهر ودّي، ويحسن رفدي، فمات فدفنته عندي، قال: فقلت لها: فهل لك فيمن يجدِّد ما قد درس من ودّه، ويزيدك إحساناً إلى رفده، فتغيَّر وجهها، وأسبلت دمعتها، وقامت مولّية وهي تقول:

وإنّي لأستحييه والتُّرب بيننا ... كما كنتُ أستحييه حين يراني

فإن تسألاني عن هوايَ فإنّني ... رهينةُ هذا القبر يا رجلان

قال: ولم تعُد حتى خرجنا..

*** *** ***

لو سلحَ في ثيابه لزوّجناه

قيل: خطب أعرابيٌّ من بني كلاب امرأة فقالت أمّها: دعني حتى أسأل

عنـك ، فانصرف الرجلُ فسأل عن أكرم الحيِّ عليها ، فدُلَّ على شيخٍ منهم كان يُحسن التوسُّط في الأمر ، فأتاه يسأله أن يُحسن عليه الثناء ، وانتسب له فعرفه ، ثمّ إن العجوز غدت عليه ، فسألته عن الرّجل ، فقال : أنا أعرف الناس به ، قالت : فكيف لسانه؟ قال : مدرة[1] قومه وخطيبهم ، قالت : فكيف شجاعته؟ قال : منيع الجار حامي الذّمار ، قالت : فكيف سماحته؟ قال : ثمال[2] قومه وربيعهم ، وأقبل الفتى ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما أقبل ، ما انثنى ولا انحنى ، ودنا الفتى فسلّم ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما سلّم ، ما جأر ولا خار ، ثمّ جلس ، فقال : ما أحسن والله ما جلس ، ما دنا ولا نأى ، وذهب الفتى ليتحرّك فضرط ، فقال الشيخ : ما أحسن والله ما ضرط ، ما أطنّها وما أغنّها ، ولا بربرها ولا قرقرها ، ونهض الفتى خجلاً ، فقال : ما أحسن والله ما نهض ، ما انفتل ولا انخزل ؛ وأسرع الفتى فقال : ما أحسن والله ما خطا! ما ازورّ ولا اقطوطى[3] فقالت العجوز : حسبُك يا هذا ، وجّه إليه من يردّه ، فوالله لو سلح في ثيابه لزوّجناه .

***   ***   ***

محاسن الأقوال

حدّث الأصمعي فقال :

دخل رجل من الأعراب على رجل من أهل الحضر ؛ فقال له الحضري : هل لك

---

(١) مدرة : سيد القوم.   (٢) ثمال : الملجأ والغياث.   (٣) اقطوطى : قارب من خطوه.

أن أعلمك سورة من كتاب الله تعالى؟

فقال: إني أحسن من كتاب الله، ما إن عملتُ به كفاني.

قال: وما تحسن؟

قال: أحسن سوراً.

قال: اقرأ.

فقرأ فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وإنا أعطيناك الكوثر.

فقال له الرجل: اقرأ السورتين - يريد المعوذتين.

قال: قدم علي ابن عم لي فوهبتهما له، ولست براجع في هبتي حتى ألقى الله.

*** *** ***

الحجّاج والأعرابي

قال الأصمعي: خرج الحجّاج متصيّداً، فوقف على أعرابيٍّ يرعى إبلاً وقد انقطع عن أصحابه، فقال: يا أعرابيُّ، كيف سيرةُ أميركم الحجّاج؟ فقال الأعرابي: غشومٌ ظلومٌ لا حيّاه الله ولا بيّاه. فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنودُهُ، فأومأ إلى الأعرابي فأُخذ وحُمل، فلمّا صار معهم قال: من هذا؟ قالوا: الأمير الحجّاج، فعلم أنّه قد أُحيط به، فحرّك دابّته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيّها الأمير، قال: ما تشاء يا أعرابيّ؟ قال: أحبُّ أن يكون السرُّ الذي بيني وبينك مكتوماً، فضحك الحجاج وخلّى سبيله.

أتدري من أنا؟

قيل: خرج الحجاج مرّة فلقي أعرابياً فقال له: كيف سيرة الحجاج فيكم؟ فشتمه أقبح شتم، فقال: أتدري من أنا؟ قال: ومن عساك أن تكون؟ قال: أنا الحجاج، قال: أوتدري من أنا؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا مولى بني عامر، أجنُّ في الشهر مرتين، هذه إحداهما، فضحك وتركه..

*** *** ***

ما أعجبك من حديثنا

لزم أعرابي سفيان بن عيينة مدة يسمع منه الحديث، فلما جاء ليسافر قال له سفيان: يا أعرابي ما أعجبك من حديثنا.

قال: ثلاثة أحاديث؟ حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يحب الحلوى والعسل، وحديثه ﷺ: «إذا وضع العشاء وحضرت الصلاة فابدؤوا بالعشاء» وحديث عائشة أيضاً: «ليس من البر الصيام في السفر».

*** *** ***

إن وجد فراشاً

اشترى أعرابي غلاماً فقيل للبائع: هل فيه عيب؟

قال: لا، إلا أنه يبول في الفراش.

قال: هذا ليس بعيب، إن وجد فراشاً فليبل فيه.

الحمدُ لله الذي مسخهُ كلباً

نزل شيخٌ أعرابي من بني نهشل يكنى أبا الأغرّ على بنت أخت له من قريش بالبصرة، وذلك في شهر رمضان، فخرج الناس إلى ضياعهم، وخرج النساء يصلين في المسجد، ولم يبقَ في الدار إلاّ الإماء، فدخل كلب فرأى بيتاً فدخله، وانصفق الباب، فسمع الإمام الحركة فظن لصاً دخل الدار فذهبت إحداهن إلى أبي الأغر فأخبرته، فأخذ عصاً ووقف على باب البيت، فقال: إيهاً والله! إني بك لعارف، فهل أنت من لصوص بني مازن، وشربت نبيذاً حامضاً خبيثاً حتى إذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأماني، فقلت: أطرقُ دور بني عمرو، والرّجال خلوف، والنساء يصلّين في مسجدهن فأسرقهن، سوءةً لك! والله ما يفعل هذا حرٌّ، بئسما منتك نفسك! فاخرج بالعفو عنك، وإلاّ دخلتُ بالعقوبة عليك، وأيم الله! لتخرجنّ أو لأهتفنّ هتفة يلتقي فيها الحيان عمرو وحنظلة، ويصيرُ زيدٌ زيداً، وتجيء سعدٌ بعدد الحصى، وتسيلُ عليك الرجال من ها هنا وها هنا، ولئن فعلت لتكوننّ أشأم مولود في بني تميم.

فلما رأى أنه لا يجيبه، أخذه باللين، فقال: اخرج بأبي أنت وأمي منصوراً مستوراً، وإني والله ما أراك تعرفني، ولئن عرفتني لوثقت بقولي واطمأننت إليّ، أنا أبو الأغر النهشليّ، وأنا خال القوم، وجلدة ما بين أعينهم، لا يعصون لي رأياً، وأنا خفيرٌ كفيلٌ أجعلك شحمةً بين أذُني وعاتقي[(١)] فاخرج فأنت في ذمّتي، وإلاّ فعندي قوصرتان[(٢)] أهداهما إليّ ابن أختي البارّ الوصول، فخذ إحداهما حلالاً من الله ورسوله.

---

(١) عاتقي: ما بين المنكب والعنق.

(٢) قوصرتان: وعاء التمر.

وكان الكلبُ إذا سمع هذا الكلام أطرق، وإذا سكت وثب يريدُ الخروج، فتهافت أبو الأعز ثم قال: يا ألأم الناس، أراني بك الليلة في وادٍ وأنت في آخر، وأنت في داري، أقلُبُ البيضاء والصفراء، فتصيحُ وتطرق، وإذا سكت عنك وثبت تريد الخروج، والله لتخرجنّ أو لألجنَّ عليك..

فلما طال وقوفه، جاءت جاريةٌ وقالت: أعرابيٌّ مجنونٌ! والله ما أرى في البيت أحداً، ودفعت الباب، فخرج الكلب مبادراً، ووقع أبو الأغرّ مُستلقياً، فقلن له: قم ويحك! فإنه كلب، فقال: الحمدُ لله الذي مسخهُ كلباً، وكفى العرب حرباً.

*** *** ***

أعرابيٌّ في عرس

قال الهيثم بن عديّ: سمعتُ أعرابياً يقول: دخلت حضرتكم بعد عيد الأضحى، فإذا أنا بجمع عظيم عليهم أنواعُ الثياب من بيض وحُمر وصفر، فكأنها زهر البستان، فقلت في نفسي: هذا العيد الذي يذكُر أصحابنا أنّ الحضر يتزينون فيه، ثمّ رجعت إلى عقلي فقلت: وأيُّ عيد هو؟ وقد خرجتُ بعد الأضحى، فبينما أنا باهتٌ (١) أفكّر في أمري، إذ أخذ بيدي رجلٌ منهم. فقال: ادخُل يا أعرابيّ، فدخلت، فإذا بمجلس منضد بالنضائد، موسد بالوسائد، وفي صدره سرير، وعليه رجلُ جالس، والناس صُموتُ عن يمينه

(١) باهت: دهش.

وشماله، فقلت في نفسي: هذا الخليفة الذي يذكرون، فقبَّلت الأرض وقلت: السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقيل: اسكت يا أعرابيّ، هذا عروسٌ ونحن في عرسه، فهيئ لي موضعٌ في المجلس، فجلست فيه، فقدّمت هنات[1] من خشب عليها ثيابٌ متلاحمة النّسج، فهممت أن أسند في ثوب منها أرقع به إزاري، فقيل لي: مدّ يدك يا أعرابيّ وكل، فإذا هو ضربٌ من الخبز لا أعرفه، ثمّ قدّمت أنواعٌ من الطعام حلوةٌ وحامضة، وحارةٌ وباردة، فأكلت، ثمّ بأوان فيها ماءٌ أحمر، فجعلوا يصبّون في أقداح ويشربون، فناولني منه قدحاً، فقلت: أخاف أن يقتلني فقالوا: يا أعرابي، إنه يهضم ما في بطنك، فشربته فحدث في قلبي طربٌ لا أعرفه، وهممت أن أهشم الذي بجانبي، وأن أقول للآخر: يابن الزانية، فأقبلوا يسألون رجلاً ويقولون: أمتعنا بنفسك، فأتي بهنات لها رأسان مشدودان بالخيوط المحصدة[2] فأقبل يضرب رأسه، فيخرج منها رعدٌ كهزيم الرعد وزئير الأسد وأخرج رجلٌ من كمّه شيئاً كفيشلة الحمار، فأقبل يردّد عليه به، وأقبل آخر ينتخ[3] حتى كبح به الأرض، فقلت: مجنونٌ وربّ الكعبة، ثم أقبلوا يضرعون إلى آخر، ويرغبون إليه، فأتاهم بدابةٍ من خشب، عينُها في صدرها إذا فُتلت أذنها تكلّم فوُها، فطرب كلّ من حضر وطربت حتى تقدّمت إليه وقلت: يا سيدي، ما هذه الدّابة؟ فقال: يا أعرابي هذه يقال لها البربط[4] فقلت: آمنت بالله وبالبربط، ثمّ سقوني قدحاً آخر، فأخذتني نومةٌ لم يوقظني منها إلاّ حرُّ الشمس من الغد.

---

(١) هنات: أشياء لا أعرفها.

(٢) المحصدة: المفتولة.

(٣) ينتخ: يسترج وينزع.

(٤) البربط: العود.

ذهبت بقافية

قال علي بن دعبل: حدثني أبي قال: خرجت ومعي أعرابي ونبطي إلى موضع يقال له بطياثاً من أمصار دجلة متنزهين، فأكلنا وشربنا فقال الأعرابي: قل بيت شعر، فقلت:

نلنا لذيذ العيش في بطياثا.

فقال الأعرابي:

لما حثثنا أقداحاً ثلاثاً؟

فقال النبطي: وامرأتي طالق ثلاثاً.

وما زال يبكي حتى الصباح، فقلت له. ما يبكيك؟ فقال: ذهبت امرأتي بقافية!

*** *** ***

أبغض الموت

قيل لأعرابي: ما يمنعك أن تغزو؟

قال: والله إني لأبغض الموت على فراشي، فكيف أن أمضي إليه راكضاً.

*** *** ***

رجل يطلق خمس نسوة!

من طُرف الأصمعي ما حدّثه، قال: قلت للرشيد يوماً: بلغني يا أمير المؤمنين أن رجلاً من العرب طلّق خمس نسوة، قال الرشيد: إنما يجوز مُلكُ رجلٍ على أربع نسوة فكيف طلّق خمساً؟! قلت: كان لرجلٍ أربع نسوة، فدخل عليهن يوماً فوجدهن مُتلاحيات[1] متنازعات، وكان الرجل سيئ الخُلُق- فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما إخالُ هذا الأمر إلاّ من قبلك- يقول ذلك لامرأة منهن- اذهبي فأنت طالق! فقالت له صاحبتها: عجّلتَ عليها بالطلاق، ولو أدَّبتها بغير ذلك لكنت حقيقاً، فقال لها: وأنت أيضاً طالق! فقالت له الثالثة: قبّحك الله! فوالله لقد كانتا إليك مُحسنتين، وعليك مفضلتين! فقال: وأنت أيتها المُعدِّدةُ أياديهما طالقٌ أيضاً. فقالت له الرابعة وكانت هلالية وفيها أناةٌ شديدةٌ: ضاق صدرُك عن أن تؤدّب نساءك إلاّ بالطلاق! فقال لها: وأنتِ طالقٌ أيضاً! وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شهدت العربُ عليك وعلى قومك بالضعف إلاّ لما بلوهُ منكم ووجدوه منكم، أبيت إلاّ طلاق نسائك في ساعة واحدة! قال: وأنتِ أيتها المُؤنِّبةُ المُتكلِّفةُ طالقٌ، إن أجاز زوجك! فأجابه من داخل بيته: قد أجزتُ! قد اجزتُ!

*** *** ***

(١) متلاحيات: مختلفات.

الفيل أكبر من البقرة!

صلّى أعرابيٌ خلف إمام صلاة الصبح ، فقرأ الإمام سورة البقرة -وكان الأعرابي مستعجلاً- ففاته مقصوده، ولـمّا بكّر في اليوم الثاني وابتدأ الإمام بسورة الفيل ولّى هارباً وهو يقول : الفيل أكبر من البقرة .

*** *** ***

حد الشبع

سأل أعرابي : ما حد الشبع؟! فقيل له : هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه، فقال : وهل يكون ذلك إلا في الجنة . .

*** *** ***

حُكمُ الأعراب

قيل : ولّى الحجّاجُ أعرابياً على تبالة ، فجمع أهلها وقال : إنّ الأمير أوصاني عليكم، ووالله لا أحسنُ أن أقضي بين خصمين مرّتين، ووالله لا أوتى بظالم ولا مظلوم إلاّ وضربتهما معاً، فتناصف الناس بينهم . .

*** *** ***

لا تفسد ما صلح

قال أعرابيٌ من فزارة : عشقتُ جاريةً من الحيّ، فحادثتها سنين كثيرة ،

والله ما حدّثتُ نفسي بريبة قط، سوى أن خلوتُ بها، فرأيتُ بياض كفّها في سواد الليل، فوضعتُ كفي على كفها، فقالت: مه، لا تُفسد ما صلح. فارفضّ جبيني عرقاً ولم أعُد.

*** *** ***

ميتة أبي خارجة

قال الأصمعي: رأيتُ أعرابياً ماسكاً بستار الكعبة وهو يقول: اللهمّ أمتني ميتة أبي خارجة!

فقلت له: يرحمك الله، وكيف مات أبو خارجة؟

قال: أكل حتى امتلأ، وشرب، ونام في الشمس، فمات شبعان ريّان دفآن.

*** *** ***

القسم الثامن

طرف ونوادر

الحمقى..
والمغفلين..

لا تقطعوا اللطم عليه

ضاع لرجل ولدٌ، فجاؤوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أياماً. فصعد أبوه يوماً الغرفة فرآه جالساً في زاوية من زواياها فقال: يا بني: أنت بالحياة؟! أما ترى ما نحن فيه؟

قال: قد علمتُ ولكن ها هنا بيضٌ قد قعدتُ مثل القرِقة عليه، لا يمكنني أن أبرح، أريد فريخات أنا أحبهم. فاطلع أبوه إلى أهله فقال: قد وجدت ابني حياً، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه، والطموا كما أنتم!

*** *** ***

أجزعت لـخُلق سوي

ولد لإسحاق بن محمد الصباح بنت، فساءه ذلك وامتنع من الطعام والشراب، فدخل عليه بهلول، وقال: أيها الأمير، ما هذا الجزع والحزن؟ أجزعت لخلق سوي، وهبه الملك العلي؟ أيسرك أن يكون مكانها ابن وأنه مثلي؟

فضحك الأمير ودعا بالطعام والشراب، وأذن للناس بالدخول عليها للهناء.

*** *** ***

ادفعوهن إلى الطباخ

كتب أسد بن جهور -وكان ممن تصرف في الأعمال الجليلة- إلى بعض العمال، أن احمل لنا مائتي جوانبيرة (وهي كلمة فارسية المراد بها النّصف من

النساء التي بين الشابة والمسنة) . فقال العامل:

ما يصنع بهؤلاء العجائز!!

ثم حصَّل منهن ما أمكن، وأنفذهنّ طوعاً أو كرهاً.

فلما وصلن إلى بابه، وقرأ كتاب العامل بإنفاذهن، قال:

ادفعوهنّ إلى الطباخ، وتقدَّموا إليه بأن يذبح لنا في كل يوم ما نحتاج إليه!

فقيل له: إنهن نساء!

فقال: إنا للّه! إنما أردت الجوامركات (وهو نوع من الدّجاج طيب اللحم) فغلطت!

*** *** ***

أردت أن أقولها

خطب بعض العرب في عمل وليهُ فقال في خطبته:

إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: في ستة أيام. فقال:

والله أردت أن أقولها ولكن استقللتها!

*** *** ***

لا تصح جمعة أحدكم

روي أن أحد العلماء دخل قرية وتوجه إلى الجامع ليصلي الجمعة، فأدهشه

ان أهل القرية يدخلون المسجد ومع كل منهم قفة من خوص، فيها مغرفة وخشبة وسكين وفأر ميت معلق من عنقه، فتعجب من عملهم، وانتظر ما يكون من شأنهم وشأن خطيبهم، فلم يلبث الخطيب أن قدم في مثل حالهم. فتقدم إليه العالم وسأله عن هذه الحال، فقال الخطيب:

أنا الذي أمرتهم بذلك، فقال له: هذا أمر باطل، والصلاة باطلة، فما الذي دفعك إلى ذلك؟

قال الخطيب: حديث قرأته في كتاب عندي يسمى كتاب التيه ولفظه: حدثني بختي بن تحني عن شعبان الثوري، أن النبي ﷺ قال:

لا تصلح جمعة أحدكم إلا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفأر. فطلب منه الكتاب، فإذا هو كتاب التنبيه، لا «التيه». وإذا الحديث أن النبي ﷺ قال: لا تصح جمعة أحدكم إلا بعفة (لا قفّة) وسَكينة (لا سكّينة) وخشية (لا خشبة) ومعرفة (لا مغرفة) ووقار (لا فار).

وإذا سند الحديث: حدثني يحي بن يحي عن سفيان الثوري..

*** *** ***

سرّني ذلك

ماتت أم أبي إسحاق الزَّجَّاج، فاجتمع الناس عنده للعزاء. فأقبل ابن الجصاص وهو يضحك ويقول: يا أبا إسحاق، والله سرَّني هذا! فدُهش الزجاج والناس، فقال بعضهم: يا هذا، كيف سرَّك ما غمَّنا وغمَّنا له؟ قال: ويحك،

بلغني أنه هو الذي مات، فلما صحَّ عندي أنها أمُّه ، سرَّني ذلك!

فضحك الناس!!

*** *** ***

بيَّن اللهُ كلَّ شيء

رؤي ابن الجصَّاص وهو يبكي وينتحب ، فقيل له : ما لك؟ فقال: أكلتُ اليوم مع الجواري المخيض بالبصل فآذاني، فلما قرأت في المصحف ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقلت: ما أعظم قدرة الله، قد بيّن الله كل شيء حتى أكل اللبن مع الجواري!

*** *** ***

حكم قراقوش

تقدم جماعة إلى قراقوش، وكان عاملاً لصلاح الدين على مصر، ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف ، فقالوا: أيها الأمير، هذا الثور صال على هذا الرجل، فقتله وهذا مالكه، وهو العاقلة.

ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق، ويطلق صاحبه.

قيل له: ما هذا حكم الله.

فقال: لو جرى هذا في زمن فرعون ، ما فعل غير هذا، فإنه القاتل، ولا يحلّ أن يقتل غير القاتل.

إن الحدود لا تعطل

كان نصر بن مقبل عاملاً للرشيد على الرقة، فأتي برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة، فقال: أيها الأمير، إنها والله ملك يميني، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾﴾ [المؤمنون: ٦].

فاطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحدّ، فإن ماتت تصلب.

قالوا: أيها الأمير إنها بهيمة.

قال: وإن كانت بهيمة، فإن الحدود لا تعطل، وإن عطلتُها فبئس الوالي أنا.

*** *** ***

اقرأ باللغات السبع

حُكي عن بعض الشعراء، قال: دخلت مسجداً بحمص، فرأيت رجلاً مكشوف الرأس، فقلت: سلام عليكم، فلم يرد عليّ جواباً. فكررت عليه السلام. فنظر إليّ مغضباً وقال: لعلك من هؤلاء الصفاعنة، الذين يأتون من أسفل الشام؟!

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنهم يقرؤون السبع الطوال، ويبغضون أبا بكر الصناديقي، وعمر القواريري بن عفان، وعثمان بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي الخطاب، أحد حملة العرش.

قلت: ومن معاوية؟

قال: هو رجل أرسله الله، إلى قوم يعلمهم أن عصا موسى كانت من شجر التوت، فلقيه محمود النبي، فزوجه ابنته عائشة، فولدت له الحسن والحسين، في أيام الحجاج بن المهدي.

فقلت له: أراك خبيراً بالتواريخ؟ وأنا قد أفنيت عمري في هذا الفن، وما عرفت هذا، أتحفظ القرآن؟!

قال: اقرأ باللغات السبع.

قلت: اقرأ لي شيئاً منه.

فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وكانوا إذا جاءهم بشير أو نذير، استعشوا استعشاشاً، وقاموا إلى ناقة الله فذبحوها، ومكروا مكراً كباراً، فبأي آلاء بابكما تكذبان.

فقلت له: يا شيخ كيف ترضى بهذه الحالة، مع حوزك هذه الفضائل، هل سكنت بغداد، ليعرفوا قدرك وفضلك.

فقال: بغداد دار الجهلة والمجانين، ما أصنع بها؟

فقلت: صدقت، وتركته وانصرفت.

*** *** ***

لتمنيت ثوابها

دخل رجل على عروة بن الزبير يعوده بعد أن قطعت رجله، وبادره بقوله:

أقطعت رجلك؟

نعم..

جيدا!! وهل وجعك شديد؟

نعم..

لا تغتم فإنك لو علمت ثوابها لتمنيت أن الله قطع رجليك ويديك وأعمى بصرك.

*** *** ***

علمه تعزية

لمّا مات سعيد بن مسلم (فتى من بني هاشم) الباهلي قال الرشيد لأبي العالية:

علم فلاناً تعزية يعزي بها ولد سعيد، فقال أبو العالية للفتى:

إذا صرت إلى القوم فقل: عظم الله أجركم، وأحسن عزاءكم، ورحم سعيدا.

فقال الفتى: هذا عزاء طويل.

فقال له:

فقل إذن: أعظم الله أجركم، وختم بالصبر على قلوبكم.

وهذا أطول من ذاك.

إذاً فقل: أعظم الله أجركم.

وكررها عليه طويلاً، ثم ركب إلى القوم، فخرج هؤلاء إعظاماً له، فلما رآهم سأل:

ما فعل سعيد؟

مات.

جيد، فماذا فعلتم به؟

دفناه.

أحسنتم .. ثم انصرف.

*** *** ***

سليم إن شاء الله

مرض صديق لحامد بن العباس فأرسل هذا ابنه إليه يعوده، وأوصاه قائلاً:

إذا دخلت عليه فاجلس في أرفع المواضع، وقل للمريض: ما تشكو؟ فإذا قال لك كذا وكذا فقل: سليم إن شاء الله، ثم سله: من يجيؤك من الأطباء؟. فإذا

قال فلان فقل: مبارك ميمون. ثم سله: ما غذاؤك؟. فإذا أجاب كذا وكذا، فقل له: طعام محمود. فذهب الابن، ودخل على المريض، وكانت بين يديه منارة فجلس عليها لارتفاعها، فسقطت على صدر المريض فأوجعته، ثم سأل المريض:

مم تشكو؟

أشكو علة الموت.

سليم إن شاء الله، فمن يجيؤك من الأطباء؟

ملك الموت.

مبارك ميمون، فما غذاؤك؟

سم الموت.

طعام طيب محمود.

*** *** ***

وبئس القرار

لما مات سليمان بن وهب لقي الناس ابنه عبيد الله يعزونه، ولقيه منهم رجل أحمق فقال:

مات سليمان؟

نعم.

ومات أبوه قبله؟

نعم.

ومات أبوهما؟

نعم.

هذا مصير كل حي، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: ٩٨].

*** *** ***

يعارض القرآن

تنبأ رجل في زمن خالد بن عبدالله القسري، وعارض القرآن، فجيء به إلى خالد فسأله:

ما تقول في ذلك؟

عارضت القرآن.

بماذا عارضت القرآن؟

قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ١ - ٣]. وقلت أنا: إن أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، ولا تطع كل ساحر.

فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب، ومر به أحدهم فضرب بيده على الخشبة وقال: إنا أعطيناك العود، فصل لربك من قعود، وأنا ضامن أن لا تعود.

***   ***   ***

نصيحة هبنَّقة

أراد رجل الزواج فقال: لأستشيرنَّ أول من يطلع، ثم لأعملنَّ برأيه، وكان أول من طلع عليه هبنَّقة القيسي وهو راكب على قصبته، وكان من عقلاء المجانين، فقال له: إني أردت الزواج، فما تشير عليّ؟ قال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر جوادي أن يرمحك..!

***   ***   ***

من ذا الذي يوثق به

روى ابن قيم الجوزية هذه الطرفة في كتابه «المغفلين».

اشترى رجل جارية على أنها بكر وحملها إلى منزله، فذكر له نساؤه أنها ثيب، فاختصم فيها مع البائع، فأمر القاضي أن تودع عند أمين إلى أن يكشف القوابل أمرها، فأودعت عند إمام المسجد، فلما أصبح الإمام جاء إلى القاضي وهو يتأوّه ويقول: ذهبت الأمانة من الناس، فسأله القاضي لماذا؟ فقال: إن مشتري الجارية قد اطمأن إلى بائعها، وأخذها على أنها بكر، فخدعه فيها وخانه، وإني قد جربتها البارحة فوجدتها ثيباً واسعة، فمن ذا الذي يوثق به، ومن ذا الذي يركن إليه.

أثقب اللؤلؤ

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدي الخليفة العباسي، وبشار بن برد بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد -وكانت فيه غفلة- فقال له: يا شيخ، ما صناعتك؟ فقال: أثقب اللؤلؤ، فضحك المهدي، ثم قال لبشار: اعزُب ويلك، أتتنادر على خالي، فقال بشار: وما أصنع به؟! أيرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته.

*** *** ***

لا عقل لي

وقف أحد المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه. فقال لهم: أرأيتم لو بال ههنا حمار أكنتم ضاربيه؟

قالوا: لا.

قال: فهبوني حماراً فإنه لا عقل لي.

فرقّوا إليه وأطلقوه.

*** *** ***

كيف صحبتهم

ذكر أنه وفد على الرشيد ثلاثة من حمص، فرأى أحدهم على رأسه غلاماً،

فظنّه جارية فقال: السلام عليك يا أبا الجارية؛ فصفع وأخرج.

فقال الثاني: السلام عليك يا أبا الغلام؛ فصفع وأخرج.

فقال الثالث: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

فقال له: كيف صحبت هذين الأحمقين؟

*** *** ***

والدي بلا ولد!

قيل: إنَّ رجلاً قال لولده وهو في المكتب: في أيِّ سورةٍ أنت؟ فقال: لا أُقسمُ بهذا البلد. ووالدي بلا ولد، فقال: لعمري من كنت ولده فهو بلا ولد.

*** *** ***

ما أعقلك من شيخ!

مرَّ رجلٌ من العُبَّاد وعلى عنقه عصا في طرفها زبيلان قد كادا يحطمانه، في أحدهما بُرٌّ وفي الآخر تراب. فقيل له: ما هذا؟ قال: عدلتُ البُرَّ بهذا التراب، لأنَّه كان قد أمالني في أحد جانبيَّ، فأخذ رجلٌ زبيل التراب فقلبه، وجعل البُرَّ نصفين في الزبيلين وقال له: احمل الآن، فحمله، فلمَّا رآه خفيفاً قال: ما أعقلكَ من شيخ!

*** *** ***

أحسبهم جراء

دخل ابن الجصاص يوماً على ابن الفرات الوزير، فقال: يا سيدي، عندنا في الحُويرة كلاب لا يتركوننا ننام من الصياح والقتال. فقال الوزير: أحسبهم جراء. فقال: لا تظن أيها الوزير، لا تظن ذلك، كلُ كلب مثلي ومثلُك!

*** *** ***

ما أردت غيرهما

دخل ابن الجصَّاص على ابن له قد مات، فبكى، وقال: كفاك الله يا بني محنة هاروت وماروت! فقيل له: وما هاروت وماروت؟ فقال: لعن الله النسيان، إنَّما أردت يأجوج ومأجوج! قيل: وما يأجوج ومأجوج؟ قال: فطالوت وجالوت! قيل له: لعلك تريد منكراً ونكيراً؟ قال: والله ما أردت غيرهما!

*** *** ***

يتمنّى أن يُمسخ حُورية!

قيل: إن الحسن بن عبدالله بن الجصّاص الجوهري كان يُنسب إلى الحمق والبله، فقال يوماً: اللهم، امسخني حُوريةً وزوّجني بعمر بن الخطاب. فقالت له زوجته: سل الله أن يزوّجك من النبي ﷺ إن كان لا بدّ لك أن تبقى حُوريةً. فقال: ما أُحبّ أن أكون ضرّةً لعائشة رضي الله عنها!

من الأحمق

حكي أن أحمقين اصطحبا في طريق، فقال أحدهما: تعال نتمنّ على الله، فإن الطريق تقطع بالحديث.

فقال الأول: أنا أتمنى قطائع غنم، أنتفع بلبنها ولحمها وصوفها.

وقال الآخر: أنا أتمنى قطائع ذئاب، أرسلها على غنمك، حتى لا تترك منها شيئاً.

قال: ويحك!! أهذا من حق الصحبة وحرمة العشرة!؟

فتصايحا واشتدت الخصومة بينهما، حتى تماسكا بالأطواق، ثم تراضيا على أن أول من يطلع عليهما، يكون حكماً بينها.

فطلع عليهما شيخ كبير، بحمار عليه زقان من عسل، فحدثاه بحديثهما، فنزل بالزقين وفتحهما، حتى سال العسل على التراب، ثم قال: صب الله دمي، مثل هذا العسل، إن لم تكونا أحمقين.

*** *** ***

استعاره منّي

ذُكر عن حباب بن العلاء قال: كنت بالمدينة فحضرت قاضياً بها، فإذا رجلٌ قد أقبل يقود حماراً ومعه رجل آخر، فأخبر أنَّ حماره سُرق وأنه وجده مع هذا. فسأله القاضي، فقال: الحمار لي وهو في يدي. فقال للمدَّعي: ألكَ بيِّنة! قال:

نعم، فقال: أحضرهم. فقام وركب الحمار ومضى عليه. فأقبلتُ على الذي كان الحمار في يده فقلت له: كيف أعطيته الحمار بعدما رأيت من دعواه! فقال: استعاره مني!

*** *** ***

من حمقى قريش

يروى أن معاوية بن مروان بن الحكم من حمقاء قريش، بينا هو واقفٌ بباب دمشق ينتظر أخاه عبدالملك على باب طحّان، وحمار الطحّان يدور بالرَّحى وفي عنقه جُلجُل، فقال للطحّان: لِمَ جعلتَ في عنق هذا الحمار جُلجُلاً؟ فقال: ربّما أدركتني نَفْسَة أو سآمة، فإذا لم أسمع صوت الجُلجل علمتُ أنّه قد نام، فصحتُ به. فقال: أرأيتهُ إن قام وحرّك رأسه، ما علمُك به أنه قائم؟ فقال: ومن لحماري بمثل عقل الأمير!

*** *** ***

الحمد للّه الذي مسخك كلباً !

قال الأصمعي: كان أبو حيَّة النُّميري جباناً مع حُمق وبله فيه، وكان له سيف سمَّاه «المنيَّة». فدخل تحت سريره كلب، فظنَّ أنَّه لصّ، وسمعه جارٌ له وهو يقول: أيها المغتر المجترئ علينا ،بئس ما اخترت لنفسك: خيرٌ قليل، وسيفٌ صقيل، وهو لُعاب المنيَّة الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تُخاف

نبوته، اخرج بالعفو منَّا قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إن أدعُ قيساً أملأ عليك الأرض خيلاً ورجالاً، سبحان الله ما أكرمها وأطنبها! وخرج الكلب. فقال أبو حيّة: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفانا حرباً!

*** *** ***

وصفع إمام المسجد

حكى بعض الناس قال: دخلتُ حمص، وفي فمي درهم لأشتري بعض ما أشتهي، فإذا رجل بباب المسجد جالسٌ على كرسي، وعلى رأسه عمامة، وقد تقلَّد سيفاً، وفي حُجره مُصحفٌ يقرأ فيه، وإلى جنبه كلب يُمسكه بحبل، فسلَّمت عليه، وقلت: أترى القوم صلّوا؟ فقال لي: يا أحمق، أعمى أنت؟ أما تراني قاعداً؟ قلت: من أنت؟ قال: أنا خالد إمام المسجد. قلت: مع هذه الحلية؟ قال: نعم، أعددتها لرجل زنديق يقرأ السبع الطوال، ويشتم أبا بكر الصناديقي، وعمر القواريري، وعثمان بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي غسّان الذي هو من حملة العرش، وزوّجه النبي ﷺ بنته في زمن الحجاج بن يوسف، فاستولدها الحسن والحسين! قلت: ما أعرفك بالتاريخ والأنساب! قال: وما خفي عليك أكثر. قلت: أتحفظ القرآن؟ قال: نعم. قلت: فاقرأ شيئاً منه. فقال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]. ﴿ **قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا** ﴿٥﴾ ﴾ [يوسف: ٥]. ﴿ **وَأَكِيدُ كَيْدًا** ﴿١٦﴾ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٦، ١٧]. فرفعت يدي فصفعتُهُ صفعة سقطت بها عمامته.

فصاح بالناس: احملوه إلى المُحتسب. فأوصلوني إلى رجل حاسرٍ حافٍ قد لبس دُراعة بلا سَراويل، فقال: ما فعل هذا؟ قالوا: صفع إمام المسجد! قال: يا مسكين أهلكت نفسك. قلتُ: هذا حُكمُ الله، فصبراً عليه! فقال: أيهما أحبُّ إليك، سملُ عينيك أو قطعُ يديك، أو تدفع نصفَ درهم؟ فرفعت يدي، وصفعت المحتسب صفعة شديدة. ثمّ أخرجتُ الدرهم من فمي، وقلت: يا سيّدي، خذ نصف درهم، ونصفه لإمامك! وانصرفتُ.

*** *** ***

الحمد لله

خرج رجلٌ إلى قرية فأضافهُ خطيبها فأقام عنده أيَّاماً، فقال له الخطيب: أنا منذ مدَّة أصلِّي بهؤلاء القوم وقد أشكل عليَّ في القرآن بعض مواضع، قال: سلني عنها، قال: منها في «الحمد للّه» إيَّاك نعبدُ وإيَّاك، أيَّ شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت عليَّ فأنا أقولها تسعين آخذُ بالاحتياط!

*** *** ***

عجبت والله أن يكون عندك فرح

كان لبعض التجار ابن أبله، فذهب التاجر إلى حانوته يوماً، فوجد اللصوص قد أخذوا صندوقاً له كان فيه ذهب وفضة وأشياء ثمينة، فجلس الرجل والناس يعزّونه ويدعون له بالخلف. فبينما هم كذلك إذ أقبل ابنه، فلما

قرب من حانوت أبيه، ورأى الناس سأل عن الخبر، فقالوا: دخل اللصوص حانوت أبيك وأخذوا الصندوق الذي كان فيه ما كان، فضحك وقهقه وقال: لا بأس ما فاتنا شيء. فظنَّ الناس أنّه خبّأه أو يعرف خبره، فأسرعوا إلى أبيه فبشَّروه بأنّ ابنه قال كذا. فقال له أبوه: ما الخبرُ وأيّ شيء عندك في هذا الأمر؟ قال: مفتاح الصندوق عندي فلا يقدرون أن يفتحوه. فقال أبوه: عجبتُ والله أن يكون عندك فرح!

*** *** ***

ما لكَ يا حبيبي؟

قال أبو العنبس: اجتزتُ في بعض الطريق لحاجة، فإذا امرأة عرضت لي فقالت: هل لك أن أزوّجك جارية فيجيئك منها ابن؟ قلت: نعم. قالت: وتُدخله الكتّاب فينصرف فيلعب فيصعد إلى السطح فيقع فيموت، وصَرَخت ويلاهُ، ولَطَمت، ففزعتُ، وقلت: هذه مجنونة وهربتُ من بين يديها. فرأيتُ شيخاً على باب، فقال: ما لكَ يا حبيبي؟ فقصصتُ عليه القصَّة؛ فقال لابدَّ للنساء من البكاء إذا مات لهنَّ ميّت، فإذا هو أحمق منها وأجهل.

*** *** ***

إنها لا ترثني

قيل لرجل: عندك مال وليس لك وارث إلا أمك؛ فإن مت ورثت المال

وأتلفته. فقال: إنها لا ترثني. قالوا له وكيف لا ترثك وهي أمك؟ قال:

لأن أبي طلقها قبل أن يموت!

*** *** ***

هل نملّح

جاء رجل إلى وجيه من وجوه بلده فقال: أنا جارك، وقد مات أخي، فمر لي بكفن. قال: لا والله! ما عندي اليوم شيء، ولكن عد إلينا بعد أيام فسيكون ما تجد! قال:

أصلحك الله!.. فهل نملّح الميت، إلى أن يتيسر عندك شيء؟

*** *** ***

القسم التاسع

طرف ونوادر

الثقلاء والطفيليين..

طمع أشعب

قيل لأشعب ما بلغ طمعك؟ فقال أرى دخان جاري فأفتّ خبزي، وما رأيتُ رجلين يتساران في جنازة إلاّ قدّرتُ أنّ الميت أوصى لي بشيء من ماله، وما زُفّت عروسٌ إلا كنستُ بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها إليّ.

*** *** ***

الغلام الجشع

قال الأصمعي: كنّا عند الرشيد، فقدّمت إليه فالوذجة، فقال: يا أصمعي، حدّثنا بحديث مُزرِّد، فقلت: إنّ مُزرداً أخا الشمّاخ كان غلاماً جشعاً، وكانت أمّه تُؤثر عيالها بالطعام عليه، وكان ذلك يُحفظه، فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مزرّد الخيمة وعمد إلى صاعي دقيق وصاع من تمر وصاع من سمن، ثمّ جعل يأكل وهو يقول:

ولمّا غدَت أمّي تميرُ بناتها ... أغرتُ على العكم الذي كان يُمنعُ
لبكتُ بصاعي حنطةٍ صاع عجوةٍ ... إلى صاع سمنٍ فوقهُ يتربّعُ
ودبّلتُ أمثال الأثافي كأنّها ... رُؤوسُ نقادٍ قُطِّعت يوم تُجمعُ
وقلتُ لبطني: أبشر اليومَ إنّهُ ... حمى أُمّنا بما تحوزُ وترقعُ
فإن كنتَ مصفُوراً فهذا دواؤهُ ... وإن كنت غرثاناً فذا يوم تشبعُ

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، ثمّ قال: كُلوا باسم اللّه، هذا يوم تشبع يا أصمعي.

وصيّة بُنان

قال بنان يُوصي بعض أصحابه: إذا قعدتَ على مائدة وكان موضعك ضيّقاً فقل للذي يليك: لعلي ضيّقتُ عليك فإنّه يتأخّر إلى خلف، ويقول: موضعي واسعٌ، فيتسع عليك موضع رجُلٍ. وقال له طفيلي أوصني، فقال: لا تصادفنّ من الطعام شيئاً فترفع يدك عنه وتقول: لعلّي أصادفُ ما هو أطيب منه، فإنّ هذا عجزٌ ووهنٌ. قال: زدني، قال: إذا وجدت خبزاً فيه قلّة فكل الحروف، فإن كان كثيراً فكل الأوساط. قال: زدني. قال: لا تُكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنّه يصدّك عن الأكل ويمنعك من أن تستوفي. قال: زدني. قال: إذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قطّ، وتزوّد منه زاد من لا يراه أبداً. قال: زدني. قال: إذا وجدت الطعام، فاجعله زادك إلى اللّه تعالى، وقال: إذا دعاك صديقٌ لك فاقعد يمنة البيت فإنّك ترى ما تحبّ، وتسودهم في كل شيء، وتسبقهم إلى كلّ خير، وأنتَ أوّل من يغسل يده والمنديل جافّ، والماء واسعٌ، والخوان بين يديك يُوضع، والنبيذ أوّل القنّينة ورأسها تشربه، والنَّقلُ[1] مُنتخب، يُوضع بين يديك وتكون أوّل من يتبخّر، فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تتخطّاهم، وأنت في كلّ سرورٍ إلى أن تنصرف.

*** *** ***

أماني طُفيلي!

قصد قومٌ من الطُفيليين إلى وليمةٍ فقال رئيسهم: اللّهمَّ، لا تجعل البوّاب

(١) النقل: ما يُنتقل به على الشراب.

لكَّازاً في الصدور، دفّاعاً في الظهور، طرّاحاً للقلانس(١). اللهمَّ هب لنا رأفته ورحمته ويُسره، وسهِّل علينا أُنسه. فلمّا دخل الطفيليون البيت تلقّاهم البوّاب، فقال أحدهم: غُرّة مباركة موصولٌ بها الخصب، معدومٌ معها الجدب.

فلمّا جلسوا على الخوان قال آخر: جعلك الله كعصا موسى، وخوان إبراهيم، ومائدة عيسى في البركة.

ثمّ قال رئيسهم لأصحابه: افتحوا أفواهكم وأقيموا أعناقكم، وأجيدوا اللفَّ، وأترعوا الأكفَّ، ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشّباع المُتخمين، واذكروا سُوء المنقلب وخيبة المضطرب، كلوا على اسم اللّه تعالى.

*** *** ***

من أخبار الطفيليين

نظر رجلٌ من الطفيليين إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل، فرأى لهم هيئة حسنة، وثياباً نفيسة، فظنّهم يُدعون إلى وليمةٍ، فتلطَّف حتّى دخل في لفيفهم وصار واحداً منهم. فلما بلغ صاحب الشرطة قال: «أصلحك الله، لستُ واللّه منهم، وإنما أنا طُفيلي ظننتهم يُدعون إلى صنيع فدخلتُ في جملتهم! فقال: ليس هذا مما يُنجيكَ منّي، اضربوا عنقه! فقال: أصلحك الله، إن كنت ولا بدّ فاعلاً، فأمر السيّاف أن يضرب بطني بالسيف، فإنَّه هو

(١) القلانس: جمع قلنسوة، وهي من ملابس الرأس.

الذي ورّطني هذه الورطة! فضحك صاحب الشرطة وكشف عنه، فأخبروه أنّه طفيلي معروف. فخلّى سبيله.

*** *** ***

خطبة بليغة

خطب بعض الطفيليين فقال:

الحمد لله مستحق الحمد على التحقيق، الذي وفق بين الفرج والضيق، وأمر بالحج إلى بيته العتيق، وجعل السمن البقري للعسل النحل رفيق. أحمده حمد من عنده من الجوع دسيسة، وأغاثه الله بقصعة من البسيسة، بالفطير الرقيق، فملأ منها بطنه، وأحسن بالله ظنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، شهادة تحمي قائلها من الضيق، وأشهد أن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله، الناطق بالصدق، والموصوف بالحق والتحقيق.

أيها الناس! ما لي أراكم عن الزبدة بالعسل النحل غافلون، وعن الأرز المفلفل باللحم الضاني تاركون، وعن البقلاوة في الصواني معرضون، وعن الأرز السمين والدجاج المحمر لاهون؟ فاغتنموا رحمكم الله هذه الموعظة، ودعوا أكل المفلّظة كالعدس والبيسارِ، والمدس والفول الحار.

*** *** ***

حجر الذّباب

حدّث رجل خراساني من بعض أصحاب الصّنعة، ممن كان يعرف بالأحجار الخواصيّة[1]، قال:

اجتزت ببائع في الطريق بمصر، فرأيت عنده حجراً أعرفه، يكون وزنه خمسة دراهم، مليح المنظر. وكنت أعرف أن خاصيته في طرد الذباب، وكنت في طلبه منذ سنين كثيرة. فحين رأيته ساومته فيه، فاستام عليّ به خمسة دراهم، فلم أماكسه[2] ودفعتها إليه. فلما حصلت في يده، وحصل الحجر في يدي، أقبل يسخر مني ويقول:

يجيء هؤلاء الحمير لا يدرون إيش يعطون، ولا إيش يأخذون! هذه الحصاة رأيتها منذ أيام مع صبي، فوهبت له دانق فضّة وأخذتها، وقد اشتراها هذا الأحمق مني بخمسة دراهم!

فرجعت إليه وقلت له:

يجب أن أعرّفك أنك أنت الأحمق، لا أنا.

قال: كيف؟

قلت: قم معي حتى أعرّفك ذلك.

فاقمته ومضينا حتى اجتزنا ببائع يبيع التمر في قصعة، والذّباب محيط بها، فنحّيت الرجل بعيداً عن القصعة، وجعلت الحجر عليها، فحين استقر

---

(١) الأحجار الخواصيّة: التي تنفرد بخصائص معينة.

(٢) يماكس: يناقش ويساوم.

عليها طار جميع الذباب، وتركته ساعة وهي خالية من الذباب، ثم أخذت الحجر، فرجع الذباب، ثم رددته فطار، وفعلت ذلك ثلاث مرات، ثم خبأت الحجر، وقلت: يا أحمق هذا حجر الذباب، وقد قدمت في طلبه من خراسان، يجعله الملوك عندنا على موائدهم فلا يقر بها الذباب، ولا يحتاجون إلى مذبة، ولا إلى مروحة، والله لو لم تبعني إياه إلا بخمسمائة دينار لاشتريته منك! فشهق شهقة قدّرت أنه تلف، ثم أفاق منها بعد ساعة وافترقنا.

*** *** ***

وصية طفيلي

أوصى طفيلي غلامه، فقال: إذا ضاق بك الموضع، فقل للذي إلى جانبك: لعلي ضيقت عليك، فإنه سيوسع لك المكان كموضع رجل آخر.

*** *** ***

الضيف الثقيل

نزل رجلٌ عند قوم وأطال الضيافة، فكرهوا إقامته، فقال الزوج لزوجته: كيف لنا أن نعلم مقدار إقامته؟ قالت: نتشاجر غداً ونتحاكم إليه للعلم متى يرحل. فتشاجرا، وقالت الزوجة للضيف: أستحلفك بالله الذي يبارك لك في سفرك غداً أيُّنا أظلم؟ فقال الضيف: والله الذي يبارك لي في إقامتي عندكما شهراً، ما أعلم أيّكما أظلم؟

حيلة طفيلي

حدثنا أحمد بن الحسن المقري قال: مرّ بنان بعرس فأراد الدخول فلم يقدر، فذهب إلى بقال فوضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسلاً، وجاء إلى باب العرس، فقال: يا بواب، افتح لي، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أراك لست تعرفني أنا الذي بعثوني أشتري لهم الأقداح، ففتح له الباب، فدخل فأكل وشرب مع القوم، فلما فرغ أخذ الأقداح، فقال: يا بواب افتح لي يريدون أن أرد هذه، فخرج فردها على البقال وأخذ خاتمه.

*** *** ***

ما لنا في بناتك

جاء بنان إلى وليمة فأغلق الباب دونه، فاكترى سلماً ووضعه على جدار المنزل، فأشرف على عيال الرجل وبناته، فقال له الرجل: يا هذا أما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي؟ فقال: يا شيخ، لقد علمت ما لنا في بناتك من حق، وإنك لتعلم ما نريد، فضحك الرجل وقال له: انزل فكل.

*** *** ***

أخو العروس

قال محمد بن علي الجلاب: جاء طفيلي إلى عرس، فمنع من الدخول، وكان يعلم أن أخاً للعروس غائب، فذهب فأخذ ورقة كاغد، فطواها وختمها

وليس في بطنها شيء، وجعل في ظاهرها: من الأخ إلى العروس، وجاء فقال: معي كتاب من أخي العروس فأذن له، فدخل فدفع إليهم الكتاب، فقالوا: ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه اسم أحد فقال: وأعجب من هذا أنه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد لأنه كان مستعجلاً، فضحكوا منه وعرفوا أنه احتال لدخوله، فقبلوه.

*** *** ***

إلى بيتنا يذهبون

قال ابن درّاج الطُّفيلي:

مرّت بي جنازة ومعي ابني، ومع الجنازة امرأة تبكي الميت وتقول: بك يذهبون إلى بيت لا فرش فيه ولا وطاء، ولا ضيافة ولا غطاء، ولا خبز فيه ولا ماء.

فقال لي ابني:

يا أبي، إلى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة!

*** *** ***

وصية طفيلي لابنه

عن عبيدالله محمد بن عمران المرزباني قال: كان طفيلي العرائس الذي

ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبدالحميد بن طفيل في علته التي مات فيها، فيقول له: إذا دخلت عرساً، فلا تلتفت تلفت المريب، وتخير المجالس، فإن كان العرس كثير الزحام فأمُرْ وانْهِ، ولا تنظر في عيون أهل المرأة، ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء، فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومُره وانهه من غير أن تعنف به، وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال.. ثم أنشد وقال:

لا تجـزَعنَّ مـن الغريـب	ولا من الرّجـل البعيـد
وادخُـل كـأنك طابـخٌ	بيديـك مغرفة الحـديـد
متدلياً فوق الطّعـام	تـدلي البـازِ الصّيُود
لتلفّ ما فوقَ الموائـد	كلّهـا لـفَّ الفُهـودِ
واطرح حيـاءك إنمـا	وجهُ الطفيليّ من حديـد
لا تلتفت نحو البُقُـول	ولا إلى غـرف الثّريـد
حتّى إذا جـاء الطّعـام	ضربت فيـه كالشـديـد
وعليـك بالفالوذجـات	فإنهـا عينُ القصيـد
هـذا إذا حرّرتهـم	ودعوتهم هل من مزيـد
والعـرسُ لا يخلُو مـن	للوزينج الرّطـب الفنيـد
فإذا أيتَ بـه مَحَـوت	محاسـنَ الجـام الجـديـد

قال: ثم أغمي عليه عند ذكر اللوزينج ساعة، فلما أفاق رفع رأسه قال:

وتنقلنَ على المـــوا ئد فعل شـيطانٍ مريـــد
وإذا انتقلت عبثـــت بالكعك المجفّف والقديــد
يا ربّ أنــت رزقتـــني هذا على رغم الحسُـــود
واعلم أنـــــك إن قبـ ـلت نعمت يا عبدالحميد

*** *** ***

دية الريح

عن عبدالرحمن بن عبدالله الزهري قال: صلَّى أشعب يوماً إلى جانب مروان بن أبان بن عثمان، وكان مروان عظيم الخلق والعجيزة؛ فأفلتت منه ريح عند نهوضه لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة؛ فوهم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح. فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الديّة.

فقال: ماذا؟!

فقال: دية الريح التي أفلتت منك وحمتلها عنك، والله لأشهرنّك، فلم يدعه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

*** *** ***

أتريد أن تشتريه

قال أبو حسن المدائني: وقف أشعب على امرأة تعمل طبق خُوص فقال: لتكبريه.

فقالت: أتريد أن تشتريه.

قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيهدي إليّ فيه فيكون كبيراً، خيراً من أن يكون صغيراً.

*** *** ***

عجوز شديدة العين

عن المدائني قال: كانت بالمدينة عجوز شديدة العين، لا تنظر إلى شيء تستحسنه إلا عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، وهو يقول لبنته: يا بنيه، إذا متّ فلا تندبيني والناس يسمعونك، فتقولين: واأبتاه، أندبك للصوم والصلوات، واأبتاه، أندبك للفقه والقراءة، فتكذبك الناس ويلعنوني.

والتفت أشعب فرأى المرأة، فغطى وجهه بكمه، وقال لها: يا فلانة بالله، إن كنت استحسنت شيئاً مما أنا فيه، فصلي على النبي ﷺ لا تهلكيني.

فغضبت المرأة وقالت: سخنت عينك، في أي شي أنت مما يستحسن؟! أنت في آخر رمق.

قال قد علمت، ولكن قلت: لئلاّ تكوني قد استحسنت خفّة الموت عليّ، وسهولة النزع، فيشتد ما أنا فيه.

فخرجت من عنده تشتمه، وضحك كل من كان حوله من كلامه، ثم مات.

كلميه حتى أقبض

غاضبت مصعب بن الزبير زوجته عائشة بنت طلحة، فاشتد ذلك عليه، وشكا أمره إلى خاصته. فقال له أشعب: فما لي إذا هي كلمتك؟ قال: عشرة آلاف درهم. فأتى إليها فقال: يا ابنة عم رسول الله ﷺ تفضلي بكلام الأمير، فقد استشفع بي عندك، وأجزل لي العطية إن أنت كلمته. قالت: لا سبيل إلى ذلك يا أشعب. وانتهرته.

فقال: جُعلتُ فداك، كلميه حتى أقبض عشرة آلاف درهم، ثم ارجعي إلى ما عودك الله من سوء الخلق! فضحكت فقامت فصالحته.

*** *** ***

أي شيء عليك

خرج جماعة في سفر، فلحق بهم طفيلي، فاتفقوا على أن يخرج كل واحد منهم شيئاً للنفقة، فقال الأول: عليّ كذا، وقال الثاني: وعليّ كذا، وقال الثالث: وعليّ كذا.. فلما بلغوا الطفيلي قال لهم: وعليّ.. وسكت. فقالوا: أي شيء عليك؟ قال: لعنة الله! فضحكوا منه وأعفوه من النفقة!

*** *** ***

صِلْ من قطعك

قال أحمد بن علي الحاسب: مرَّ طفيلي بسكة النخع بالبصرة على قوم

وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دُعي، فأنكره صاحب المجلس، فقالوا له: لو تأنيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يبُعث إليك! قال: إنما اتخذت البيوت ليُدخل فيها، ووضعت الموائد ليؤكل عليها، وما وجهت بهدية فأتوقع الدعوة، والحشمة قطيعة، وطرحها صلة، وقد جاء في الأثر: صل من قطعك، وأعط من حرمك.

*** *** ***

رغيف بألف دينار

في أيام المستنصر الفاطمي وقع بمصر الغلاء الذي فَحُش أمرُه، وشنع ذكره. وكان أمده سبع سنين، وسببه ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل.

وقد استولى الجوع لعدم القوت حتى بيع الإردب من القمح بثمانين ديناراً ، وأُكلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير. وتزايدت الحال حتى أكل الناسُ بعضهم بعضاً. وكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم حبال فيها كلاليب، فإذا مرَّ بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت، وشرَّحوا لحمه وأكلوه. وجاء الوزير يوماً إلى الخليفة على بغلته، فأكلتها العامة، فشنق طائفة منهم، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم.

ومن غريب ما وقع أن امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار، وعرضته على جماعة في أن يعطوها به دقيقاً. وكان يُعتذر إليها إلى ان رحمها بعض الناس، وباعها به كيس دقيق، فلما أخذته أعطت بعضه لمن يحمله ويحميه من النهابة في الطريق. فلما وصلت إلى زويلة، تَسلَّمته من الحُماة له ومشت قليلاً. فتكاثر الناس عليها وانتهبوه نهباً. فأخذت هي أيضاً مع الناس من الدقيق ملء يديها، لم ينبها غيره، ثم عجنته وشوته، فلما صار قرصة أخذتها معها، وتوصلت إلى أحد أبواب القصر، ووقفت على مكان مرتفع، ورفعت القرصة على يديها بحيث يراها الناس، ونادت بأعلى صوتها:

يا أهل القاهرة! ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه حتى تقومت عليّ هذه القرصة بألف دينار!!

*** *** ***

الصبيّ الغريق

لما انتصر جيش الخليفة المعتضد على هارون الشاري، نُصبت القباب ببغداد، وزُيِّنت الطرقات، وتكاثف الناس على الجسور، فانخسف بهم الجسر الأعلى وسقط على زورق مملوء ناساً، فغرق في ذلك اليوم نحو من ألف نفس، واستُخرج الغرقى من نهر دجلة بالكلاليب وبالغاصة، وارتفع الضجيج، وكثر الصراخ من الجانبين جميعاً.

فبينما الناس كذلك إذ أخرج بعض الغاصة صبياً عليه حلي فاخرة من ذهب وجوهر، فبصر به شيخ من النظارة، فجعل يلطم وجهه حتى أدمى أنفه، ثم تمرّغ في التراب، وجعل يصيح:

ابني! لم تمت إذ أخرجوك صحيحاً سويّاً لم يأكلك السمك! ليتني يا حبيبي كحلت عيني بك مرة قبل الموت!

وأخذه فحمله على حمار، ثم مضى به.

فما برح القوم الذين رأوا من الشيخ ما رأوا حتى أقبل رجل معروف باليسار مشهور من التجار، حين بلغه الخبر، وهو لا يشك إلا أن الصبي في أيديهم، وليس يهمه ما كان عليه من حليّ وثياب، وإنما أراد أن يكفِّن ابنه ويصلي عليه ويدفنه، فخبّره الناس بالخبر، فبقي هو ومن معه من التجار متعجبين مبهوتين، وسألوا عن الشيخ المحتال واستبحثوا فإذا لا عين ولا أثر.

*** *** ***

ما اشتريتها بدينار

ساوم أشعب رجلاً بقوس، فقال: أقل ثمنها دينار.

قال أشعب: والله لو أنك إذا رميت بها طائراً في السماء، وقع مشوياً بين رغيفين، ما اشتريتها منك بدينار أبداً!

*** *** ***

هاتان حاجتان

سأل رجل أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان؛ فإذا قضيت لك إحداهما فقد أنصفت.

قال الرجل: رضيت.

قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك!

*** *** ***

كل لا هنأك الله

أقبل طفيلي إلى صنيع، فوجد باباً قد أُرتج ولا سبيل إلى الوصول، فسأل عن صاحب الصنيع إن كان له ولد غائب أو شريك في سفر. فأخبر عنه أن له ولداً ببلد كذا، فأخذ رقاً أبيض وطواه وطبع عليه، ثم أقبل متدللاً، فقعقع الباب قعقعة شديدة واستفتح، وذكر أنه رسول من عند ولد الرجل، ففتح له الباب، وتلقاه الرجل فرحاً فقال: كيف فارقت ولدي؟ قال له: بأحسن حال، وما أقدر أن أكلمك من الجوع! فأمر بالطعام فقدم إليه، وجعل يأكل. ثم قال له الرجل: ما كتب كتاباً معك؟ قال: نعم. ودفع إليه الكتاب، فوجد الطين طرياً، فقال له: أرى الطين طرياً! قال: نعم وأزيدك أنه من الكد ما كتب فيه شيئاً!. فقال: أطفيلي أنت؟ قال: نعم أصلحك الله! قال: كل لا هنأك الله!

*** *** ***

لئن شكرتم لأزيدنكم

ضرب الحجاج أعرابياً سبعمائة سوط، وكان يقول عند كل سوط: شكراً لك يا رب!

فلقيه أشعب فقال: أتدري لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟

قال: ما أدري!

قال: لكثرة شكرك، الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

*** *** ***

عليك بتلك الحيتان

بينا قوم جلوس عند رجل من المدينة يأكلون عنده حيتاناً، إذ استأذن عليهم أشعب، فقال أحدهم: إن من عادة أشعب أن يبسط يده إلى أحسن الطعام، فاجعلوا الحيتان الكبار بعيدة عنه، ليأكل من صغار السمك، ففعلوا، فلما دخل أشعب قالوا له: كيف رأيك في الحيتان؟ فقال: إن لي عليها حقداً شديداً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان. قالوا له: هلمَّ خذ بثأرك منها، فجلس، ومدّ يده إلى حوت صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى الصفحة التي فيها الحيتان الكبار في ركن المائدة، فقال:

أتدرون ما يقول هذا الحوت الصغير؟

قالوا: لا، قال: إنه يقول: إنه لم يحضر موت أبي، ولا أدركه؛ لأن سنه

تصغر عن ذلك، وقال لي: عليك بتلك الحيتان الكبار التي في ركن المائدة، فهي التي أدركت أباك وأكلته؟

*** *** ***

نحقق لك النصف الآخر

قال المأمون لأشعب:

لست أرى عليك كسوة رائعة! فقال:

كانت علي يا أمير المؤمنين ثياب نظيفة ، غير أني قبل أن يأتوا بي إليك، أخذتني إغفاءة، فرأيت رؤيا نصفها حق ونصفها باطل!

فقال المأمون في دهشة:

وما هي هذه الرؤيا؟

فقال أشعب:

رأيت أني أحمل بدرة من ذهب، ولشدة ثقلها كنت «أوسخ» في ثيابي.. فلما انتبهت وجدت الوسخ ولم أجد البدرة!

فضحك المأمون حتى استند إلى الوراء وقال:

نحقق لك النصف الآخر من الرؤيا!

*** *** ***

القسم العاشر

طرف ونوادر

البخلاء..

قتيل القطايف

قال جحظة البرمكي: سلمت على بعض الإخوان، وكان بخيلا، فلمّا أردتُ الانصراف، قال: يا أبا الحسن، «إيش» تقول في قطايف بائتة؟ ولم يكن له بذلك عادة، فقلت: ما آبى ذلك. فأحضر لي جاماً فيه قطايف قد خمّت، فأوجَفْتُ[1] فيها وصادفت منّي سغبة[2]، وهو ينظر إليّ شزراً، فقال لي: إنّ القطايف إذا كانت بجوز أتخمتكَ، وإذا كانت بلوزٍ أبشمتك[3]، قلت: هذا إذا كانت قطايف، وأمّا إذا كانت مصوصاً[4] فلا، وقلت لوقتي:

دعاني صديقٌ لي لأكل قطائف ... فأمعنت فيها آمناً غير خائف

فقال وقد أنضجتُ بالأكل قلبه: ... ترفّق قليلاً فهي إحدى المتالف[5]

فقلتُ له: ما إن سمعنا بميت ... يُناحُ عليه: يا قتيل القطايف

*** *** ***

لِـمَ لا تدعوني إلى طعامك؟

قال رجل لبعض البخلاء: لِمَ لا تدعوني إلى طعامك؟ قال: لأنك جيّد المضغ سريع البلع، إذا أكلتَ لقمةً هيّأت أُخرى، فقال: يا أخي، أتريد إذا أكلتُ عندك أن أُصلي ركعتين بين كلِّ لقمتين؟

---

(١) اوجفت: اضطربت لرؤيتها.
(٢) سغبة: جوع.
(٣) ابشمتك: اشبعتك واتخمتك.
(٤) المصوص: اللحم الذي يُطبخ وينقع بالخل.
(٥) المتالف: المهالك.

يعده ويُخلف

كان لمحمود الورّاق صديقٌ، وكان يغشاه كثيراً، فربّى عنده دجاجاً سماناً فيعده بذبحها ويُخلفه، فلمّا طال هذا على محمود كتب إليه:

دجاجُ أبي عثمانَ أبعدُ منظراً وأطولُ أعماراً من الشمس والقمر
فإن لم نمت حتى نفوز بأكلها حييتُ -بإذن اللّه- ما أورق الشجر

*** *** ***

دعاه وأخّر الطعام!

من طُرف نوادر أبي عبدالله بن الحجاج في رجل دعاه وأخّر الطعام إلى المساء، فقال:

يا ذاهباً في داره جائياً بغير معنى وبلا فائدة
قد جُنَّ أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائدة

*** *** ***

فيه خصال

روي عن أشعب أنَّه قال له بعضُ إخوانه: لو صرت إليَّ العشيّة تتفرَّج؟ قال: أخاف أن يجيء ثقيل. قلت: ليس معنا ثالث. فمضى معي، فلمَّا صلّينا الظهر ودعوتُ بالطعام، فإذا بداقٍّ يدقّ الباب، قال: ترى أن قد صرنا إلى ما

نكرهُ، قلتُ له: إنَّه صديقٌ، وفيه عشرُ خصالٍ إن كرهت واحدةً منهن لم آذن له. قال: هاتِ. قلت: أوّلها أنّه لا يأكل ولا يشرب. فقال: التسعُ لك! قل له يدخل!

*** *** ***

وثب إلى خارج الدار

نزل بصريٌّ على مدني وكان صديقاً له، فأطال المُقام عنده، فقال المدني لامرأته: إذا كان غداً فإنّي أقول لضيفنا: كم ذراعاً تقفز؟ ثم أقفز، فإذا قفز هو فأغلقي الباب! فلمَّا كان من الغد، قال له المدني: كيف قفزُكَ يا أبا فلان؟ قال: جيّد! فعرض عليه أن يقفز معه، فأجابه. فوثب المدنيُّ من داره إلى الخارج أذرُعاً، وقال للضيف: ثب أنت! فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين. فقال له: وثبتُ أنا إلى خارج الدار أذرعاً ووثبت أنت إلى داخلها ذراعين؟! فقال الضيف: ذراعان في الدار خيرٌ من أذرع إلى براًّ!!

*** *** ***

فقيه في البخل

قال بعضهم: بتُّ عند رجل من أهل الكوفة الموسرين، وله صبيان نيام، فرأيته في الليل يقومُ فيقلّبهم من جنب إلى جنب. فلمّا أصبحنا سألته عن ذلك. فقال: هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيمريهم الطعام،

ويصبحون جياعاً، فأنا أقلبهم من اليسار إلى اليمين لئلا ينهضم ما أكلوه سريعاً!

*** *** ***

أين الرأس ؟

كان سهل بن هارون شديد البخل، وله فيه حكايات عجيبة. فمن ذلك قال دعبل: كنّا عنده يوماً فأطلنا القعود حتى كاد يموت جوعاً، ثمَّ قال: ويحك يا غلام، غدّنا. فأتاه بقصعةٍ[1] فيها ديكٌ مطبوخ، فتأمَّله ثم قال: أين الرأسُ يا غلام؟ قال: رميتُ به. فقال: إنِّي واللَّه لأمقُتُ من يرمي برجله، فكيف برأسه! ولو لم يكن فيما فعلت إلاَّ الطِّيرة[2] والفأل لكرهتهُ، أما علمت أنَّ الرأس رئيس الأعضاء، ومنه يصرخ الديك، ولولا صوته ما أُريدَ، وفيه عُرفُه الذي يُتبرّكُ به، وعينه التي يُضرب بها المثل في الصفاء، فيقال: شرابٌ كعين الديك، ودماغه عجبٌ لوجع الكُليتين، ولم يُرَ عظمٌ أهشُّ تحت الأسنان منه. وهب أنَّك ظننت أنِّي لا آكله أوليس العيالُ كانوا يأكلونه، فإن كان قد بلغ من نُبلك أنَّك لا تأكله فعندنا من يأكله، أوما علمتَ أنَّه خيرٌ من طرف الجناح ومن رأس العُنُق، أنظر لي أين هو؟

فقال: واللَّه ما أدري أين هو ولا أين رميتُ به. فقال: رميتهُ في بطنك، قاتلك اللَّهُ!

---

(١) قصعة: صفحة يوضع فيها الطعام.

(٢) الطيرة: ما يُتشاءم منه.

هذه راحة الموت

حكى الأصمعي قال: كان رجلٌ من ألأم الناس وأبخلهم، وكان عنده لبنٌ كثير، فسمع به رجلٌ ظريفٌ، فقال: أموت أو أشرب من لبنه. فأقبل ومعه صاحب له حتَّى إذا كان بباب صاحب اللبن غُشي عليه وتماوت، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع، فخرج إليه صاحب اللبن، فقال له: ما باله؟ فقال: هذا سيِّد بني تميم أتاه أمرُ اللَّه ها هنا، وكان قال: اسقني لبناً! قال صاحب اللبن: هذا هيِّنٌ موجود! يا غلام ائتني بقدحٍ من لبن، فأتاه، فأسنده صاحبه إلى صدره، وسقاه حتى أتى عليه، وتجشّأ، فقال صاحبه لصاحب اللبن: أتقولُ هذه راحة الموت؟ ففطن لهما وقال: أماتكَ اللَّه وإيَّاه!

***   ***   ***

يأكل على الرائحة

قال بعضهم: دخلت الكوفة فرأيت صبيّاً قائماً عند شقّ حائط ومعه خبز وهو يكسر اللقمة ويتركها في شقِّ الحائط ويأكلها، فبينما أنا أنظر إليه إذ أقبل أبوه فرأى ما يفعل فقال: إيش تصنع؟ قال: يا أبتِ هؤلاء قد طبخوا سكباجة(١) ويأتي النسيم بريحها فآكلُ خبزي، فلطمه أبوه وقال: تتصوَّر من صغرك أن لا تأكل خبزاً إلاَّ بإدام!

***   ***   ***

(١) السكباج: مَرقَ يعمل من اللحم والخلّ.

يحرق قلبك!

حكي عن بعض البخلاء أنّه استأذن عليه ضيفٌ وبين يديه خبز وزبديَّة فيها عسل نحل، فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل، فدخل الضيف من قبل أن يرفعه، فظنَّ البخيل أنَّ ضيفه لا يأكل العسل بالخبز، فقال له: ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز؟ قال: نعم، وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقة، فقال له البخيل: مهلاً يا أخي، والله إنه يحرق القلب. قال: نعم، صدقتَ، ولكنَّه يحرقُ قبلك.

***   ***   ***

خفت أن أعلمها

قال أشعب: تعلّقت بأستار الكعبة وقلت: اللهمَّ أذهب الحرصَ عنّي، فمررت بالقرشيين وغيرهم، فلم يعطني أحدٌ شيئاً، فجئت إلى أمّي، فحكيت لها ذلك، فقالت: والله لا تدخل بيتي حتى تذهب فتستقيل الله تعالى. فرجعتُ فقلت: يا ربِّ، فقد سألتك أن تُخرج الحرص من قلبي فأقلني، ثم رجعتُ فلم أمرّ بمجلس من مجالس قريش وغيرهم إلاَّ سألتهم وأعطوني، ووهبوا لي غلاماً، فجئت إلى أمّي بحمارٍ موفورٍ من كل شيء، فقالت: ما هذا؟ فخفتُ إن أعلمتها أن تموت، فقلت: وهبوا لي غين. قالت: وما غين؟ قلت: لام. قالت: ويلك، وما لام؟ قلت: ألف. قالت: وأيّ شيء ألف؟ قلت: ميم. قالت: وأيّ شيء ميم. قلت: غلام! فسقطت مغشيّاً عليها، ولو سمَّيته أوّل سؤالها لماتت.

الوحدة خير

قيل لرجلٍ اشتُهر بالبخل:

لماذا لا تدعوا الناس إلى مائدتك وأنت معروف بالتأنّق في الطعام؟

قال: يمنعني من ذلك أنّي لم آكل مع أحدٍ إلاَّ رأيتُ منه ما يعيبُهُ.

يلتهمُ كبد الدجاجة، ويستأثر بكُلية الخروف، ويزدردُ قانصة الإوزّ، ويستولي على صدور الفراخ؛ ولذا فالوحدة عندي خيرٌ من أكيل السُّوء.

*** *** ***

يقولون ما لا يفعلون!

كان ابن هرمة من أبخل الناس على ادّعائه الكرم في شعره. فأتاه يوماً جماعة فقال: ما جاء بكم؟ فقالوا: شعرك حيث تقول:

أغشى الطريق بقُبتي ورواقها ... وأحلُّ في قُبب الرُّبى وأُقيمُ

إنِّي امرؤٌ جعلَ الطريقَ لبيته ... طُنُباً وأنكر حقَّه للئيمُ

فنظر إلينا وقال: ما على الأرض عُصبة أسخف منكم عقولاً! أما سمعتم قول الله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾[الشعراء: ٢٢٦]؟ والله إني لأقول ما لا أفعل، وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول، والله لا عصيتُ ربّي في رضاكم.

*** *** ***

أشكلت المسألة

قال مزبد المديني لامرأته: أنت غير شفيقة عليَّ، ولا راعية لي.

قالت: والله لأنا أرعى بك من التي كانت قبلي وأشفق.

قال: أنت طالق ثلاثاً، لقد كنت آتيها بالجرادة فتطبخ لي منها أربعة ألوان وتشوي جنينها.

فدعته إلى القاضي، فجعل القاضي يطلب له المخرج، فقال: أصلحك الله! لا عليك إن أشكلت المسألة فهي طالق ثلاثين.

*** *** ***

يختصمان في رأس!

قال عمر بن ميمون: مررتُ ببعض طرق الكوفة، فإذا أنا باثنين يختصمان، فقلت: ما بكما؟

فقال أحدهما: إنَّ صديقاً زارني، فاشتهى رأساً، فاشتريته وتغدّينا، وأخذت عظامه فوضعتها على باب داري، أتجمّل بها، فجاء هذا فأخذها، ووضعها على باب داره ليُوهم الناس أنّه هو الذي اشترى الرأس.

*** *** ***

أنا والقدر!

طبخ بعض البخلاء قدراً من الطعام، وجلس يأكل مع زوجته فقال: ما أطيبَ

هذا الطعام لولا كثرة الزِّحام! فقالت امرأته: وأيّ زحامٍ وما ثمَّ إلاَّ أنا وأنتَ. قال: كنتُ أُحبُّ أن أكون أنا والقدر!

*** *** ***

زادك الله معرفة وحزماً

قال رجل من البخلاء لأولاده: اشتروا لي لحماً، فاشتروه. فأمر بطبخه، فلما نضج أكله جميعه، حتى لم يبق في يده إلا عظمة، وعيون أولاده ترمقه. فقال: ما أعطي أحداً منكم هذه العظمة، حتى يحسن وصف أكلها.

فقال ولده الأكبر: أمشمشها وأمصُّها، حتى لا أدع للذرِّ فيها مقيلاً.

قال: لست بصاحبها.

فقال الأوسط: ألوكها يا أبتِ وألحسها، حتى لا يدري أحد، ألعامٍ هي أم لعامين.

قال: لست بصاحبها.

فقال الأصغر: يا أبت، أمصها ثم أدقها وأسفُّها سفّاً.

قال: إنك صاحبها وهي لك، زادك الله معرفة وحزماً.

*** *** ***

صدق الوعيد

كان شيخ من البخلاء يأتي ابن المقفع، فألح عليه يسأله الغداء عنده، وفي

كل ذلك يقول له: أترى أنك تراني أتكلف لك شيئاً؟ لا والله، لا أقدم لك إلا ما عندي!

فأجابه يوماً: فلما أتاه إذ ليس عنده ولا في منزله إلا كسرة يابسة وملح جريش.

ووقف سائل بالباب، فقال له: بورك فيك! فألحّ عليه بالسؤال، فقال له: لئن خرجت إليك لأدقنّ ساقيك!

فقال ابن المقفع للسائل: أنت -والله- لو علمت من صدق وعيده، ما عَلمتُ من صدق موعوده، لم ترادّه كلمة ولا وقفت طرفة عين.

*** *** ***

مرقتكم لا تغير الثياب

قال بعض الظرفاء تغدى الجماز عند هاشمي، فمر الغلام بصفحة فقطر منها قطرة على ثوب الجماز، فقال الهاشمي: إئته بطشت يغسلها، فقال الجماز دعه فمرقتكم لا تغير الثياب، أي لا دسم لها.

*** *** ***

دجاجة من آل فرعون

قيل: كان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة فلا تؤكل بل ترفع ثم تسخن في اليوم الثاني فتقدم فتترك بحالها، فقال بعض الحاضرين: دجاجتنا

هذه من آل فرعون تعرض على النار غدواً وعشياً.

*** *** ***

اتركني رقيقاً

قال رجل لغلامه: اشتر لحماً واطبخه سكباجاً لأعتقك، فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثاني قال: اطبخه مضيرة، فأكل المرق وترك اللحم، فلما كان اليوم الثالث قال اطبخه قلية، ففعل، فقال له الغلام: يا سيدي اعتق هذا اللحم واتركني رقيقاً، فلقد آذيته من كثرة ما تعذبه بالنار.

*** *** ***

إنك لتراعيني

قال بعضهم: أكل أعرابي مع معاوية فرأى معاوية في لقمته شعرة فقال: خذ الشعرة من لقمتك، فقال: إنك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعر، والله لا آكلتك بعدها.

*** *** ***

اذهب فأنت حر

قيل: إن بعض البخلاء قال لغلامه: هات الطعام وأغلق الباب، فقال: يا مولاي هذا خطأ أغلق الباب أولاً ثم أقدم الطعام، فقال: اذهب فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم.

ما أكثر السؤال في هذا المكان

اشترى أحد البخلاء داراً، وانتقل إليها، فوقف ببابه سائل، فقال له: فتح الله عليك؛ ثم وقف ثان، فقال له مثل ذلك؛ ثم وقف ثالث، فقال له مثل ذلك. ثم التفت إلى ابنته، فقال لها: ما أكثر السُّؤال في هذا المكان.

فقالت: يا أبت، ما دمت متمسكاً لهم بهذه الكلمة، فلا تبالي كثروا أم قلّوا.

*** *** ***

من يضمن لي عشائي

كان مزبِّد المديني ممن اشتهروا بالمجون والنوادر، ومن نوادره أن بعض الولاة أخذه متهماً بالشرب، فشم رائحة فمه، فلم يجد شيئاً فقال: قيئوه. فقال مُزبِّد: ومن يضمن لي عشائي، أصلحك الله؟ فضحك منه وأطلقه!

*** *** ***

عفاريت الزمان

قيل أضاف رجل أعرابياً فلم يأتيه بشيء يأكله حتى غشى عليه من الجوع فأخذ يقرأ عليه القرآن فقال:

لخبز يا أخي عليه لحم ... أحب إلي من حسن القرآن

تظل تدهده القرآن حولي ... كأني من عفاريت الزمان

القسم الحادي عشر

طرف ونوادر

متنوعة..

ما تصنع بأضيافك

حكي عن معن بن زائدة أنه أتي بجملة من الأسرى فعرضهم على السيف. فقال له بعضهم: أصلحَ اللهُ الأمير، نحن أسراك وبنا جوعٌ وعطش فلا تجمع علينا الجوع والعطش والقتل، فأمر لهم بطعام وشراب، فأكلوا وشربوا ومعنٌ ينظر إليهم. فلمّا فرغوا، قال الرجل: أصلح الله الأمير، كنا أسراك ونحن الآن أضيافُك فانظر ما تصنع بأضيافك. قال: قد عفوتُ عنكم. فقال الرجل: أيها الأمير، ما ندري أيّ يومٍ أشرفُ يومٍ، ظفرك بنا أو يوم عفوكَ عنّا، فأمر لهم بمال وكُسوة.

*** *** ***

أفضل النساء

سُئل أعرابيّ في النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهنّ، فقال: أفضلُ النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حَلمت، وإذا ضحكت تبسَّمت، وإذا صنعت شيئاً جوّدت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود وكلّ أمرها محمود.

*** *** ***

شر النساء

جاء في رواية محمد بن عبدالسلام الخُشني:

إيَّاكَ وكل امرأةٍ مذكَّرة منكرة، جديدة العرقوب، بادية الظنوب، منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات وتُفشي السيئات، تُعين الزمان على بعلها، ولا تُعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها له رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت، وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت، وإن طلَّقها كانت حرقته، وإن أمسكها كانت مصيبته، سفعاء ورهاء، كثيرة الدعاء، قليلة الإرعاء، تأكل لمًّا، وتوسع ذمًّا، صخوب غضوب، بذيَّة دنيَّة، ليس تُطفأ نارها، ولا يهدأ إعصارها، ضيّقةُ الباع، مهتوكةُ القناع، صبيّها مهزول، وبيتها مزبول. إذا حدَّثت تشير بالأصابع وتبكي في المجامع، بادية من حجابها، نبّاحة على بابها، تبكي وهي ظالمة، وتشهد وهي غائبة. قد دلي لسانها بالزُّور، وسال دمعها بالفجور.

***　***　***

النساء ثلاث

روي أن رجلاً آلى يميناً ألاَّ يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من النساء. فاستشار تسعةً وتسعين نفساً وبقي واحد فخرج على أن يسأل أوَّل من يطرأ عليه، فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسوَّد وجهه وركب قصبةً وأخذ رمحه، فسلَّم عليه وقال: مسألة. فقال: سل ما يعنيك، وإيَّاك وما لا يعنيك، واحذر رمحة هذا الفرس، قال: فقلتُ: مجنونٌ والله، ثمَّ قلت: إني رجلٌ لقيتُ من النساء بلاءً وآليتُ ألاَّ أتزوج حتى استشير مائة نفس وأنت تمام المئة. فقال: اعلم أنَّ النساء ثلاث: واحدةٌ لك، وواحدةٌ عليك، وواحدةٌ لا

لك ولا عليك. فأما التي لك فشابةٌ طريةٌ لم تمسّ الرجال فهي لك لا عليك؛ إن رأت خيراً حمدت وإن رأت شرّاً قالت: الرجال على مثل هذا. وأما التي عليك لا لك فامرأة ذات ولد من غيرك، فهي التي تسلخُ الرجل وتجمع لولدها. وأما التي لا لك ولا عليك فامرأة قد تزوجت قبلك؛ إن رأت خيراً قالت: هكذا يجب. وإن رأت شرّاً حنّت إلى زوجها الأول. قال: فقلتُ: نشدتكَ الله ما الذي غير من أمرك ما أرى؟ قال: ألم أشترط عليك ألاّ تسأل عما لا يعنيك؟ فأقسمت عليه فقال: إنّي رُشحتُ للقضاء فاخترتُ ما ترى على القضاء.

*** *** ***

يقبض على يده بيده

خرجت يد ابن الجصّاص من الفراش في ليلة باردة، فأعادها إلى جسده بثقل النوم، فأيقظته، فقبض عليها بيده الأخرى، وصاح: اللصوص اللصوص! هذا اللص جاء ينازعني وقد قبضت عليه، أدركوني لئلا يكون في يده حديدة يضربني بها.

فجاؤوا بالسراج فوجدوه قد قبض بيده على يده.

*** *** ***

له أجداد

حدث أبو عبيدة قال: تزوّج رجلٌ من بني عامر بن صعصعة امرأة من قومه،

فخرج في بعض أسفاره ثم قدم وقد ولدت امرأته - وكان خلَّفها حاملاً، فنظر إلى ابنه فإذا هو أحمرُ غضبٌ أزبُّ الحاجبين، فدعاها وانتضَّ السيف وأنشأ يقول:

لا تمشُطي رأسي ولا تفليني　　وحاذري ذا الرِّيق في يميني

واقتربي دونك أخبريني　　ما شأنُهُ أحمر كالهجين

خالف ألوان بنيَّ الجُون؟

فقالت تُجيبُه:

إنَّ له من قبلي أجدادا　　بيض الوجوه كُرماً أنجادا

ما ضرَّهُم إن حضرُوا أمجادا　　أو كافحُوا يوم الوغى الأندادا

ألاَّ يكون لونهم سوادا

***　***　***

رؤيا في المنام

تزوَّج رجلٌ بابنة عمٍّ له يُقال لها «رباب» وتعاهدا على ألا يتزوج أحدهما بعد موت الآخر، فمات الرجل، وأُكرهت المرأة على التزويج، فلما كانت ليلةُ الزفاف رأت في منامها أنَّ ابن عمِّها آخذٌ بعضادتي الباب وأنشد:

حيَّيتُ سُكَّان هذا البيت كلَّهم　　إلا الرَّباب فإني لا أُحييها

أمست عروساً وأمسى منزلي خرباً ولم تُراع حُقوقاً كُنتُ أُرعيـــها

فانتبهت مذعورةً وحلفت ألاَّ يجمع رأسها ورأس رجلٍ وسادةٌ.

*** *** ***

أنقذها بياض الصبح

تزوّجَ رجــل امرأةً، فاجتمع معهــا في بيــت، ففركتـــه -أبغضته- فرمت ببصرها إلى الكُوَّة، فرأت الصبح، فقالت:

وأنقذني بياضُ الصبـــح منه لقد أُنقذتُ من شرٍّ طويـــل

*** *** ***

ما يطيب هذا اليوم

قال الجمَّاز لامرأته في يوم غيم: ما يطيب في هذا اليوم؟ قالت: الطلاق!..

*** *** ***

أمرك بيدك

كــان عنــد بعضهم امــرأةٌ، فأســاءت إليه يوماً، فقال لها: أمرُك بيدك، فقالت: لقد كان في يدك عشرين سنة فأحسنت حفظه ولم تُضيِّعه، أفأُضيِّعهُ في ساعةٍ واحدة إذ صــار في يدي! قد صرفتُهُ إليــك ورددت عليــك حقــك، فاعجبهُ ذلك منها وأمسكها..

لتبصر المحترق

شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال: ما الذي أكلت؟ قال: أكلت رغيفاً محترقاً، فدعا الطبيب ليكحله بذرور، فقال الرجل: إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال: قد عرفت، ولكن أكحلك لتبصر المحترق، فلا تأكله.

*** *** ***

لا أعود إلى نعيمان أبداً

مرَّ نعيمان بمخرمة بن نوفل وقد كفّ بصره، فقال: ألا رجل يقودني حتى أبول، فأخذ بيده نعيمان، فلما بلغ مؤخرة المسجد قال: ها هنا فبل.

فبال، فصيحَ به، فقال: من قادني؟

قيل: نعيمان.

قال: للّه عليَّ أن أضربه بعصاي هذِه.

فبلغ نُعيمان فأتاه فقال له: هل لك في نعيمان؟

قال: نعم.

فقال: قم.

فقام معه فأتى به الخليفة وهو يصلي، فقال: دونك الرجل.

فجمع يديه على العصا ثم ضربه. فقال الناس: أمير المؤمنين.

فقال: من قادني؟

قالوا: نُعيمان.

قال: لا أعود إلى نعيمان أبداً..

*** *** ***

حيلة فتاة

كان لرجل ابنةٌ، ولها ابنُ عمّ مشغوفٌ بها، وهو يرجو أن يتزوَّج بها، فجاءه رجل فأرغبه في الصَّداق، فقالت الفتاة لأمها: ما أحسبُ أبي يُربي ابن أخيه صغيراً ويقطعه كبيراً! فقالت الأم: كان ذلك قدراً مقدوراً، فقالت الفتاة: أنا حُبلى من ابن عمِّي، فقالت أُمها: ما تقولين ويحكِ؟ فقالت: أتكذبُ الحرَّةُ على نفسها! فأخبرت أباها، فزوجها من ابن عمِّها، فلما وقع العقد قالت الفتاة: برئتُ من الإسلام إن رأى وجهي إلى سنةٍ، ليُعلمَ أني مُتقوِّلةٌ فيما ادَّعيت..

*** *** ***

حيلة امرأة

كان رجلٌ بالكوفة مُتزوجاً بابنة عمِّه، وله ضيعةٌ بالبصرة يخرجُ إليها في كلِّ سنة، فتزوَّج امرأةً بالبصرة، فسقط خبرُها إلى ابنة عمِّه، فكتبت يوماً كتاباً عن أم البصرية تعزِّيه في ابنتها وتستعجلُهُ لقسمة ميراثها، ودفعتهُ إلى

رجُل غريب، وأمرتهُ بأن يوصلهُ إليه خفيةً، فلما قرأهُ تجهَّز وقال: إنَّ أمر ضيعتي قد تشعَّث بالبصرة ولا بد من أن أُلمَّ بها، فقالت المرأة: كم تقُولُ البصرة! أحسبُكَ ذا امرأةٍ بالبصرة تشتاقُ إليها! احلف لي بطلاق كُلِّ زوجةٍ لك بالبصرة، فقال الرجل في نفسه: وما يضرني ذلك وقد ماتت امرأتي بها، فحلف لها، فقالت: استقر الأمر، فلا بأس بالضيعة، وأخبرته الخبر.

*** *** ***

قد أحللته

وكانت امرأة بنيسابور قد حملت زوجها إلى القاضي، تدَّعي عليه خمسمائة دينار، فأنكر الرجل! فاستدعى القاضي منها إحضار الشهود، فأحضرتهم، فقالوا: حتى تكشف عن وجهها ثم نشهد. فهمَّت أن تُسفر عن وجهها، فصاح الرجل وأدركته الغيرة وقال: أنتم تريدون أن تنظرُوا إلى وجه زوجتي! أيها القاضي، أشهد أن لها حقاً عليَّ واجباً ستمائة دينار، فتعجب القاضي والحاضرون من حميَّته وغيرته، فقالت المرأة: أيها القاضي أشهدك أني بريئةٌ من حقي وأني قد أحللته من ذلك! فتعجبوا غاية العجب، ثم قال القاضي: اكتبوه وضعوه في باب الفُتُوَّة..

*** *** ***

الحُبّ والطعام

كان أبو الحارث حسين يُظهر لجارية من المحبة أمراً عظيماً، فدعته وأخّرت

الطعام إلى أن ضاق، فقال:

يا سيّدتي، ما لي لا أسمع للغداء ذكراً؟

فقالت:

يا سبحان الله! أما يكفيك النظر إليّ وما ترغبه فيّ من أن تقول هذا؟! فقال:

يا سيدتي، لو جلس جميل وبثينة من بكرة إلى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً لبصق كلٌ واحد منهما في وجه صاحبه!

*** *** ***

وجب عليك حقنا

شرب أحمد بن أبي طاهر مع أبي هفان حتى فني ما معهما، وكانا بجوار المعلّى بن أيوب، فقال ابن أبي طاهر لأبي هفان: تماوت حتى أسأل المعلّى في كفنك. فسجّاه ومضى إلى المعلى، فقال: أصلحك الله، نزلنا في جوارك فوجب عليك حقنا، وقد مات أبو هفان وليس له كفن.

فقال أبو المعلى لوكيله: امضِ إليه لتشاهده، وادفع له كفناً.

فأتى فوجده مسجى، فنقر أنفه فضرط، فقال له: ما هذا؟

قال ابن أبي طاهر: أصلحك الله بقية روحه كرهت نكهته فخرجت من دُبره.

فأخبر الوكيل ابن المعلى فضحك، وأمر لهما بدنانير كثيرة.

رزقنا ولداً طيباً

قال رجل لأمرأته: الحمد لله الذي رزقنا ولداً طيباً.

قالت: ما رُزق أحد مثلما رزقنا.

ثم دعياه فجاء، فقال له الأب: يا بني، من حفر البحر؟

قال: موسى بن عمران.

قال: من بلَّطه؟

قال: محمد بن الحجاج.

فشقت المرأة جيبها ونشرت شعرها وأقبلت تبكي.

فقال أبوه: ما لك؟

فقالت: ما يعيش ابني مع هذا الذكاء.

*** *** ***

يدعو لإبليس

جلس أبو منصور بن عمار في المسجد يدعو عقب صلاته ويقول:

«اللهم اغفر لأعظمنا ذنباً، وأقسانا قلباً، وأقربنا بالخطيئة عهداً، وأشدّنا على الدنيا حرصاً». فسمعه أبو يعقوب الخريمي -الشاعر- فقال له: امرأتي طالق إن كنت دعوت إلاّ لإبليس.

عبث الجاحظ

قال الجاحظ: ما غلبني أحدٌ قطّ إلاّ امرأة ورجل، فأما الرجل فإني كنتُ مُجتازاً ببعض الطرق، فإذا أنا برجل بطين كبير الهامة، طويل اللحية، بيده مشطٌ يمشطُ به لحيته، فقلتُ في نفسي: رجلٌ قصيرٌ بطين ألحى، فاستزريته، فقلتُ: أيها الشيخ، قد قلت فيك شعراً. فترك المشط من يده وقال: قل. فقلتُ:

كأنك صعوةٌ في أصل حشّ   أصاب الحش طشٌ بعد رشّ

فقال: اسمع جواب ما قلت:

كأنكَ كندرٌ في ذيل كبش   يُدلدلُ هكذا، والكبشُ يمشي

وأما المرأة، فكنت مجتازاً ببعض الطرقات، فإذا أنا بامرأتين، وكنت راكباً على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت: إحداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها فأخذتني حدة ثم قلت لها: إنه ما حملتني أُنثى قط إلا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

*** *** ***

إرث مولى سعيد

مرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد بن العاص، فلما أتاه قال له: ليس لي وارث غيرك، وههنا ثلاثون

ألف درهم مدفونة، فإذا أنا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا إلى مولانا وقصرنا في تعاهده، فتعاهده كل التعاهد ووكل به من يخدمه، فلما مات اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم وشهد جنازته، فلما رجع إلى البيت حفر البيت كله، فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن يطالب بثمن الكفن، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه وأسلبه كفنه.

*** *** ***

إذا كبرت عقمت

قدَّمت امرأةٌ زوجها إلى زياد بن أبيه تُنازعُه، وقد كانت سنُّه أعلى من سنِّها، فجعلت تعيبُ زوجها وتقع عليه، فقال زوجها: أيُّها الأمير، إنَّ شرَّ شطري المرأة آخرُها، وخير شطري الرجل آخرُهُ، المرأة إذا كبرت عقمت رحمُها وحدَّ لسانُها، وساء خُلُقُها، وإنَّ الرجل إذا كبرت سنُّه استحكم رأيه وكثُر حلمُه وقلَّ جهله.

*** *** ***

مالك ذنب غيره

طلق بعضهم امرأته فقالت له: بعد صُحبة خمسين سنة! فقال: ما لك عندي ذنبٌ غيرهُ.

*** *** ***

واحدة بواحدة

رأى خالد بن صفوان الفرزدق فقال: يا أبا فراس، ما أنت بالذي لما رأينه أكبرنه وقطّعن أيديهنّ؟ فقال له: ولا أنت بالذي قالت فيه الفتاة لأبيها: يا أبت استأجره إنَّ خير من استأجرت القوي الأمين.

*** *** ***

السوء كله فيه

أخذ رجلٌ من لحية آخر شيئاً، فلم يدعُ له فغضب، فقال: لا تغضب فما منعني أن أقول صرَف الله عنك السوء إلا الخوف من أن يصرف عنك وجهك، فإن السُّوء كله فيه..

*** *** ***

لوليت منهم فراراً

قيل لرجل: كيف رأيت فلاناً؟ فقال: لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رُعباً.

*** *** ***

كأنما خلق من أحراح

قال رجل للفرزدق: ما أقبحَ وجهك كأنما خُلق من أحراح! فقال: انظر هل ترى حِرَ أمِّك!

وضرب لنا مثلاً

قال بعضهم لأبي العيناء: يا قرد! فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.

*** *** ***

أشيعك

كان عند رجل من قريش امرأةٌ يحبها، فسافر عنها، فقالت له: أُشيعُكَ فشيعته ثلاث مراحل، فلما مضى قالت لخادمها: ناولني بعرةً وروثةً وحصاةً، فناولها، فألقت الروثة وقالت: راث خبرُك، وألقت البعرة وقالت: وعر سفرُك، وألقت الحصاة وقالت: حُصَّ أثرُك، فسمعها رجل على الماء فلحقه، فقال له: ما هذه منك؟ قال: امرأتي وأعزُ الناس إليَّ، فأخبره بالخبر، فقام على الماء، فلمَّا أمسى أقبل نحو منزله فوجد معها رجلاً، فقتلهما جميعاً..

*** *** ***

نكرهُ ما تكرهُ منّا!

قال العتبي: رأيتُ امرأة فأعجبتني صورتها، فقلتُ: ألك بعلٌ؟ قالت: لا. قلتُ: أفترغبين في التزويج؟ قالت :نعم، ولكن لي خصلةٌ أظنّك لا ترضاها. قلتُ: وما هي؟ قالت: بياضٌ برأسي. قال: فثنيتُ عنان فرسي وسرتُ قليلاً. ونادتني، أقسمتُ عليك لتقفنّ. ثمّ أتت إلى موضعٍ خالٍ، فكشفت عن شعر كأنّه العناقيد السوداء، فقالت: والله، ما بلغتُ العشرين، ولكني عرّفتك أنا نكرهُ ما تكرهُ منّا. قال: فخجلتُ وسرتُ وأنا أقول:

فجعلت أطلبُ وصلها بتملُّقٍ   والشيبُ يغمزُها بان لا تفعلي

*** *** ***

اغتسلوا

روي عن ضمرة عن شوذب قال: كان لرجل جارية فوطئها سراً، ثم قال لأهله: إن مريم كانت تغتسل في هذه الليلة، فاغتسلوا، فاغتسل هو واغتسل أهله.

*** *** ***

لم تنفع الرقية

قال الجاحظ: كان رجل يرقي الضرس يسخر بالناس ليأخذ منهم شيئاً، وكان يقول للذي يرقيه: إياك أن يخطر على قلبك الليلة ذكر القرد، فيبيت وجعاً فيبكر إليه، فيقول لعلك ذكرت القرد. فيقول: نعم. فيقول: من ثم لم تنفع الرقية.

*** *** ***

أرتج عليه

كان عبد ربّه اليشكري عاملاً لعيسى بن موسى على المدائن، فصعد المنبر فحمد الله وأرتج عليه فسكت. ثم قال: والله إني لأكون في بيتي فتجيء على لساني ألف كلمة، فإذا قمت على أعوادكم هذه جاء الشيطان فمحاها من

صدري، ولقد كنت وما في الأيام يوم أحبّ إليّ من يوم الجمعة، فصرت وما في الأيام يوم أبغض إليّ من يوم الجمعة، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه.

*** *** ***

سبحان الذي سخر لنا هذا

كان الأعمش قاعداً في ناحية، وجلس جماعة في ناحية أخرى، وفي الموضع مستنقع من ماء المطر؛ فجاء رجل يرتدي ثياباً سوداً، فلمّا بصر بالأعمش، وعليه فروة حقيرة، قال: قُم عبِّرني الماء. وجذبه بيده، فأقامه وركبه، وقال: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** (١٣) ﴾ [الزخرف: ١٣] فمضى به الأعمش حتى توسّط المستنقع، ثم رمى به، وقال: ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ** (٢٩) ﴾ [المؤمنون: ٢٩]. ثم خرج، وتركه يتخبّط في الماء.

*** *** ***

الطبيب أعلم منك

قيل: إنّ امرأةً عجوزاً مرضت، فأتاها ابنها بطبيب، فرآها الطبيب متزيّنةً بأثواب مصبوغةٍ، فعرف ما بها، فقال الطبيبُ: ما أحوجها إلى زوج! فقال الابن: وما حاجةُ العجائز للأزواج! فقالت الأم العجوز: ويحك! الطبيبُ أعلمُ منك على كلّ حال.

الأصمعي وخليلُهُ

استقرض من الأصمعي خليلٌ له، فقال: نعم وكرامة، ولكن سكِّن قلبي برهنٍ يساوي ضعف ما تطلبه. فقال: يا أبا سعيد، أما تثقُ بي؟ قال: بلى، وهذا خليل الله إبراهيم قد كان واثقاً بربه، وقال ﴿ ليطمئن قلبي ﴾.

*** *** ***

الأعمى والسِّراج

قال بعضهم: خرجتُ ليلةً من قرية لبعض شأني، فإذا أنا بأعمى، على عاتقه جرّته، وبيده سراجٌ، فلم يزل يسير حتى انتهى إلى النهر، وملأ جرّته وعاد. فقلت له: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء، فما تصنُع بالسِّراج؟ قال: يا كثير الفضول، حملتُه لأعمى القلب مثلك، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة، فيقع عليّ، وأقعُ، وتنكسر جرّتي!

*** *** ***

هل وفيت

ذكر أبو هلال العسكري أن رجلاً كانت له صديقة لها زوج غائب، وكان يأتيها على طمأنينة، فقدم زوجها، فدخل فرأى الرجل نائماً، فظنه المرأة؛ فأخذ برجليه، فوثب الرجل إلى السيف، وكان في جيرانه معاوية بن ستار، فنادى يا معاوية! هل وفيت؟ فتوهم الزوج أنه جعل له جعلاً على ما فعل، وعلم معاوية أنه مكروب، فقال: نعم وتعليت، فخلاه الزوج.

بين الرجل وزوجته

تحدّث ابن الجوزي عن رجل اسمه يزيد كان قبيح الصورة. فلمّا حملت امرأته قالت له: الويلُ لك إن كان ولدي يُشبهكَ. فأجابها: بل الويل لك أنت إن جاء يُشبهُ أحداً غيري!

*** *** ***

إصابة العين

كانت امرأة شهيرة بإصابة العين لا تنظر إلى شيء باستحسان إلاّ عانته، فدخلت على أشعب وهو في الموت، فقال لها: إن استحسنت منّي شيئاً فصلّي على النبي. فقالت: أي شيء أنت مما يُستحسن؟ أنتَ في آخر رمق. قال: قد علمتُ ولكنّي قلتُ لئلاّ تكوني قد استحسنت خفّة الموت عليّ وسهولة النَّزع، فيشتدّ ما أنا فيه. فخرجت المرأة من عنده وهي تسبّه. وضحك من حولُه من كلامه، ومات.

*** *** ***

صورة الشيطان

قال الجاحظ: أتتني امرأة وأنا على باب داري، فقالت: لي إليك حاجة وأريد أن تمشي معي، فقمتُ معها إلى أن أتت بي إلى صائغ وقالت له: مثل هذا! وانصرفت، فسألتُ الصائغ عن قولها، فقال: إنها أتت إليَّ تسألني أن أنقش

لها على خاتم صورة شيطان، فقلت لها: ما رأيتُ الشيطان لأنقش صورته! فاتت بك وقالت ما سمعت!

*** *** ***

يعملون منها البرق

كان جحا ماراً ذات يوم بالقرب من أحد الأودية، فاعترضه راع وسأله: هل أنت فقيه يا سيّدي؟ قال جحا: نعم.

فقال الراعي: انظر إلى هذا الوادي، وإلى هؤلاء المطروحين فيه فإنني قتلتهم جميعاً لتظاهرهم بالعلم، وعجزهم عن جواب لسؤال واحد سألتهم إيّاه.

فسأله جحا: وما هو السؤال؟

قال: إنّ القمر حين يكون هلالاً نراه صغيراً، ثم يكبر حتى يصبح بدراً، ثم يعود فيصغر إلى أن يغيب ويطلع غيره. فماذا يصنعون بالقمر القديم؟

فتنحنح جحا وقال: يا لهؤلاء الجهلة، ألم يكن فيهم من يعرف أنّ الأقمار القديمة تخبّأ للشتاء، ثم يدقّونها ويصيرونها رفيعة ويعملون منها البرق؟

عند ذلك انحنى الراعي على يد جحا يقبّلها وهو يقول: أحسنت والله، هذا هو ما خطر ببالي. وأهدى جحا خروفاً.

*** *** ***

الذئب الذي لم يأكل يوسف

قال أبو دحية القاص: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف هملاج. فقالوا له: إنّ يوسف لم يأكله الذئب! قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف.

*** *** ***

يسرّني أن تكون أمّي!

قرأ الفرزدق قصيدة له على الكُميت بن زيد حين كان الأخير صبيّاً، فرآه الفرزدق قد أُعجب بها. فسأله الفرزدق: هل أعجبتك يا بنيّ؟

الكُميت: نعم يا عمّاه.

الفرزدق: هل يسرّك أن أكون أباك؟

الكُميت: أمّا أبي فلا أُريد به بدلاً، ولكن يسرّني أن تكون أمّي!

وكان الفرزدق يقول: ما مرّ به مثلها!

*** *** ***

ضعف الإسناد

اجتمع محدّث ونصراني في سفينة، فصبَّ النصرانيّ من ركوة كانت معه في شربة وشرب، وصبَّ وعرض على المحدّث، فتناولها من غير فكر ولا مبالاة. فقال النصراني: جعلت فداك هذا خمر! فقال: من أين علمت أنّها

خمر؟ قال: اشتراها غلامي من خمار يهوديّ، وحلف أنّها خمر عتيق. فشربها بالعجلة وقال للنصراني: أنت أحمق، نحن أصحاب الحديث نروي عن الصحابة والتابعين، أفنصدّق نصرانياً عن غلامه عن يهودي؟ والله ما شربتها إلاّ لضعف الإسناد.

*** *** ***

ألم أخبرك أنهم بقر

كان العتابي يأكل خبزاً على الطريق بباب الشام، فقال له أحد أصحابه: ويحك! أما تستحي؟ فقال: أرأيت لو كنّا في دار فيها بقر، كنت تستحي وتحتشم أن تأكل وهي تراك؟! فقال: لا. قال: فاصبر حتى أعلمك أنّهم بقر. فقام ووعظ وقصّ ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبة أنفه، لم يدخل النار، فما بقي واحد إلا وأخرج لسانه يومئ به نحو أرنبة أنفه ويقدّره حتى يبلغها أم لا. فلما تفرّقوا قال له العتابي: ألم أخبرك أنّهم بقر!

*** *** ***

يسبِّح لله

استأجر رجل داراً من أحد العلماء، وكان خشب السقف يطقطق كثيراً، فلمّا جاء ربّ الدار يطالبه بالأجرة، قال له: أصلح هذا السقف فإنّه يطقطق، قال: لا بأس عليك فإنّه يسبح الله. قال: أخشى أن يدركه الخشوع فيسجد.

نعوذ بالله!

كان الشيخ نصر الدين المعروف عند العامّة بجُحا رجلاً فاضلاً فيه دُعابة وفيه عقل، وكان يحلو له دائماً أن يخلط بين المزاح والجدّ، ويصارح محدّثه برأيه فيه في فكاهة مُستملحة. وذات يوم التقى بالطاغية تيمورلنك فقال له: يا نصر الدين، إنّي شديد الإعجاب بأسماء الخلفاء السابقين التي تختتم باسم «الله»، كالواثق بالله، والمظفّر بالله، والمستنصر بالله.. وأريد أن تختار لي اسماً من هذا النوع. فالتلفت إليه جُحا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة وقال: «أختار لك... نعوذ بالله». فضحك الطاغية ولم يستطع الكلام..!

*** *** ***

آكُلُ مال الله!

قال الأصمعي: ولّى أحد الأمراء أعرابياً على عمل من أعمال الرعيّة، فأصاب عليه خيانة، فعزله واستدعاه. فلمّا قدم عليه، قال له: يا عدو الله أكلتَ مال الله! فقال الأعرابي: ومال من آكل إذا لم آكُلُ مال الله؟! إنّي والله راودت إبليس ألف مرّة أن يعطيني فلساً واحداً فما فعل.

*** *** ***

بين مسجدين

قال رجل لغلامه: التمس لي داراً لا تكون بجوار مسجد فإني أحب الأفراح.

فاكترى له داراً بين مسجدين، فقال له: ما هذا؟

قال: يا مولاي، لا تدري المعنى؛ أهل هذا المسجد يظنونك في هذا، وأهل ذا يظنونك في ذا، وأنت قد ظفرت بما تحب.

*** *** ***

بين البكر والثيِّب

عرض على رجل جاريتان بكر وثيِّب، فمال إلى البكر فقالت الثَّيب: لِمَ رغبتَ فيها، وما بيني وبينها إلاّ يوم، فقالت البكر: وإنَّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون، فأعجبتاه فاشتراهما.

*** *** ***

أيُّ رجل أنت؟

قيل: إنَّ امرأةً قالت لبشّار: أيّ رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس! فقال بشّار: أما علمت أنّ بيض البُزاة أثمن من سود الغربان؟ فقالت له: أمّا قولك فحسنٌ في السمع، ومن لك بأن يحسُن شيبك في العين كما حسُن قولك في السمع! فكان بشّار يقول: ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة.

*** *** ***

حنطة أو شعير

كان لمزبد غلام، وكان إذا بعثه في حاجة جعل بينه وبينه علامة، أن يكون

إذا رجع سأله فقال: حنطة أو شعير، فإن عاد بالنجح قال: حنطة، وإن لم يقض الحاجة، قال: شعير. فبعثه يوماً في حاجة، فلما عاد سأله: قال: حنطة أم شعير؟ قال: عدساً. قال: ويلك؟ وكيف ذلك؟ قال: لأنهم لم يقضوا الحاجة، وضربوني وشتموك.

*** *** ***

هذه حيلة

تنبّأ رجل بحضرة المأمون، فطالبوه بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب!

قالوا: رضينا.

فأخرج حصاة معه وطرحها في الماء فذابت.

فقالوا: هذه حيلة، ولكن نعطيك حصاةً من عندنا ودعها تذوب!

قال: لستم أجلّ من فرعون، ولا أنا أكرم من موسى، إنّ فرعون لم يقل لموسى: لم أرض بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعلها ثعبانا. فضحكوا منه.

*** *** ***

غلامٌ يغلبُ ابن شعبة!

قال المغيرة بن شُعبة: ما غلبني أحدٌ قطّ إلاّ غلام من بني الحارث بن كعب،

وذلك أني خطبتُ امرأة من بني الحارث، وعنـدي شابٌ منهم، فاصغى إليّ ، فقال: أيها الأميرُ، لا خير لك فيها. قلت: يا بن أخي، وما لها؟ قال: رأيتُ رجلاً يقبّلها ، قال: فبرئتُ منها. فبلغني أن الفتى تزوّجها ، فأرسلتُ إليه فقلت: ألم تخبرني أنك رأيتَ رجلاً يقبلها؟ قال: نعم، رأيتُ أباها يقبلها!

*** *** ***

حكموا لأنفسهم بما أرادوا

قالت امرأة مزبد لجارة لها: يا أختي، كيف صار الرجل يتزوج بأربعة، ويملك من الإماء ما يشاء، والمرأة لا تتزوج إلاّ واحداً! ولا تستبد بمملوك.

قالت لها: يا حبيبتي، قوم الأنبياء منهم، والخلفاء منهم، والقضاة منهم، والشرط منهم، فحكموا فينا كما شاؤوا، وحكموا لأنفسهم بما أرادوا.

*** *** ***

حُسن الجواب

حُكي أنَّ هارون الرشيد لما حضر بين يديه بعضُ أهل المغرب، قال له: يقال إن الدنيا بمثابة طائر ذنبُهُ المغربُ، فقال الرجلُ: صدقوا يا أمير المؤمنين وإنه طاووس، فضحك الرشيدُ، وتعجَّب من سرعة جواب الرَّجُل وانتصاره لقطره.

*** *** ***

حسن المنطق

أعتق عمر بن عتبة غلاماً له كبيراً، فقام إليه عبدٌ صغيرٌ، فقال: اذكرني يا مولاي ذكرك الله بخير، فقال: إنك لم تحترف، فقال: إنَّ النخلة قد تُجتنى زهواً[(١)]، قبل أن تصير معواً[(٢)]. فقال: قاتلك الله لقد استحققت وأحسنت، وقد وهبتك لواهبك. كنت أمس لي واليوم مني.

*** *** ***

اللجامُ لي!

قال أبو عبيدة (معمر بن المثنى): أُجريت الخيلُ فطلعَ منها فرسٌ سابقٌ، فجعل رجلٌ من النظَّارة يكبّر ويثبُ من الفرح، فقال له رجلٌ إلى جانبه: يا فتى، هذا الفرس فرسُكَ؟ قال: لا، ولكنَّ اللجام لي.

*** *** ***

علامة فيمن شكر

سأل أبو العيناء الجاحظ كتاباً إلى محمد بن عبد الملك الزيات في شفاعة لصاحب له؛ فكتب الكتاب، وناوله الرجل، فعاد به إلى أبي العيناء، وقال: قد أسعف.

قال: فهل قرأته؟

---

(١) الزهو: البلح المتلوِّن.

(٢) المعو: البلح اليابس.

قال: لا؛ لأنه مختوم.

قال: ويحك، فض طينة أولى من حمل ظنَّة، لا يكون صحيفة المتلمس.

ففضّ الكتاب فإذا فيه: موصل كتابي سألني فيه أبو العيناء، وقد عرفت سفههُ وبذاءة لسانه، وما أراه لمعروفك أهلاً، فإن أحسنت إليه فلا تحسبه عليّ يداً، وإن لم تُحسن لم أعده عليك ذنباً والسلام.

فركب أبو العيناء إلى الجاحظ، وقال له: قد قرأت الكتاب يا أبا عثمان، فخجل الجاحظ. وقال: يا أبا العيناء، هذه علامتي فيمن أعتني به.

فقال أبو العيناء: فإذا بلغك أن صاحبي شتمك فاعلم أنه علامة فيمن شكر معروفه.

*** *** ***

يزيد وبدويّة

كان يزيدُ بنُ المهلَّب عند خروجه من سجن عُمر بن عبدالعزيز يُسافرُ في البرِّية مع ابنه مُعاوية، فمرَّ بامرأة بدويَّة، فذبحت لهما عنزة، فلما أكلا قال يزيد لابنه: ما يكون معك من النفقة، قال: مائة دينار، قال: أعطها إيَّاها. فقال ابنه: هذه فقيرةٌ يرضيها القليل وهي ما تعرفك. قال يزيد: إن كان يُرضيها القيلُ فانا لا يُرضيني إلا الكثيرُ، وإن كانت لا تعرفني، فانا أعرفُ نفسي.

*** *** ***

العفو أفضل من الحقّ

وقعت دماءٌ بين حيين من قُريش، فأقبل أبو سفيان، فما بقي أحدٌ واضعٌ رأسه إلا رفعه. فقال: يا معشر قريش هل لكم في الحق، أو في ما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وهل شيءٌ أفضلُ من الحق؟ قال: نعم، العفو، فتبادر القوم فاصطلحوا.

*** *** ***

الرشيد وحميد الطوسي

غضب الرشيدُ على حُميد الطُوسيِّ، فدعا لهُ بالنِّطع والسَّيف فبكى، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أفزع من الموت، لأنَّه لابُدَّ منه، وإنما بكيت أسفاً على خروجي من الدنيا، وأمير المؤمنين ساخطٌ عليَّ، فضحك وعفا عنهُ.

*** *** ***

ظننته من كتاب الله

خطب عتبة بن النَّهّاس العجلي فقال:

ما أحسن شيء قاله الله جل وعزّ في كتابه:

ليس حيٌّ على المنون بباق غيرُ وجه المُسبَّح الخلاق

فقام إليه هشام بن الكلبي فقال:

الله عزّ وجل لم يقل هذا، وإنما قاله عديّ بن زيد!

فقال:

قاتله الله! ما ظننتُه إلا من كتاب الله. ولنعم ما قال عديّ!

ثم نزل عن المنبر.

*** *** ***

جهلكم بكتاب الله

أُتي عتبة بامرأة من الخوارج، فقال لها:

يا عدوّة الله! ما خروجك على أمير المؤمنين؟ ألم تسمعي إلى قول الله عزّ وجلّ:

كُتبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغانيات جرُّ الذيولِ؟

فقالت:

حملني على الخروج جهلُكم بكتاب الله!

*** *** ***

جوار أبي دلف

يروى أن رجلاً كان جاراً لأبي دُلف ببغداد فأدركتهُ حاجةٌ، وركبه دينٌ فادحٌ حتى احتاج إلى بيع داره، فساوموهُ فيها فسمّى لهم ألف دينار. فقالوا له: إنَّ

دارك تساوي خمسمائة دينار، فقال: أبيعُ داري بخمسمائة وجوار أبي دُلف بخمسمائة. فبلغ أبا دُلف الخبرُ، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا.

*** *** ***

أبو العلاء المعرّيّ والغلام

حُكي أن غلاماً لقي أبا العلاء المعري فقال: من أنت يا شيخُ. قال: فُلانٌ. قال: أنتَ القائل في شعركَ:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانهُ لآتٍ بما لم تستطعهُ الأوائلُ

قال: نعم. قال: يا عمَّاه، إنَّ الأوائل قد رتَّبوا ثمانيةً وعشرين حرفاً للهجاء، فهل لك أن تزيد عليها حرفاً. فدهش المعريُّ من ذلك، وقال: إن هذا الغلام لا يعيشُ لشدَّة حذقه وتوقُّد فؤادهِ.

*** *** ***

يمين مزيد

باع مزبد المديني دابةً، فلما كان من الغد أتاه تجار الدواب طمعاً، فلما نظر إليهم قد أقبلوا نحوه قام يصلي، فأطال الصلاة، فقالوا له وهم لا يعرفونه: يا عبدالله قد ذهب يومنا -وأطمعهم طول قيامه- فانفتل عن صلاته، وقال: ما بالكم قد قطعتم عليَّ صلاتي!؟

فقالوا: قد ظهر بالدابة عيب.

قال: ما عيبه؟

قالوا: يخلع الرسن!

قال: لا أعرفه بهذه الصفة؛ فماذا تريدون؟

قالوا: خصلة من ثلاث: إما حط الثمن، وإما رده وأخذ الدابة، وإما اليمين أنك ما تعرف هذا فيه.

فقال: أما الثمن فقد فرقناه، وأما الحطيطة فما تمكننا، وأما اليمين، فإني ما حلفت قطُّ على حق ولا على باطل؛ فاعفوني منها، فإنها أصعب الخطط عندي.

قالوا: ما من ذلك بد؛ فانطلق بنا إلى الوالي.

فقام معهم، فلما بصر به الوالي ضحك، وقال: ما جاء بك يا أبا إسحاق؟

فقص عليه القصة.

فقال: قد أنصفك القوم.

فقال: أعز الله الأمير، أحلف وأنا في هذه السن، وضرب يده على لحيته وبكى! وقال: ما حلفت على حق ولا على باطل، وتثاقل ولم يفعل.

قال: لابد!

وتثاقل ساعة، ثم قال: أصلح الله الأمير؛ فإن حملتُ نفسي على اليمين

وحلفت وكلفتموني فوق طاقتي.

قال الوالي: أُوجعهُم ضرباً وأحبسهم!

فلما سمع ذلك استقبل القبلة، وأقسم بأغلظ الأيمان، وقال: لقد كان عندي دواب كلها تخلع أرسانها، فكان الحمار يقوم فيعيدها عليها، ويصلحها بفمه قليلاً قليلاً.

فضحك الوالي حتى فحص الأرض برجليه، وبُهت تجار الدواب وعجبوا منه، وانصرفوا عنه.

*** *** ***

أنصفكَ الرجل!

حدَّث بعض الكوفيين قال: بينما أنا جالس في منزلي إذ جاءني صديقٌ لي، فقال إنّه ظهر بالكوفة رجل يدَّعي النبوَّة، فقُم بنا إليه نكلّمه، ونعرف ما عنده. فقمت معه إلى أن دخلنا عليه، فإذا شيخٌ خُراساني أخبث من رأيتُ على وجه الأرض، فقال صاحبي -وكان أعور-: دعني حتّى أُسائله! قلت: افعل. فقال له: جُعلتُ فداك، من أنت؟ قال: نبيّ! قلت: وما دليلكَ؟ قال: أنت أعورُ من عينك اليُمنى، فاقلع عينك اليسرى حتى تصير أعمى، وادعُني فيُردُّ عليك بصرُكَ! فقلت لصاحبي: أنصفك الرجل، فاقلع عينك! قال: اقلع أنت عينيك جميعاً! وخرجنا من عنده.

*** *** ***

نبيٌّ مقيّد

ادّعى رجلٌ النبوة في البصرة، فأُتي به إلى سليمان بن عليّ مقيداً، فقال له: أنتَ نبيّ مُرسل؟ قال: أما الساعة، فإني نبيٌّ مقيد! قال: ويلك من بعثك؟ قال: ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله لو لا أني مقيدٌ لأمرتُ جبريل يُدمدمُها عليكم، قال: والمقيَّد لا تجاب دعوته؟ قال: نعم الأنبياء خاصة إذا قُيِّدوا لا يرتفع دعاؤهم. فضحك سليمان وقال: إني أُطلقُك الآن، فأمر جبريل، فإن أطاعك آمنا بك وصدّقناك. قال: صدق الله حيث يقول: «فلا يؤمنوا حتَّى يروا العذاب الأليم». فضحك سليمان، وسأل عنه، فشهد له أن محرورٌ، فخلَّى سبيله.

*** *** ***

أنا أوّل من آمن بك!

تنبّأ رجلٌ في أيّام المأمون وادّعى أنَّه إبراهيم الخليل، فقال له المأمون: إنّ إبراهيم كانت له معجزات وبراهين. قال: وما براهينه؟ قال: أُضرمت له نار وأُلقي فيها فصارت برداً وسلاماً، ونحن نُوقد لك ناراً ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنَّا بك. قال: أريد واحدة أخفّ من هذه. قال: فبراهين موسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: ألقى عصاه فإذا هي حيةٌ تسعى، وضرب بها البحر فانفلق، وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء. قال: وهذه أصعب من الأولى. قال: فبراهين عيسى؟ قال: وما براهينه؟ قال: إحياء الموتى. قال:

مكانكَ، قد وصلت. أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة. فقال القاضي يحيى (وكان حاضراً هناك) أنا أوّل من آمن بك وصدَّق!

*** *** ***

العنز الحسناء

ادّعى رجلٌ النبوّة في مدينة أصبهان في زمن أبي الحسين بن سعد فأُتي به، وأُحضر العلماءُ والعظماء والكبراء كلهم. وقيل له:

من أنت؟

فقال: أنا نبيّ مُرسل.

فقيل له:

ويلك! إن لكل نبيّ آية. فما آيتك وحجّتك؟

فقال:

معي من الحجج ما لم يكن لأحد قبلي من الأنبياء والرسل!

فقيل له: أظهرها.

فقال:

من كان منكم له زوجة حسناء، أو بنت جميلة، أو أخت صبيحة، فيحضرها إليّ أُحبلها بابن في ساعة واحدة.

فقال أبو الحسين بن سعد :

أما أنا فأشهد أنك رسول، واعفني من ذلك.

وقال له رجل:

نساءٌ ما عندنا، ولكن عندي عنز حسناء، فأحبلها لي.

فقام الرجل يمضي، فقيل له : إلى أين؟

قال:

أمضي إلى جبرائيل وأعرفه أن هؤلاء يريدون تيساً ولا حاجة بهم إلى نبي!

*** *** ***

الدينار يلد

قال أشعب:

جاءتني جارية بدينار وقالت: هذا وديعة عندك. فجعلتُه بين ثني الفراش، فجاءت بعد أيام وقالت:

بأبي أنت! الدينار.

فقلت:

ارفعي فراشي وخذي ولده فإنه قد ولد.

وكنتُ قد تركت إلى جنبه درهماً، فأخذت الدِّرهم وتركت الدينار، وعادت بعد أيام فوجدت معه درهماً آخر فأخذته، وفي الثالثة كذلك، وجاءت في الرابعة، فلما رأيتُها بكيتُ، فقالت: ما يُبكيك؟

قلت:

مات دينارُك في النّفاس.

فقالت:

وكيف يكون للدينار نفاس؟

قلت:

يا فاسقة! تُصدقين بالولادة ولا تصدّقين بالنّفاس؟!

*** *** ***

حُسنُ المرأة

قال بعض حكماء أهل الأدب، كمال حُسن المرأة أن تكون أربعة أشياء منها شديدة البياض، وأربعة شديد السواد، وأربعة شديدة الحُمرة، وأربعة أشياء مدوَّرة، وأربعة واسعة، وأربعة ضيّقة، وأربعة رقيقة، وأربعة عظيمة، وأربعة صغاراً، وأربعة طيّبة الريح.

فأمَّا الأربعة الشديدة البياض: فبياض اللون، وبياض العين، وبياض الأسنان، وبياض الظُّفر.

وأمــا الأربعــة الشــديدة الســواد: فشــعر الرأس، والحاجبـين، والـحَدَقـة، والأهداب.

وأمَّا الشديدة الحمرة: فاللسان، والشفتان، والوجنتان، واللثّة.

وأمَّا المدوَّرة: فالرأس، والعين، والساعد، والعُرقوبان.

وأما الواسعة: فالجبهة، والعين، والصدر، والوركان.

وأمَّا الضيّقة: فالمنخران، والأذنان، والسرّة، والفرج.

وأما الرقاق: فالحاجب، والأنف، والشفتان، والخصر.

وأمَّا العظيمة: فالهامة، والمنكبان، والأضلاع، والعَجُز.

وأمَّا الصغار: فالأذنان، والفم، واليدان، والرِّجلان.

وأمَّا الطيبة الريح: فالأنف، والفم، والإبط، والفرج.

*** *** ***

من كانت عنده حجة فليأت بها

ادعت امرأة النبوة على عهد المأمون، فأحضرت إليه، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا فاطمة النبية، فقال لها المأمون: أتؤمنين بما جاء به محمد ﷺ؟ قالت: نعم، كل ما جاء به فهو حق. فقال لها المأمون: قال محمد ﷺ: لا نبي بعدي. قالت: صدق عليه الصلاة والسلام، فهل قال: لا نبية بعدي؟ فقال

المأمون لمن حضره: أما أنا فقد انقطعت، فمن كانت عنده حجة فليأت بها. وضحك حتى غطى على وجهه!

*** *** ***

إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم

ادعى رجل النبوة في أيام المعتصم، فأحضر بين يديه فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: إلى من بعثت؟ قال: إليك، قال: أشهد أنك لسفيه أحمق، قال: إنما يبعث إلى كل قوم مثلهم!

*** *** ***

إني نبي كريم

ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد، فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي يقال عنك؟ قال: إني نبي كريم؟ قال: فأي شيء يدل على صدق دعواك؟ قال: سل عما شئت، قال: أريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة، بلحىً! فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه وقال: كيف يحل أن أجعل هؤلاء المرد بلحىً، وأغيّر هذه الصورة الحسنة؟ وإنما أجعل أصحاب هذه اللحى مرداً في لحظة واحدة! فضحك منه الرشيد، وعفا عنه وأمر له بصلة.

*** *** ***

أعلمُ ما في نفسك!

أُتي المأمونُ برجل ادّعى النبوّة. فقال له: ألكَ علامة! قال: علامتي أنّي أعلمُ

ما في نفسك. قال: وما في نفسي؟ قال: في نفسك أني كاذب. قال: صدقت، ثمّ أمر به إلى السجن. فأقام فيه أيّاماً، ثمّ أخرجه. فقال له: هل أُوحي إليك بشيء. قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: لأنّ الملائكة لا تدخل الحبوس، فضحك منه وخلّى سبيله.

*** *** ***

زوجني أمتك

قال مولى لخالد بن صفوان: زوجني أمتك فلانة، قال: قد زوجتها. قال: أفأدخلهم الحي حتى يحضروا الخطبة؟ قال أدخلهم، فابتدأ خالد يقول: أما بعد، فإن الله أعز وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين، وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة!

*** *** ***

إيتوني بامرأة

ادعى النبوة رجل أيام المتوكل، فلما حضر بين يديه قال له: أنت نبي؟ قال: نعم. قال: فما الدليل على صحة نبوتك؟ قال: القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى: إذا جاء نصر الله والفتح. وأنا اسمي نصر الله، قال: فما معجزتك؟ قال: إيتوني بامرأة عاقر أنكحها تحبل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي، فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى:

أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته! فقال الوزير: أما أنا فأشهد أنه نبي الله.. وإنما يعطي زوجته من لا يؤمن به! فضحك المتوكل وعفا عنه.

*** *** ***

كل نبي يبعث إلى شكله

تنبأ رجل في زمن المنصور فقال له: أنت نبي سـفلة! فقال: جعلت فداك، كل نبي يبعث إلى شكله!

*** *** ***

لم أقل إني حداد

حُكي أنه تنبأ رجل في خلافة المأمون فقال له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، قال: فما معجزتك؟ قال: سل ما شئت، وكان بين يديه قفل فقال: خذ هذا القفل فافتحه، فقال له: أصلحك الله: لم أقل إني حداد... قلت إني نبي!

*** *** ***

سرعة جواب

كان للخليل بن أحمد صديق يكنى أبا المعلّى مولى لبني يشكر، وكان أصلع شديد الصلع، فبينا هو والخليل جالسان عند قصر أوس إذ مرّت بهما امرأة يقال لها أم عثمان من ولد المعارك بن عثمان ومعها بنات لها. فقال أبو

المعلّى للخليل: يا أبا عبدالرحمن، ألا تكلم هذه المرأة؟

قال: ويحك! لا تفعل، فإنهن أعدّ شي جواباً، والقول إلى مثلك يُسرع؛ فجلسن يتروحن، فقال لأمهن: يا أمة الله، ألك زوج؟

قالت: لا والله، ولا لواحدة منا.

قال: فهل لكنّ في أزواج؟

قالت: وددنا والله.

قال: فأنا أتزوجك، ويتزوج هذا إحدى بناتك..

فقالت له: أما أنت فقد ابتلاك الله ببلاءين: أما أحدهما: فإنه قد قرع رأسك بمسحاة وجعل لك عقصة في قفاك بيضاء، فكأنما صارت في قفاك نخامة، فبلغ من حمقك أنك خضبتها بحمرة، فلو كنت إذا ابتليت خضبت بسواد فغطيت عوارك هذا الذي أبداه منك! ثم قالت: أظنك من رهط الأعشى؟!

فقال لها أبو المعلي: أنا مولى لبني يشكر.

قالت: أفتروي بيت الأعشى؟

وأنكرتني وما كان الذي نكرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فما بقي بعد هذا الأمر إلا الموت هُزالاً؛ ثم التفتت إلى الخليل فقالت: من أنت يا عبدالله؟

فقال: أنا الخليل بن أحمد ، كُفّي رحمك الله! فقد والله نَهَيْتُه عن كلامك، وحذرته هذا!

قالت: أما إنك قد نصحت له، أما علم هذا الأحمق أن النساء يخترن من الرجال،.. الرجل.. الرجل.

قال: فضحك الخليل، ثم قامت المرأة ومعها بناتها يتهادين، فتمثل أبو المعلى بقول عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

فتهادين وانصرفن ثقال الحقائب.

وقال الخليل لأبي المعلّى:

نصحتك يا محمد إن نصحي
رخيص يا رفيقي للصديق

فلم تقبل وكم من نصح ود
أضيع فحاد عن وضح الطريق

قال: ثم انصرفت المرأة وبقي الخليل وأبو المعلّى فتعجبن منها ومن ذرابة لسانها وسرعة جوابها.

*** *** ***

لم تضربني؟

رفع مزيد معه إلى المدينة زقاً فارغاً فأمر الأمير بضربه فقال له: لم تضربني؟

قال: لأن معك آلة الخمر. قال: وأنت أعزك الله، معك آلة الزنا!

*** *** ***

علية تقرأ

حُكي أن علية بنت المهدي، كانت تهوى غلاماً خادماً اسمه طلّ؛ فحلف الرشيد أن لا تكلمه، ولا تذكره في شعرها.

فاطلع الرشيد يوماً عليها وهي تقرأ في سورة البقرة، « فإن لم يصبها وابلٌ فالذي نهى عنه أمير المؤمنين».

*** *** ***

طاقة نرجس

قالت دلالة لرجل: عندي امرأة كأنها طاقة نرجس؛ فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبت علي وغششتيني.

فقال: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض، ووجهها أصفر وساقها أخضر.

*** *** ***

اشرب مسهلا

سرق لرجل حمار، فشكا أمره إلى طبيب، فقال اشرب مسهلاً؛ فشربه

فتحرك بطنه ، فدخل إلى خربة يتبرز ، فوجد حماره فيها ، فأخذه ودعا للطبيب .

★★★ ★★★ ★★★

طلّق بلا علّة

روى أبو بكر الصولي عن إسحاق قال : كنا عند المعتصم ، فعرضت عليه جارية . فقال : كيف ترونها؟ فقال واحد من الحاضرين:

امرأتي طالق إن كان الله عز وجل خلق مثلها !

وقال الآخر:

امرأتي طالق إن كنت رأيت مثلها!

وقال الثالث :

امرأتي طالق . وسكت .

فقال المعتصم : إن كان ماذا؟ فقال : إذا كان لا شيء . فضحك المعتصم حتى استلقى وقال :

ويحك ما حملك على هذا؟

قال : يا سيدي . . هذان الأحمقان طلقا لعلة . . وأنا طلقت بلا علة!

★★★ ★★★ ★★★

إنك لفي ضلالك القديم

دخل الغضبان الأسدي على قوم يشربون فاحتشموه ورفعوا نبيذهم وجعلوه

تحت السرير، ورقعت السنور فأرة فطفرت فكسرت الآنية وفاح ريح الشراب فقال الغضبان: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون، فقالوا له: تاالله إنك لفي ضلالك القديم، ثم أخرجوا ما عندهم.

*** *** ***

لو ركبت الأشهب

كان البراء بن قبيصة صاحب شراب فدخل على الوليد بن عبدالملك وبوجهه أثر فقال: ما هذا قال: ركبت فرساً أشقر فكبا بي، فقال: لو ركبت الأشهب لم يعثر بك، فعرض بأنه شرب الخمر ولو شرب اللبن لما سقط.

*** *** ***

ارتبت بك

قال بعض الظرفاء: أنشد ابن الرقاع عبدالملك قصيدة وذكر فيها الخمر فأجاد وصفها، فقال عبدالملك: لقد ارتبت بك في إجادة وصفك الشراب! فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

*** *** ***

تعزله وتنصبني مكانه

كان في بغداد في زمنٍ سلف رجلان يتحاسدان ويتنافسان على الجاه

والسلطان، وكان أحدهما في أحد المناصب وأمّا الثاني فكان خارجها. وكان وليّ الأمر يبغض الاثنين ويتمنّى زوالهما. فحضر الثاني يوماً لدى الوالي فقال: إنني أيها الأمير أعلم بأنك تبغضني، كما أنك تبغض منافسي فلان، فإن أردت دللتك على حيلة تنقذك من الاثنين. فقال الوالي: وما هي؟ قال تعزله وتنصّبني مكانه، فهو يموتُ غيظاً وأنا أموتُ فرحاً!

*** *** ***

نحن ننتقم لك

دخل ظريف على قوم يأكلون السمك، فجلس وقال: هذا والله عدوي، ولي عليه ثأر؛ فقد مات أبي غريقاً فأكله السمك.

قالوا: هوّن عليك نحن ننتقم لك.

فقال: لا بل الابن أحرى بأخذ الثأر.

*** *** ***

أخطأ في اللّفظ

قيل: ذهب بصر عمرو بن هذاب، فدخل عليه إبراهيم بن مجاشع، فقام بين يديه فقال: يا أبا سيّد لا تجزعنّ من ذهاب عينيك وإن كانتا كريمتين عليك، فإنك لو رأيت ثوابهما في ميزانك تمنيت أن يكون الله قد قطع يديك ورجليك ودقّ ظهرك وأدمى ظلفك، فصاح به القوم وضحك بعضهم. فقال

عمرو: معناه صحيح ونيَّته حسنة وإن كان قد أخطأ في اللفظ.

*** *** ***

رأيتك فذكرت ذنوبي

خرج أبو نواس من مرضه مصفر الوجه، فرآه عثمان بن حفص الثقفي -وكان أقبح الناس وجهاً- فقال: مالي أراك مصفراً يا أبا نواس؟ فقال له: رأيتك فذكرت ذنوبي. قال عثمان: ولماذا ذكرت ذنوبك عند رؤيتي؟ فقال أبو نواس: خفت أن يعاقبني الله فيمسخني قرداً مثلك!

*** *** ***

براعة لص

حدث تائب قال: دخلت مدينة، فجعلت أطلب شيئاً أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي موسر، فما زلت أحتال حتى سرقت كيساً له، وانسللت فما جزت غير بعيد إذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول: يا بني، فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بي، ووقف الناس ينظرون إلينا، وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه، فعجب الناس من ذلك وتشككت أنا في نفسي وقلت: لعلها أرضعتني، وأنا لا أعرفها. وقالت: معي إلى البيت أقم عندي اليوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها، وإذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه

والرياحين، فرحبوا بي وقربوني، وأجلسوني معهم، ورأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عيني عليها، فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي إلى أن ناموا ونام كل من في الدار، فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج، فوثب عليَّ الكلب وثبة الأسد وصاح، وجعل يتراجع ويفج إلى أن انتبه كل نائم، فخجلت واستحييت، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني فيه حيلة، فلما ناموا رمت الذي رمته، فإذا الكلب عارضني بمثل ما عارضني به، فجعلت احتال ثلاث ليال، فلما أيست طلبت الخلاص منهم بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي فإني على وفز فقالوا: الأمر إلى العجوز، فاستأذنتها، فقالت: هات الذي أخذته من الصيرفي وامض حيث شئت ولا تقم في هذه المدينة، فإنه لا يتهيأ لأحد فيها معي عمل، فأخذت الكيس وأخرجتني ووجدت مناي أن أسلم من يدها، وكان قصاراي أن أطلب منها نفقة، فدفعت إليَّ وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب معها حتى جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت، ثم تراجع ينظر إليَّ ويلتفت وأنا أنظر إليه حتى غاب عني.

*** *** ***

لعنوا الحجاج واستغفروا له

كان لرجل من المعتزلة جارٌ يرى رأي الخوارج، كثير الصلاة والصيام، حسن العبادة. فقال المعتزلي لرجلين من أصحابه:

مرًا بنا إلى هذا الرجل فنكلِّمه، لعل الله يهديه من الضلالة.

فأتوه وكلَّموه، فأصغى إلى كلامهم. فلما سكتوا لبس نعله، وقام ومعه القوم حتى وقف على باب المسجد، فرفع صوته بالقراءة، واجتمع إليه الناس. فقرأ ساعة حتى بكى الناس، ثم وعظ فأحسن، ثم ذكر الحجاج فقال:

أحرق المصاحف، وهدم الكعبة، وفعل وفعل، فالعنوه لعنه الله! فلعنه الناس ورفعوا أصواتهم.

ثم قال:

يا قوم، وما علينا من ذنوب الحجاج ومن أن يغفر الله له ولنا معه. فإنّا كلنا مذنبون. لقد كان الحجاج غيوراً على حُرَم المسلمين، تاركاً للغدر، ضابطاً للسبيل، عفيفاً عن المال، لم يتَّخذ صنيعة، ولم يكن له مال، فما علينا أن نترحَّم عليه، فإن الله رحيم يحب الراحمين!

ثم رفع يده، ودعا بالمغفرة للحجاج، ورفع القوم أيديهم، وارتفعت الأصوات بالاستغفار.

فلما فرغ الخارجي وانصرف، ضرب بيده إلى منكب المعتزلي وقال:

هل رأيت مثل هؤلاء القوم؟ لعنوه واستغفروا له في ساعة واحدة!. أتنهى عن دماء أمثال هؤلاء؟! والله لأجاهدنّهم مع كل من أعانني عليهم!..

*** *** ***

إليك اعتذاري

حدّث الأصمعي: بينما أنا في بعض أسفاري وكان البرد شديداً، فالتجأتُ إلى حيٍّ من أحياء العرب، وإذ بجماعة يصلّون وبقربهم شيخ ملتّف بكساء رقيق وهو يرتعد من البرد، فجلستُ بجانبه وقلتُ له: أنشدنا، فقال:

أيا ربّ إن البرد أصبح كالحاً ... وأنتَ بحالي يا إلهي أعلمُ

فإن كنتَ يوماً في جهنّم مُدخلي ... ففي مثل هذا اليوم طابت جهنّمُ

فعجبتُ من فصاحته وقلت له: يا شيخ، أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخٌ كبير، فأنشد:

أيطمعُ ربي أن أصلّي عارياً ... ويكسو غيري كسوة البرد والحر

إذا الله أعطاني قميصاً وجُبّة ... أُصلّي له حتى أُغَيَّب في القبر

وإن لم يكن إلاّ سواها عباءة ... مخرّقة ما لي عن البرد من صبر

فوالله، لا صليّتُ ما عشتُ عارياً ... عشاءً ولا وقت المغيب ولا الوتر

ولا الصبح إلاّ يوم شمس دفيئة ... وإن غيِّمت فالويل للظُّهر والعصر

ووالله، لا صليّتُ لله مغرباً ... ولا أختها الأخرى ولا مطلع الفجر

قال الأصمعي: فقلتُ يا أخا العرب، إن كساكَ الله تصلّي؟ قال: إي وربّ الكعبة. قال: فأعطيتهُ فضل كساء كان معي. فأخذه ولبسه ثمّ تيمّم والماء بين يديه. فقلتُ له: يا هذا، لا يجوز التيمّم والماء قريب منك. فقال: أنا أعلم منك بهذا.. ثمّ توجّه يصلي قاعداً، فقلت له: يا هذا، ولا يجوز لك أيضاً أن

تصلّي قاعداً وأنت تُطيق القيام، فقال: بلى، فإنّي لأجد الاعتذار لربّي، ثمّ كبّر وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وجعل يقول في صلاته:

إليكَ اعتذاري في صلاتي قاعداً على غير طُهر مُومياً نحو قبلتي

فمالي ببرد الماء يا ربّ طاقةٌ ورجلي لا تقوى على حمل رُكبتي

ولكنني أستغفرُ الله شاتياً وأقضيكها يا ربُ في وجه صيفتي

وإن أنا لم أفعل فأنت محكمٌ بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

*** *** ***

فهرس المواد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المراجع والمصادر

الإسكندري: نزهة القارئ

الإصفهاني: الأغاني

ابن عبد ربه: العقد الفريد

ابن عبد البر: بهجة المجالس

ابن سديرة: التحفة السنية في النوادر العربية

أبي الطبيب الوشاء: الظرف والظرفاء

ابن حبيب: عقلاء المجانين

ابن النديم: الفهرست

ابن حزم: طوق الحمامة

ابن قتيبة: عيون الأخبار

ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين

ابن الجوزي: أخبار الظراف

ابن الجوزي: أخبار الأذكياء

البرقوقي: دولة النساء

البغدادي: الأذكياء

الأبشيهي: المستطرف

ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء

ابن خلكان: وفيات الأعيان

ابن قيم الجوزية: أخبار النساء

ابن قيم الجوزية: روضة المحبين

ابن حجة : الثمرات

ابن الساعي : نساء الخلفاء

التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة

التنوخي : المسجاد

الثعالبي : لطائف اللطف

الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

الثعالبي : خاص الخاص

الثعالبي : ثمار القلوب

الجاحظ : الأغاني

الجاحظ : المحاسن والأضداد

الجاحظ : الحيوان

الجاحظ : البخلاء

الحوفي : الفكاهة في الأدب العربي

حسين أمين : ألف حكاية وحكاية

زيدان : نوادر العشاق

الدباغ : أدب المعدمين

الزهراني : أنيس المسافر

الزمخشري : ربيع الأبرار

السندوبي : أدب الجاحظ

السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

السراج : مصارع العشاق

شيخاني : كتاب الأنس

الشهابي : الغرر الحسان في أخبار الزمان

العطيري : أدبنا الضاحك

عيسى عبده : لطائف النساء

العاملي : المخلاة

العاملي : الكشكول

العابدي : أنيس الجليس

العمري : من كل واد حجر

قرة علي : الضاحكون

القرطبي : بهجة المجلس

القيرواني : جمع الجواهر في الملح والنوادر

المقري : المختار من نوادر الأخبار

النويري : نهاية الأرب

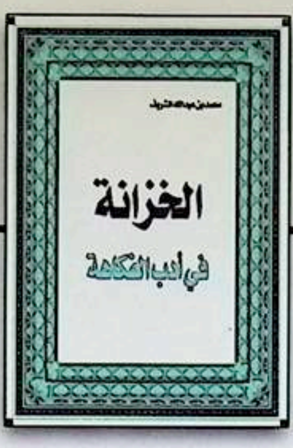
النيسابوري : آداب الصحبة وحسن العشرة

النشاشيبي : نقل الأديب

الوشاء : الموشى

اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان

ياقوت الحموي : معجم الأدباء



يعد هذا الكتاب بالفعل – كما يدل عنوانه – خزانة نفيسة لأدب الفكاهة والتسلية والمتعة، فهو يضم بين غلافيه خلاصة لأفضل ما دونه تاريخ العرب من المواقف والحكايات والنوادر والطرف، في قالب أدبي رفيع، يفيض بالتشويق، والمتعة، والفائدة، وهو كتاب لازم لكل من تتصف حياته بالجد والعمل الدائم، لإضفاء جو التسلية والمتعة والترويح، وللتذكير بما كان عليه العرب من حب للتسلية والفكاهة رغم ما تتصف به حياتهم من الجد والصراحة.

إنه كتاب جدير بالقراءة والاقتناء والإهداء.

ردمك: ٩٩٦٠-٢٠-٥٨٣-٥